وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

التدوين في بلاد الرافدين القديمة

4000 ق.م-626 ق.م

مكتبة نينوى أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم

إعداد الطالب:

عمر يــــامون

إشراف الأستاذ الدكتور:

إبراهيم العيد بشي

السنة الجامعية: 1436- 1437هـ/ 2015- 2016م.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

التدوين في بلاد الرافدين القديمة

4000 ق.م-626 ق.م

مكتبة نينوى أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم

إعداد الطالب:

عمر يـــامون

إشراف الأستاذ الدكتور:

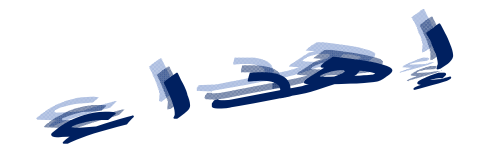
إبراهيم العيد بشي

لجنة المناقشة:

- أ.د/ بلقاسم رحـمـانـي .... رئيسا
- أ.د/ إبراهيم العيد بشي .... مقررا
- أ.د/ بومدين بن مـــوفـــق................................... عضوا
- أ.د/ فاطمة الزهراء عزوز ....عضوا

السنة الجامعية: 1436- 1437هـ/ 2015- 2016م.


بسم الله الرحمن الرحيم



أهدي ثمرة جهدي وتعبي إلى من أنار

دربـــي ورسم لي طريق النجاح

"أبي" حفظه الله وأطال عمره

إلى الغالية التــــي ربتني وسهرت على

راحتي ودراستي إلى التـــي أفنت ربيع

عمرها رجاء تنوير حياتي

إلى أمي الغالية حفظها الله وأطال عمرها

إلى الإخوة الأعزاء سمير، محمد وأميـــن

وإلى أخواتي آمال وسميرة وشمعة العائلة "ملاك"

إلى من كانت أناملها خطوة لإتمام هذا البحث"لويزة"

إلى كل من كان دعما لـــي من قريــب

أو من بعيد

عمر يامون

شكر وعرفان

أشكر الله عز وجل الذي أمدني بالصبر والإرادة لإنجاز

هذا البحث

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي ومشرفي القدير

الدكتور "إبراهيم العيد بشـــي" على دعمه وتقديمه

النصح طيلة فترة البحث

وأتقدم كذلك بالشكر إلى كل أساتذة التاريخ الذين

لم يبخلوا عليّ بمعارفهم القيمة وإلى كل عمال

المكتبة الجامعية

كما لا أغفل بالذكر الزميلة "لويزة" التي كانت

دعما وسندا لي طيلة فترة البحث

ونسأل الله التوفيق لخدمة العلم والأمة

مقدمة

عرفت منطقة الهلال الخصيب البدايات الأولى للحضارة وذلك لتوفرها على جملة من الشروط الملائمة للاستقرار البشري، وفي مقدمتها منطقة بلاد الرافدين التي بقيت آثارها شاهدة على استقرار المجموعات البشرية الأولى فيها والتي تفاعلت فيما بينها واندمجت بشكل طبيعي مكونة المجتمع الرافدي الأولي، الذي جعل من روافد النهرين محطة لبناء نواة الحضارة ضمن مجال محدود جغرافيا وبشريا.

فكانت حياة الفرد البدائية قائمة على جعل العناصر الطبيعية مكيفة لخدمة تطلعاته وانشغالاته اليومية، وبعد تحقيقه الاكتفاء الذاتي باكتشافه الزراعة دأب إلى حفظ الذاكرة الجماعية بابتكار جملة من التراكيب اللغوية التي اعتبرت أولى التدوينات التي وضع أسسها الإنسان الرافدي القديم، وتبرز أهمية التدوين في كونه موضوعا مكملا للكتابة ومتما لها لأنّه يعتبر المرحلة النهائية التي يصل بفضلها الكاتب والمدون إلى تركيب معلوماته بطريقة منهجية وضمن قواعد ثابتة مبدئيا.

ولجودة ما خلفه هذا الانسان من مواضيع مهمة في شتى الميادين انصبت الدراسات والبحوث الأثرية على هذه المنطقة للاستفادة من موروثها الحضاري المتنوع، وضمن هذا الإطار طرحت العديد من الإشكاليات حول أصل التدوين وتضاربت الآراء فيما يخص الحقبة التاريخية لظهوره، ومن هذا المنطلق تتبادر إلى أذهاننا عدة تساؤلات جوهرية التي تمثل محور الموضوع الذي نحن بصدد معالجته واخترنا منها ما يتماشى مع متطلبات بحثنا في إطاره العام وهي كالآتي: **هل فعلا يعد ما دونه الإنسان الرافدي القديم مضمونا مقاربا للكتابة المتعارف عليها أم أنّه مجرد أسلوب للتواصل البدائي؟ وهل هو طريقة عشوائية لحفظ معلومات متراكمة؟ وهل اهتم الباحثون المعاصرون فعلا بماهية التدوين وآثاره الحضارية؟.**

إضافة إلى الإشكالية الرئيسية كان من الإلزام طرح بعض المشكلات الفرعية والتي تتناسب مع طبيعة الموضوع المعالج وجوانبه التي تتطلب نوعا من التساؤل الهادف وهي:

هل فعلا يمكن اعتبار حضارة بلاد الرافدين أنها نتاج المجهود الفردي للعناصر المحلية أم هي في حقيقتها كمحصلة لجهود العناصر الوافدة، أو على نقيض الطرحين فتكون بذرة المجهود الجماعي الناتج عن الانصهار الحضاري؟.

هل السومريون هم المسؤولون عن ابتكار الكتابة الأولية والأبجدية في المنطقة أم أن هناك شعبا آخر تنسب له هذه المبادرة؟ وهل فعلا أن مشكلة الأصل السومري في حد ذاتها تعتبر الحاجز الأول الذي يعترض إمكانية معرفة الأصل الحضاري للمنطقة؟.

لماذا لم يتمكن العلماء والباحثون لحد الآن من اكتشاف أصلهم رغم ما يتميزون به من المعايير الحضارية كاللغة والكتابة ومبادئ السلطة المركزية؟ ولماذا أقر بعض الباحثين بأن الطموح السامي في المنطقة وانجازاته يمكن اعتبارها أسبق وبالدليل عن السومريين في حد ذاتهم والذين تنسب لهم صياغة أسس المدنية؟.

ماهو السبب الرئيسي وراء التناوب الحضاري في المنطقة وما هو دور العناصر الوافدة في تغيير بعض الأسس الحضارية؟ وهل يمكنني أن أطرح فرضيات منطقية بخصوص المرجعية الحضارية للعناصر الأصلية والعناصر الوافدة؟ إلى جانب ذلك كله يبقى السؤال الأساسي الذي ينتظر جوابا مقبولا هو: ما هو السبب الفعلي وراء تجاوز الباحثين دور العنصر العربي الأصيل ومنجزاته الحضارية؟ وهل يبقى السبب فقط متعلقا بمشكل الأصول والكيانات؟.

هذا الغموض والتعتيم حول الدور الفعلي للتدوين في التعريف بالمجتمع الرافدي وإنتاجاته الفكرية التي تعد مادة خام في تكوين البنية الحضارية للثقافات المجاورة جعلنا نركز في هذه الدراسة على تتبع مراحل التطور التدريجي للتدوين تبعا لمستلزمات الإنسان الرافدي، ولعل ما جذب انتباهنا هو النقص الفادح للدراسات المتعلقة بالمدونات وسوء تنسيقها مع عمليات المسح الأثري، فدراسة المخلفات الأثرية خاضع لاعتبارات عديدة ومرهون بنوعية المادة المعثور عليها ونوعية الدلالات المتوفرة فيها.

وبشكل عام السبب الرئيسي وراء اختياري الموضوع هو الشغف الكبير لدراسة هذا الحقل المعرفي الخصب والقيم من حيث نتائجه ومنهجيته باعتبار أن التدوين في بلاد الرافدين يشكل محور الحياة كونه حيزا شاملا لجميع الفروع ومنطلقا لتثبيت المرجعية الحضارية.

ويعد ميلي إلى هذا النوع من المواضيع نابعا من التجربة الذاتية المندرجة ضمن المعارف القبلية المكتسبة والاطلاع الوافي على خبايا الموضوع الذي هو حسب رأيي مثمر ومفيد كونه يسلط الضوء على

جانب مهم وحساس فيما يخص التركيبة الحضارية لبلاد الرافدين، والجانب الأكثر تأثيرا وبموجبه تم اختيار هذا البحث هو اشتماله على الجانب الأثري ذلك أن الاطلاع على المادة التاريخية الأثرية ضروري لتثبيت بعض الحقائق وتدعيم وجهات النظر أو على الأقل الإلمام بما كتبه الأثريون الأوائل عن المخزون المعرفي لهذه الحضارة القديمة الراسخة في عمق تاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم.

هذا من جهة، أما السبب الآخر وراء معالجتي لهذا الموضوع هو السعي لتبيان الأبعاد الحضارية التي يشملها التدوين ليس فقط كونه مجرد كتابات عفوية وإنّما هو في مضمونه تجميع الفرد الرافدي لثمرة تخميناته عبر فترات حياته بدءا في الأساس من المرحلة التاريخية.

ولكن بعد المطالعات المتكررة لموضوع الكتابة في بلاد الرافدين تبين أن معظم الدراسات ركزت بشكل كلي على أصول الكتابة وبدايتها مع تثبيت الحقبة الزمنية لظهورها تقريبا من الجانب الافتراضي، أو بضبطها اصطلاحيا بالاعتماد على المخلفات الأثرية والملاحظ كذلك تضارب الآراء حول أصول ابتكارها بين العنصرين السومري والأكدي.

كما أهملت هذه الاجتهادات موضوع التدوين وأصوله بحيث لم تعط الدراسات المقارنة النتائج المتوقعة منها، فجاءت المواضيع التي كتبها المفكر والكاتب الرافدي قليلة وشحيحة ولم يحظى الكاتب بنصيبه الفعلي من الاهتمام ودليل ذلك أنه ذكر بشكل متقطع وغير مضبوط على طول الحقبات التاريخية، ولمعالجة الموضوع ارتأيت أن أرفقه بخطة منهجية تتماشى مع جوانبه وهي كالآتي:

المدخل الذي يمكن اعتباره بوابة للدخول في الموضوع ورأيت أنه من باب المنطق أن يكون كمنطلق لمعرفة الإطار العام للبحث المطروح للنقاش، وقد تطرقت فيه إلى الأبعاد الحضارية الأولى التي صاغها الإنسان الرافدي القديم وإلى الإمكانيات الطبيعية المتوفرة لديه والتي بموجبها ثبت قواعد المجتمع الأصيل ضمن أزمنة مبكرة من التاريخ، كما أوردت كذلك فكرة الأسبقية الحضارية للمنطقة عن باقي مناطق الشرق الأدنى القديم، ووضحت كذلك طريقة تداول الوثائق المتعلقة بالكشف عن هذه الحضارة ودور الدراسات المقارنة في الكشف عنها وكيفية الاستفادة منها حسب ما يتماشى مع متطلبات البحث الأكاديمي المنهجي الحديث.

الفصل الأول حيث يعد هذا الفصل دراسة أولية لعناصر الموضوع فكانت البداية مع ذكر الأبعاد الجغرافية للمنطقة التي تنقسم إلى قسمين شمالي وجنوبي، وهذا التناظر بينهما كان له الدفع القوي في بروز أطر الحضارة وكذلك فقد بينت دور العوامل الطبيعية في إرساء قواعد الحضارة فكان للسهل الخصب دور كبير في تثبيت دعائم الزراعة وتوفير مادة الكتابة الأساسية، ثم ارتأيت قبل الدخول والتطرق إلى بداية الكتابة أن أمهد لها بتناول الحقب ما قبل التاريخية القريبة من العصر التاريخي كونها تمثل النواة التي ظهرت فيها الكتابة، ولا يمكن التطرق لهذا الجانب دون إغفال السومريين الذين يعتبرون مؤسسي الحضارة الرافدية والذين بفضلهم دخلت المنطقة ضمن الإطار التاريخي.

ولمعرفة الفترة التاريخية بشكل واضح كان من وجه الإلزام الإلمام بموضوع الكتابة التي تعد أهم إنتاج عرفته البشرية وبفضلها تم حفظ الموروث الثقافي للمنطقة، كما أبرزت دور الكاتب ومكانته الاجتماعية التي حظي بها والتي تدل على أنها حضارة أولت الإهتمام الكبير للجوانب الحضارية.

الفصل الثاني وقد أدرجت فيه العديد من المواضيع المهمة والتي لا يمكن أن يظهر التدوين في شكله الكامل دونها وهي تتمثل في العلوم الأولى التي صاغها الرافديون، فتناولت في البداية علم التاريخ الذي كانت معالمه الأولى غير واضحة إذا ما قارناه مع المفهوم الحالي للتاريخ، كما أبرزت كذلك جوانب علم الجغرافية التي وضعت أسسه في أقدم المدن الرافدية وأوضحت بشكل مبسط نظرتهم إلى الجغرافيا التي كانت نوعا ما محدودة، وبينت كذلك أسبقية الرافديين قبل غيرهم من الشعوب في تثبيت دعائم علم الفلك ولو أن معظم الآراء القائمة تضفي هذا الامتياز على الحضارة الإغريقية، إضافة إلى ذلك بينت مدى اتساع ووفرة المعارف الطبية في بلاد الرافدين باعتبارها من بين الحقول المعرفية الخصبة وذات الوزن المعتبر والتي بفضلها تم وضع أولى التجارب الميدانية، فضلا عن الرياضيات التي كانت مرتكز المعاملات التجارية والتي بفضلها استطاعت مؤسسة المعبد تثبيت منظومتها، كما لم أغفل ذكر خبرات الرافديين المكتسبة في ميدان الأنشطة الاقتصادية وذلك من خلال تشكيلهم أولى الدساتير الزراعية وصناعة أولى الأختام الرسمية في ميدان المبادلات التجارية.

وفيما يخص التعليم فقد استنتجت من دراسة العديد من المؤلفات الدور الكبير الذي أدّته المدارس الرافدية القديمة في حفظ الموروث الثقافي للمنطقة لأنها المؤسسة الرسمية التي تسير وفقها المؤسسات الإدارية

الخاصة بالسلطة المركزية، وتعد المدارس الملكية والدينية التي تشكلت في فترات مبكرة من التاريخ الأسبق من نوعها إذا ما تمت مقارنتها بالمدارس الملحقة المصرية واليونانية.

الفصل الثالث وقد رأيت أنه من المنطقي تدعيم الجانب النظري من الدراسة أو الجانب التوثيقي بمجموعة من الدراسات الميدانية الأثرية التي قام بها المنقبون الأوائل باعتبار أن المادة الأثرية حجة إضافية لدعم وجهات النظر ودعم المواقف والأطروحات الموجهة للدراسة، ورغم أن نتائجها غير قطعية لكنها تبقى الدليل الأكثر واقعية لتفسير الأحداث القديمة، وكان أيضا من الضروري إرفاقها بمجموعة من الملاحظات والفرضيات لأنه في الكثير من المسائل المطروحة للنقاش لا يمكن الحسم النهائي لها إلا إذا توفرت مجموعة من القرائن والدراسات المتقابلة، وقد أوردت في هذا الفصل جهود الأثريين الأوائل في الكشف عن تاريخ المنطقة، حتى وإن كان من الأشياء التي يأسف لها نقص الاجتهادات المحلية ضمن هذا الإطار، كما تناولت في هذا الفصل مكتبة "نينوى" كنموذج للدراسة كونه أوضح مثال على الرقي الثقافي الذي بلغته المنطقة، فكانت كل من المدينة والمكتبة ذائعة الشهرة في أقطار العالم القديم وفاقت ما بلغته حدائق بابل المعلقة وبرجها في مضامين الآداب الشرقية القديمة.

ولتبيان تأثيرات المنطقة الحضارية وقيمة إنتاجها المعرفي أضفت إليها جملة من الاستنتاجات الخاصة باستيعاب المناطق المجاورة لها لتيارها الثقافي ومدى مجاراتها لها في ميدان الانتاج الفكري الضخم الذي تزخر به على مدى مراحل طويلة من التاريخ.

وبعد معالجة الإشكاليات والتطرق إلى جميع جوانب الموضوع استطعت في الأخير وضع استنتاج عام في شكل خاتمة جمعت فيه جملة النتائج التي أرفقتها لكل فصل من الفصول وقد ذكرت فيها أهم النقاط التي تم تحصيلها من الدراسة، وهي بمثابة خاتمة الخواتم التي تصب فيها جميع المعطيات وغالبا ما تكون هذه الخاتمة هي الفائدة العامة من دراسة الموضوع مع ترك المجال مفتوح أمام بعض الطروحات والنظريات القائمة ضمن الدراسة التي لم تثبت بعد مصداقيتها وذلك بذكر احتمالات بلوغ النتائج الحقيقية ضمن شروط البحث العلمي المنهجي والسليم. (الدراسات الأكاديمية اللاحقة وما ستسفر عنه الكشوف الأثرية المستقبلية).

ونظرا لاتساع مجال البحث وخصوبته وتناوله شتى المجالات رأيت أنه من الضروري أن تتماشى خطة البحث مع المصادر والمراجع التي وضعت لها لتبقى ذات مصداقية ومندرجة ضمن الإطار الأكاديمي العام، وباعتبار أن الموضوع المعالج أثري في أغلب جوانبه فمن المنطقي أن تكون المصادر الأثرية الأجدر بمعالجة أطروحاته وإشكالياته، فالتقارير الأثرية حتمية لتفسير العديد من النظريات التي مازالت تسير ضمن أبعاد البحث الميداني، إضافة إلى بعض المصادر الكلاسيكية التي لم أسهب في ذكرها وفضلت توظيفها في ذكر الجانب الجغرافي كونها الأقرب من الناحية الزمنية من الدراسات الحديثة، أما جملة المصادر والمراجع المعتمد عليها فهي كالآتي:

العهد القديم: وهو من بين المصادر التاريخية الهامة في ذكر الممالك القديمة في بلاد الرافدين، وقد ذكر فيها أصول وبدايات الشعوب الأولى في المنطقة، كما ذكرت بشكل تفصيلي الصراعات القائمة بين الملوك الأوائل وعلاقة العبرانيين بالرافديين، وقد استفدت من هذا المصدر من خلال التطرق إلى قصة الخلق والطوفان الواردتين في معظم أساطير شعوب العالم القديم (سفر التكوين)، وتبرز كذلك قيمة التوراة في هذا المجال كونها الأقرب من الناحية الزمنية لتأريخ الأحداث أكثر من أي مصدر آخر، لكن يكون الاعتماد عليها في ضبط الأحداث بصيغة الحذر (كونه تعرض للتحريف).

الكتاب الكلاسيكيون: لم يكن الاعتماد عليهم بشكل كبير باستثناء ذكرهم في المبحث الأول من الفصل الأول فيما يخص وصف النطاق الجغرافي للمنطقة، فاستعنت بأوصاف المؤرخ "**هيرودوت**" في شرح الوضع الطبيعي لبلاد آشور كما أوردته في ذكر المعارف الطبية الخاصة بالبابليين، وكانت أوصافه هذه واردة ضمن الكتاب الأول من مؤلفه العام "**التواريخ**".

أما المراجع المعتمد عليها فتتميز بالتنوع والاختلاف من حيث القيمة العلمية فكان استعمالها تبعا للمباحث والعناوين المطروحة للبحث وكانت الأولوية في التصنيف للدراسات المتخصصة التي كان الاعتماد عليها أساسي في المتن مع استعمال المراجع العامة في الشروحات والتعاريف الخاصة بمصطلحات الموضوع، ومن بين هذه المراجع الهامة ما يلي:

طه باقر وقد استفدت من كتابات هذا الباحث من دائرة الأثار العراقية بشكل كبير خاصة مؤلفه "**مقدمة في أدب العراق القديم**" الذي يعد من الأعمال الجدية في حقل الآداب الرافدية القديمة وكذا كتاب "**ملحمة جلجامش**" الذي يعد من بين الدراسات القيمة التي شملت هذا الجانب، وكذلك **صمويل نوح كريمر** الذي يمكن اعتباره من بين المصادر الأثرية الرئيسية في حقل البحوث الميدانية، وتعد مؤلفاته "**من ألواح سومر**" و" **التاريخ يبدأ في سومر**" من بين أولى الاجتهادات في التعريف بالحضارة السومرية وتظهر قيمة أعماله من خلال الطروحات التي صاغها بالاعتماد على الدلائل اللغوية والمادية، كما يعد أسلوبه الذي يعتمد على الاستشهاد معيارا ايجابيا في إعطاء الحلول للكثير من المسائل التاريخية المتعلقة بالحضارة السومرية، بالإضافة إلى **نائل حنون** الذي يمكن اعتبار كتابه "**حقيقة السومريين ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية**" من بين الأعمال القليلة التي تناولت بالشرح والتحليل "المسألة السومرية"، حيث أثارت كتاباته ضجة ضخمة نظرا للأفكار الحديثة المطروحة من قبله والتي اختلفت كليا عن الأفكار السابقة له، من حيث تفنيد حقيقة الأصل السومري وذكر بعض الحقائق النادرة عن المساهمة السامية في الحضارة الرافدية القديمة، وتكمن أهمية أفكاره كونها تفتح المجال للنقاشات والدراسات المقارنة دون التسليم بحقائق مطلقة، وتظهر القيمة العلمية لكتابه كونه يعتمد على الدلالات الكتابية واللغوية في تثبيت آراءه.

كما ارتأيت أنه من الضروري الإلمام ببحوث وأعمال الباحث "**خزعل الماجدي**" التي كانت بمثابة الموجه والدليل حول كيفية تصنيف المعارف الخاصة بالمواضيع الدينية من خلال كتابه " **بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين**"، حيث تناول بشكل مفصل المعارف الرافدية في ميدان الطب والسحر معتمدا في الأساس على نصوص أصلية تمت ترجمتها من حقل التنقيبات، إلى جانب مؤلفه الثاني "**متون سومر** "**التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس**" الذي كان مرجعا أساسيا لدراسة الجوانب الدينية.

إضافة إلى هذه المراجع التي تنم عن مجهودات كبيرة في حقل الدراسات الحضارية فقد اعتمدت كذلك على كتاب "**حضارة العراق**" بأجزائه الثلاثة، والذي يضم دراسة ثرية قام بها نخبة من الباحثين العراقيين، وتناولت هذه الدراسة جميع الجوانب التي مثلت حياة الرافديين دون استثناء، وما جعل مؤلفاتهم أكثر مصداقية هو اعتمادهم على الأدلة والبراهين المستقاة من ميادين الحفر الأثري، ومن جملة هؤلاء الباحثين: **تقي الدباغ،**

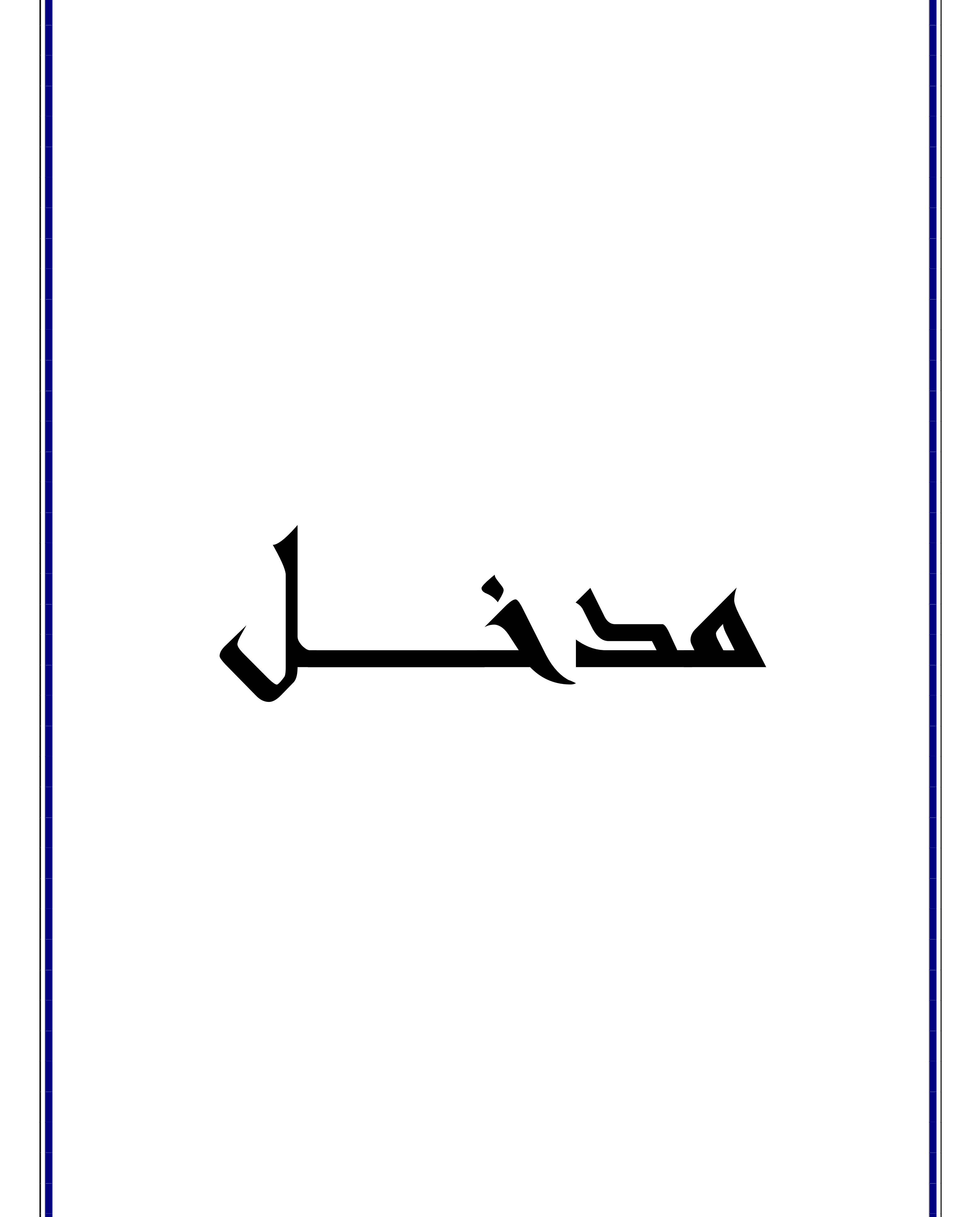
بهنام أبو صوف، فوزي رشيد، بهيجة خليل إسماعيل، فاضل عبد الواحد علي وعامر سليمان، الذين تعتبر مجهوداتهم الجبارة مرجعا وقدوة يحتذى بها في ميدان البحث الوثائقي (التأليف) والميداني (التنقيب).

ومن المراجع الأجنبية الأساسية المعتمدة أيضا في هذا البحث " **M. Joachim Menant** " عالم المسماريات الذي يعد مرجعا مهما وقد اعتمدت عليه في الفصل الثالث للتعريف بمدينة نينوى ومكتبتها وكذا أعمال التنقيب من خلال استقراء محتوى كتابيه "**La Bibliothèque de palais de Ninive**" وكذلك "**Ninive et Babylon**"، بحيث يقوم هذا الباحث بتقديم معلومات مفصلة عن نينوى بذكر جميع المعطيات دون إغفال أي معلومة وهذا دليل على تعاطيه الجيد مع المواد الأثرية المتوفرة لديه، كما يمكن للباحث والدارس تمييز الدلالات المنطقية التي استعملها، وكتابه القيم حول الملوك الآشوريين " **Annales des Rois d'Assyrie**" حيث يبرز أعمالهم ومآثرهم الراقية على طول فترات التاريخ الآشوري.

كما استشهدت بأعمال المنقب الشهير "لايارد **Austen Henry Layard**" في كتابه الشهير "**Nineveh and its Remain**" (نينوى وآثارها) الذي يعد من بين الأعمال النادرة التي أماطت اللثام عن مدينة "نينوى" المدينة الكنز المذكورة في التوراة.

وفي سبيل إتمام هذا الموضوع وتركيب عناصر البحث وتنسيقها صادفت العديد من العراقيل المتفاوتة منها ما تمكنت تجاوزه كصعوبة ضبط الخطة النهائية بشكل نهائي وتثبيت المراجع الأساسية، وكذلك بعض الصعوبات التي لم يكن في مقدوري تجاوزها ومنها تكرار المعلومات الخاصة بمباحث الموضوع في مختلف الكتب منها العربية والأجنبية وهذا الأمر جعلني أقع عبر جميع مراحل البحث في مشكل محدودية المعلومات التي وردت بصيغ مختلفة الشكل لكن بمفهوم واحد.

إلى جانب ذلك وجود أخطاء واضحة ضمن بعض المراجع المترجمة مما يصعب اعتماد مفهوم "الأمانة العلمية"، والجانب الحساس الذي لا يمكن إغفاله ضمن هذا الإطار هو عدم توفر إمكانية الاطلاع على الجانب الميداني وهذا الأمر يرهن نوعا ما مصداقية البحث كونه موضوعا أثريا في مجمله وهذا بالرغم من وجود العديد من الأبحاث الميدانية التنقيبية التي اعتمدت عليها لكن ورغم هذا يبقى بحثا نظريا يحتاج إلى الضبط بالاستناد إلى التقارير الميدانية الحديثة.



مدخل

كلمة العراق التي تطلق غالبا على بلاد الرافدين كلمة فارسية تعني "السواد"[(1)] بالنسبة للقسم الجنوبي وذلك لكثرة عروق النخيل فيه، وليس هناك اتفاق على تسمية محددة لأرض الرافدين إذ لم يتفق المؤرخون على ذلك فكلمة "عراق" يتأرجح معناها بين عدة آراء منها أنها تنسب للأصل العربي "الجرف" أو "الساحل" كما يمكن إرجاعها لأصل قديم سومري أو سامي مشتق من كلمة "أوروك" التي تعني "المستوطن"[(2)].

وتختلف بلاد الرافدين عن باقي أقاليم الشرق الأدنى القديم الذي نشأت فيه الحضارات الأصلية بأنه كان مهدا لنشوء جماعات بشرية ودويلات متعددة ذات اكتفاء ولاسيما من الناحية الاقتصادية، ولعل هذا الوضع هو السبب الرئيسي في تأخير الوحدة السياسية للمنطقة في الوقت الذي كانت فيه مصر القديمة الأسبق إلى هذا المنطلق، وبطبيعة الحال فقد ظهرت فيما بعد العديد من العوامل التي ساعدت دويلات المدن السومرية على الاتحاد ضمن مملكة واحدة[(3)].

ويتميز تاريخ بلاد الرافدين بالثراء والتنوع من الناحية الحضارية وغالبا ما يقارنه المؤرخون بتاريخ مصر من ناحية السبق الزمني، وقد سلط الضوء على تاريخ بلاد الرافدين القديم بالاعتماد على القصص التوراتية وما تناولته من أحداث خاصة بالآشوريين[(4)] والبابليين وعلاقتهم الخارجية[(5)] مع العبرانيين[(6)]، إضافة إلى

---

(1)- عبد الحميد زايد، **الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى منذ أقدم العصور حتى عام 323 ق.م**، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت)، ص 01.

(2)- سعيد إسماعيل علي، **التربية في حضارات الشرق القديم**، عالم الكتب، القاهرة، 1999م، ص 104.

(3)- نبيلة محمد عبد الحليم، **معالم العصر التاريخي في العراق القديم**، دار المعارف، مصر، 1973م ، ص 104.

(4)- **الآشوريون**: قبائل عربية هاجرت حوالي سنة 2000 ق.م إلى المناطق الشمالية من بلاد الرافدين أطلق على هذه القبائل اسم الأشوريين نسبة إلى إلههم آشور، عرفوا أوج أيامهم في عصر آشور بانيبال، وقد كانت نهايتهم على يد الكلدانيين عام 612 ق.م. ينظر: شوقي أبو خليل، **أطلس التاريخ العربي الإسلامي**، ط5، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002م، ص 17.

(5)- ورد ذكر بلاد الرافدين في العهد القديم على النحو الآتي: «**وبنو حام: كوش ومصرايم وفوط وكنعان، وبنو كوش: سبا وسبتة ورعمة وسبتكا وبنو رعمة: شبا وددان. وكوش ولد نمرود الذي ابتدأ يكون جبارا في الأرض، الذي كان جبار صيد أمام الرب. لذلك يقال "كنمرود جبار صيد أمام الرب". وكان ابتداء مملكته بابل وأرك وأكد وكلنة. في أرض شنعار. من تلك الأرض خرج أشور وبنى نينوى ورحوبوت عير وكالح ورسن بين نينوى وكالح**». ينظر: سفر التكوين (10: 6-20).

(6)- **العبرانيون**: هي أقدم التسميات التي عرف بها بنو إسرائيل في التاريخ، وقد اختلف العلماء حول أصل هذه التسمية، فهناك من يربط هذه التسمية بأحد الأجداد القدامى للساميين وهو عابر بن شالح بن أرفكشاد بنو سام، وهناك من ينسبها إلى عبور إبراهيم عليه

ذلك المعلومات الهامة التي دونها الرحالة الإغريق والرومان في بداية العصور التاريخية وما توصلت إليه عمليات التنقيب والكشوف الأثرية في مختلف مناطق بلاد الرافدين القديم.

وتتميز هذه الحضارة بتعدد فروعها التي صاغها الإنسان القديم ضمن هذا الإطار الجغرافي، فتعدد النماذج الحضارية كالسومرية، البابلية والأشورية أكسب هذه المنطقة نوعا من الانصهار الإيجابي بالموازاة مع ظهور أولى الكتابات التي صار مجال استخدامها واسعا[1]، فقد بقي الإنسان قرونا عديدة دون الوصول إلى اختراع الكتابة وذلك لبساطة نمطه المعيشي وقلة احتياجه إلى تدوين الحوادث وبدءا من دخوله طور المدنية حتى شعر بحاجته الملحة لحفظ موروثه الخاص وتخميناته المتعددة لذلك ابتداء من هذه المرحلة سعى هذا الإنسان إلى الحفاظ على نسقه الحضاري عن طريق تطوير حواسه التعبيرية والفكرية وتدوين جميع الأحداث الفاعلة في حياته[2].

كما كانت طبيعة بلاد الرافدين بجبالها وسهولها ونهريها العظيمين موطن الحضارة الرافدية الأول، وهي كلها الخلفية الجغرافية التي هيأت للإنسان الرافدي المواطن الطبيعية والظروف البيئية المناسبة التي مكنته من التقدم السريع في مضمار التمدن بعد استقراره وإقامته في أولى القرى الزراعية، وكان هذا الإنسان فريدا من نوعه خاصة مهاراته في الصناعات الحجرية خلال عصوره الأولى، إذ كان ساكنا للكهوف أو مرتادا لمصاطب أعالي النهرين، وأكدت هذه الحقيقة الدراسات والتنقيبات التي لا تقبل الشك والتأويل[3].

السلام نهر الفرات ومن معه من مدينة أور الكلدانية أو نهر الأردن، ويرى آخرون أن الكلمة مشتقة من الفعل الثلاثي عبر بمعنى قطع مرحلة من الطريق، وتدل على التنقل الذي هو من خصائص سكان الصحراء والبادية، وهناك رأي آخر يرى أن أصل الكلمة هو كلمة خابيرو (Habiri) وهي قبائل ظهرت في فترة معاصرة لظهور العبريين غزت فلسطين وتوغلت فيها، ولكن أكثر العلماء يتحفظون في جعل العبري والخابيرو من أصل واحد إذ يشيرون إلى أن عبري صفة تدل على النسب والانتماء بينما الخابيرو تدل على مجموعة الناس. ينظر : أبراهام مالمات وحييم تدمور، **العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية**، تر: رشاد عبد الله الشامي، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، ط1، 2001، ص ص 16، 17. للمزيد ينظر محمد أبو المحاسن عصفور، **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم منذ أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر**، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص ص 168 - 177.

[1]-نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 05.

[2]- فوزي سالم عفيف، **نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية ودورها الثقافي والاجتماعي**، ط 01، الكويت، 1980م، ص 14.

[3]- بهنام أبو صوف، **التاريخ من باطن الأرض (آثار وحضارات وأعمال ميدانية)**، مطابع شركة الأديب، الأردن، 2009م، ص 07

ويبدأ التاريخ الفعلي لبلاد الرافدين بالكتابة والتوثيق وهي مرحلة بدأت تاريخيا وحسب الإطار الزمني المضبوط في أواخر الألف الرابع وأوائل الألف الثالث ق.م والذي يمثل حدثا فاصلا في تاريخ الإنسانية والذي يبدأ به التاريخ القديم[1]، وظهور الفكرة الناضجة التي مفادها اختراع الكتابة تعتبر في حقيقة الأمر خطوة تقدمية نحو تطور المجتمع من الحياة الأولى البدائية إلى مرحلة أكثر تنظيما من حيث تسجيل جميع المعطيات المتعلقة بكافة جوانب أنشطته اليومية مما أدى إلى دفع حياته إلى وتيرة جديدة ذات نسق متوازن اصطلح عليها تسمية الفترة التاريخية (بداية العصر التاريخي)[2].

وتجلت معالم الإبداع الحضاري في ابتكار الخط المسماري الذي أثر بشكل كبير في كافة وسائل التعبير بالمنطقة ودليل ذلك أن مصر في عصر العمارنة قد استخدمته ضمن مكتباتها الدولية في إطار علاقاتها مع دول غرب أسية[3].

واعتبرت بلاد الرافدين مهدا للحضارات القديمة وكان إنسانها يعيش ضمن مجموعات متفرقة انتشرت بين الشمال والجنوب واستطاع أن يبني حياته على أسس حضارية متقدمة منذ أوائل عصور فجر التاريخ وهذه الأسس أخذت في التطور التدريجي ضمن سلسلة متعددة الحلقات وكان هذا التطور على مستويات عديدة بحيث لا يمكن حصره ضمن مجال ضيق، إذ لا يمكن تتبع هذا التطور الحضاري بشكل مفصل لهذه المجموعات عبر مراحل متتالية لأن المخلفات التي تركوها كانت عرضة للاندثار على مر السنين ولأنهم لم يصلوا في مدينتهم إلى الحدّ الذي يسمح لهم باستعمال الأدوات في حياتهم اليومية أو استعمال الكتابة ضمن نطاق واسع[4].

فقد عاش الرافديون الأوائل في الشمال على شكل جماعات كانت تسكن الكهوف وتعتمد في حياتها على الصيد وجمع الغذاء، ومع تطور القوى المنتجة وبالتحديد أدوات العمل انتقل السكان القدامى

(1)- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، **دول وحضارات الشرق العربي القديم**، دار طلاس، دمشق، 1990م، ص 11.

(2)- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 05.

(3)- نفسه، ص 05.

(4)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 103.

إلى ممارسة الزراعة المعزقية وتربية المواشي إلى جانب الصيد[1]، وبنيت القرى وارتقت الثقافة ولكن رقيا بطيئا وظهرت بوادر التصورات الدينية[2]، ومن هذا الإقليم نزح السكان إلى الجنوب عندما تراجعت مياه الخليج وتشكل السهل الغريني الخصيب حاملين معهم تقاليدهم الحضارية وشرعوا في تجفيف المستنقعات وتنظيم الري وحرث الأرض وبناء القرى على التلال، وعند وصول السومريين إلى المنطقة انصهروا مع سكانها الأوائل وأخذوا حضارتهم وطوروها بفضل العمل الدؤوب والتعاون المشترك بين القادمين والمستوطنين القدامى[3].

ويؤكد الكثير من المؤرخين أن أولى الحضارات القائمة في المنطقة هي الحضارة السومرية إلا أن بعض الباحثين المعاصرين يؤكدون من خلال عمليات الكشوف الأثرية المتواصلة والمتكاملة أن الجماعات النازحة من شبه الجزيرة العربية والتي استوطنت بلاد الرافدين هي السباقة في خلق البدايات للأصول الحضارية الأولى[4] وبالتالي يقترح جملة هؤلاء المؤرخين إضافة اسم الحضارة السامية-السومرية على هذه المدنية تبعا لتفاعل الأجناس القاطنة في هذه المنطقة، واستطاع سكان بلاد الرافدين بلوغ الطور الكتابي والذي يكون أساسه الكتابة المسمارية السومرية وهي من ضمن أولى اللغات والكتابات التي استطاع الإنســـان القديـــم

---

(1)- كانت منازلهم مستديرة أو مستطيلة وحفرت فيها حفر وأحيطت بالطوب لوضع المخزون (أول أشكال التخزين كانت عبارة عن قدر كبير وضعت تحت الأرض)، هذه المخازن والرحى البدائية والمكاشط العريضة والمعقوفة الحجرية التي تبرز في تل حسونة تشير إلى وجود عدد كبير من الزراع، بينما عظام الماشية كالأغنام والماعز تبين أنواع القطعان المستأنسة. ينظر: ج. هاوكس ول. وولي، **أضواء على العصر الحجري الحديث (ثلاثة فصول مترجمة من كتاب ما قبل التاريخ وبدايات المدنية)**، تر: يسرى عبد الرزاق الجوهري، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص 38.

(2)- **الفكر الديني**: من النتائج الفكرية الهامة للتحول الاقتصادي ظهور العقيدة الدينية في أبسط مظاهرها من خلال تقديس الأرض واعتبارها إلهة للخصب والعطاء ومصدرا للغذاء، فكانت الأرض أول معبود اتخذته البشرية الأولى في كل مكان عرفت فيه الزراعة وتدجين الحيوان، فقد قدس فلاحو العراق والعالم الأرض في شكل امرأة حامل وأقاموا لها المزارات وقدموا لها الهدايا والنذور. ينظر: بهنام أبو صوف، المرجع السابق، ص ص 37، 38.

(3)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق ، ص 106.

(4)- **موجة التحركات البشرية**: يتضمن تاريخ الشرق الأدنى القديم العديد من موجات التحركات البشرية ويمثل بلاد الرافدين القديم منطقة جذب لكثير من تلك الهجرات سواءا الحامية أو السامية الوافدة من شبه الجزيرة العربية، أو التحركات الهندو-أروبية الخارجة من نطاق القارة الهندية وقد ترتب عن تلك الهجرات المتعددة استقرار الكثير من العناصر السامية والسومرية بالإضافة إلى العناصر العيلامية والأقوام الجبلية في المنطقة. ينظر: نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 42.

تركيبها[1]، وكان بروز حضارة بلاد الرافدين مع نهاية القرن الثامن عشر حيث بدأ الكشف عن مخزون هائل من الرقم المسمارية التي كانت مدفونة تحت أنقاض المدن الرافدية وتميز القرن العشرين بازدهار الدراسات المسمارية مع قيام معاهد خاصة بها وتعميم نشر نصوصها[2].

لكن تبقى المعلومات المتعلقة بالألوف الأولى من مراحل التطور قليلة إلى حد يجعل الدراسات مؤقتة وقابلة للتعديل والتصحيح في أي وقت وذلك راجع لنقص الوثائق المكتوبة المنقولة، وهنا بالتحديد تلعب المخلفات المادية دورا رئيسيا في سد هذا الفراغ بحيث تمكن جملة الباحثين الأثريين من إعطاء صورة واضحة عن تلك الحقب الموغلة في القدم بفضل جملة الجهود والبحوث المعمقة مما أدى إلى تقديم وجهات نظر جديدة حول بعض المسائل المطروحة "أهم المسائل المطروحة للنقاش في هذا الصدد هي البحث عن أول الشعوب المستوطنة لهذه المنطقة الحضارية"، ولكن من المؤكد أن المعلومات المستقاة بالاستناد إلى المخلفات المادية لوحدها تبقى جزئية وغير كاملة إذ لم تتوفر الوثائق المكتوبة المكملة لها، لذلك فقد حقق الباحثون المختصون في تاريخ الشرق الأدنى القديم من خلال أبحاثهم اللغوية التاريخية وتنقيباتهم الأثرية صورة جديدة للماضي السحيق الخاص بحضارة بلاد الرافدين فبفضل اكتشاف الحضارات السومرية، البابلية والأشورية وكذا قراءة الخطوط المسمارية تم وضع الأسس الأولى لعلم جديد أطلق عليه اسم علم الدراسات الأشورية[3] (Assyriologie)[4].

[1]- عمر محمد صبحي عبد الحي، **الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم (بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة)**، ط 01، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1998م، ص 110.

[2]- أمل ميخائيل بشور، **تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل وأشور**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، 2008م، ص 43.

[3]- **علم الدراسات الأشورية**: علم يبحث في اللغة الأكدية ولهجاتها، يتضمن هذا العلم عدة ملتقيات منذ تأسيسه وأهمها: الملتقى الأشوري العالمي (Rencontre Assyriologique Internationale) الذي يعقد مرة كل سنتين في إحدى المدن الأوربية أو الأمريكية، إلى جانب ذلك المعجم الأشوري الخاص بمعهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاجو. ينظر: عيد مرعي، **اللسان الأكدي (موجز في تاريخ اللغة الأكدية وقواعدها)**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012م، ص 08.

[4]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 13.

وفيما يخص الكشف عن تاريخ حضارة وادي الرافدين فقد لعبت مصادر التاريخ القديم[1] دورا بارزا في تسليط الضوء عليها بشكل خاص وتاريخ الشرق الأدنى القديم بشكل عام بحيث تعالج في مضمونها الكثير من الأحداث التي عاصرت نشأة وتطور حضارة وادي الرافدين القديمة وهي الكتب المقدسة والحوليات والوثائق البابلية والأشورية التي عثر عليها ضمن المخلفات الأثرية و التي تتضمن تاريخ هذه المنطقة وذلك بذكر أسماء الملوك وأعمالهم[2]، ورغم اهتمام الأثريين والباحثين ببلاد الرافدين إلا أن ما كتب عنها لم يتجاوز كتابات بعض الرحالة الذين شاهدوا أطلالها ووضعوا وصفا منهجيا لها، فضلا عن ذلك وجود نسخ بعض الكتابات التي عاينوها في بعض المواقع الأثرية[3].

ومن الواضح أنه ليس بالإمكان دراسة تاريخ بلاد الرافدين إلا بإتباع طريقة "التقويم التاريخي Chronologie" والذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالتوثيق؛ أي بوجود النقوش والروايات التاريخية المعتمدة والرسمية وهذا يستوجب تتابع الأدوار التاريخية بتعاقب الأحداث الخاصة بالأسر الحاكمة ويندرج هذا الأسلوب ضمن اهتمامات الباحثين في الأشوريات والأكاديات، والذين يعتمدون في أساس دراستهم على جملة الأدلة المتوفرة ببلاد النهرين والتي هي عبارة عن وثائق اقتصادية، قانونية، إدارية ورسائل رسمية خاصة تعدّ بالآلاف[4].

وتتكون أغلب المصادر الوثائقية من نصوص رسمية: علاقات الموظفين، عناوين الشراء، كتب خاصة بالعبادة، عقود الإيجار، القروض وصيغ الإيداع، وفي أثناء عمليات التنقيب في المدن الرافدية القديمة جمعت مئات الآلاف من الرقم الآجرية والتي تحمل وثائق من هذا الشكل إلى جانب ذلك فقد تضمنت هذه

---

[1]- إن أوثق المصادر التي يمكن الاعتماد عليها لتتبع تاريخ بلاد الرافدين القديمة هي الأجزاء المتبقية من كتاب المؤرخ "برعوشا" (برسوس) والمعاصر للملك "الإسكندر المقدوني" والذي كتب التاريخ الآشوري، وحسب النصوص المسمارية فهو يعادل فيما قدم لشعوب آسية ما قدمه المؤرخ "مانيتون" لمصر. ينظر: Gustave Le Bon, **Les Premières Civilisations,** édit c.marpon et E. flammarion, Paris, (s.d), p p 472- 474.

[2]- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 07.

[3]- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 104.

[4]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 63.

المصادر رسائل للشخصيات الهامة كالموظفين والملوك وأهمها رسائل "حمورابي" ومراسلات مملكة "ماري"(الأرشيفات)، والتي تربطها ببابل[1] وأشور[2] إضافة إلى ذلك رسائل تل العمارنة[3].

وقد قلبت الدراسات الأثرية واللغوية والتاريخية الجديدة كل المفاهيم القديمة التي صاغها اللاهوتيون التوراتيون، فعالم الشرق القديم وفيه عالم الرافدين كما هو في ضوء المكتشفات الحديثة، لم يعد فردوس التوراة ولا جنات عدن كما تصورها الأقدمون، إنما هو عالم يمثل أقدم ميدان للجهد البشري الاجتماعي- السياسي حيث زرع الإنسان أول مرة في التاريخ ودجن الحيوان وبنى القرى والمدن وسجل بالكتابة والنحت والعمارة نتاج عقله وعلمه وفنه[4].

---

[1]- **بابل**: تقع في سهل فسيح موقعها مربع الشكل ويبلغ طول كل ضلع من أضلاعه 120 فورلنجا محيطها 480 فورلنجا، وعلاوة على مساحتها العظيمة لم تكن هناك مدينة أخرى تضاهيها فقد كان يحيط بها خندق عريض عميق مملوء بالماء ويرتفع وراءه سور من البناء عرضه 50 ذراعا مَلكية وارتفاعه 200 ذراع يجري وسطها نهر يقسمها إلى قسمين هو نهر الفرات، ويمتد سور المدينة إلى كل من جانبي النهر، حكمها عدة ملوك بذلوا جهودا ومساعدات في بناء أسوارها وتزيين معابدها. ينظر: أ.ج.إيفانز، **هيرودوت**، تر: أمين سلامة، مر: كمال الملاح، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2000م، ص ص 66-68.

[2]- **آشور**: تقع على الضفة اليمنى للدجلة تحتوي على قلعة أثرية تدعى "قلعة شرقاط" وهي العاصمة الأولى للدولة الأشورية من أشهر معالمها "الزاقورة" الخاصة بالإله آشور التي جدد بناءها الملك "شلمنصر الثالث"(859-824 ق.م)، كما اكتشفت في هذه المدينة العديد من الأثار أهمها أصنام آلهة وتماثيل الكهنة. ينظر: عبد الرزاق الحسني، **العراق قديما وحديثا**، ط3، مطبعة العرفان، لبنان، ص 75.

[3]- ف.دياكوف وس.كوفاليف، **الحضارات القديمة**، تر: نسيم واكيم اليازجي، ج 1، ط 1، دار علاء الدين، دمشق، (د.ت)، ص ص 75، 76.

[4]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص ص 13، 14.

الفصل الأول:

الإطار الجغرافي والحضاري لبلاد الرافدين

أولا: جغرافية بلاد الرافدين.

1. الإقليم الجنوبي
2. الإقليم الشمالي
3. المناخ
4. السهل الرسوبي

ثانيا: الأدوار الشبيهة بالكتابية.

1. حضارة الوركاء
2. حضارة جمدة نصر

ثالثا: بداية التاريخ في وادي الرافدين.

رابعا: السومريون.

خامسا: الكتابة في بلاد الرافدين.

1. الكتابة
2. مادة التدوين
3. الكاتب في بلاد الرافدين

أ. كاتب المعبد

ب. كاتب القصر

أولا: جغرافية بلاد الرافدين:

تمثل الظروف البيئية عاملا رئيسيا في الإنتاج الحضاري للإنسان فهذا الإنتاج بشتى أنواعه المادية والفكرية ما هو إلا نتيجة حتمية لتفاعل الإنسان مع ظروف بيئته المحيطة به، (وهنا نستطيع أن نصادق على النظرية القائلة أن الإنسان وليد بيئته) وبالتالي تتحكم فيه بشكل مباشر ومن هذا المنطلق تحدد المعايير الجغرافية المؤثرة في الطاقات الإنتاجية لحضارة بلاد الرافدين والتي تقع ضمن منطقة التقاء قارات العالم القديم إفريقيا، آسيا وأروبا وطريق الاتصال الخاص بالقوافل التجارية الآتية من أقطار الشرق الأقصى وبلدان البحر الأبيض المتوسط[1]، ويشمل العراق القديم المنطقة الممتدة من هضبة أرمينيا[2] في الشمال حيث ينبع نهرا الدجلة[3] والفرات[4] حتى الخليج العربي[5] في الجنوب لذلك اصطلح عليه أرض النهرين[6]، ويحدد موقع العراق بجنوب غربي آسيا ويحتل القسم الشمالي الشرقي من الوطن العربي ويشبه في مميزاته الطبيعية أرض مصر، ويعتمد سكانه في الأساس على مياه النهرين لتوفير احتياجاتهم اليومية[7].

---

[1]- أحمد أمين سليم، **حضارة العراق القديم (دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم)**، دار المعارف الجامعية، مصر، 2001م، ص 25.

[2]- **أرمينيا**: تقع في إقليم جبال القوقاز وتقوم على هضبة أرمينيا الوعرة، ويمثل العنصر الأرميني أغلب سكانها إلى جانب ذلك وجود بعض الأقليات الكردية والروسية وتشكلت الهضبة الأرمينية منذ ملايين السنين من النشاط البركاني، وتحتوي على حوالي مائة بحيرة جبلية. ينظر: **الموسوعة العربية العالمية**، ط 02، مكتبة الملك فهد الوطنية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1999م، ص 110.

[3]- **الدجلة**: ينبع من جبال أرمينيا جنوب غرب بحر "وان" في آسية الصغرى يبلغ طوله حتى مصبه في الخليج العربي 1750 كم ترفده أنهار رئيسية وفرعية أهمها "الزاب الأعلى والزاب الأسفل والديالي"، يستغرق فيضانه 03 أشهر خلال فصل الربيع من كل عام. ينظر: توفيق سليمان، **دراسات في حضارات غرب آسية منذ أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م**، ط1، دار دمشق، 1975م، ص 98.

[4]- **الفرات**: يبلغ طوله حوالي 2600 كم ينبع من جبال الأناضول في أواسط آسية الصغرى شمال وغرب بحر"وان"، أهم روافده "البليخ" و"الخابور" في الجزء الشمالي الغربي لبلاد الرافدين وفيضاناته الموسمية تستغرق ضعف مدة فيضانات الدجلة. ينظر: نفسه.

[5]- **الخليج العربي**: يقع جنوب غرب آسيا بين إيران وشبه الجزيرة العربية ويطلق عليه الأوربيين اسم "الخليج الفارسي" كما أطلق عليه هذه التسمية لأول مرة "نياخروس" قائد أسطول الإسكندر الأكبر، وفي القرن الأول أطلق عليه "بلين الكبير" اسم الخليج العربي بعد أن عرف الساحل الغربي ويصل مضيق "هرمز" بينه وبين خليج عمان. ينظر: **الموسوعة العربية العالمية**، ص 618.

[6]- محمد عبد اللطيف محمد علي، **تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق.م**، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1977م، ص 11.

[7]- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 329.

وتتشكل بلاد الرافدين من المناطق المحصورة ضمن إطار الدجلة والفرات واللذين ينبعان من مصدرين متقاربين وبالتحديد قرب منطقة القوقاز ويبتعدان عن بعضهما في بادئ الأمر مرورا بالمناطق الجبلية ليقتربا فيما بعد عند المصب(1) في شط العرب(2) مكونا مجموعة من التيارات المائية التي تصب ضمن الخليج العربي(3)، ويمتد سهل ما بين النهرين على مسافة 600 ميل وصولا إلى بلدة "أور"(4) (60 ميل شمال الساحل الحالي)، وينقسم هذا السهل إلى آشور في الشمال وبابل في الجنوب وعن أهم مدن آشور هي كالح (كلخو)(5)، نينوى ودور شروكين(6) والمدن البابلية بورسيبا(7)، بابل، أوما ولارسا التي تقع معظمها على نهر الفرات(8).

وقد أتى المصطلح الأوربي Mésopotamia من المصطلح الجغرافي اليوناني Mésopotamios والمترجم "ببلاد ما بين النهرين" مع الأخذ بعين الاعتبار أن مواطن هذه الحضارة القديمة تعدت هذا النطاق

(1)- **منطقة المصب:** تمتد حول منطقة شط العرب على طول مجراه والترسبات التي كونت هذه المنطقة تأثرت كثيرا بالمد والجزر في الخليج العربي إذ ينتج عن هذا المد تيار عال يدخل شط العرب ويؤثر في رفع مستوى الماء فيه إلى المترين تقريبا، ويؤثر في بطء مجراه أيضا مما ساعد على تجمع الترسبات حول الضفاف التي ارتفعت عما يجاورها، كذلك ساعد ارتفاع مستوى الماء وانخفاضه في النهر خلال فترتي المد والجزر عمليتي السقي والتصريف الملائمين لبساتين النخيل الكثيرة التي ترويها مئات الجداول والقنوات الجارية إليها من شط العرب. ينظر: جاسم محمد الخلف، **جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية**، ط3، دار المعرفة، القاهرة، 1965م، ص 50.

(2)- **شط العرب:** يبدأ من "قصبة القرنة" الواقعة على مسافة 75 كم شمال البصرة وينتهي في الخليج العربي، ويبلغ طوله حوالي 218 كم يتراوح عرضه ما بين (400-1200 متر). ينظر: عبد الرزاق الحسني، المرجع السابق، ص 72.

(3)- Georges Contenau, **Les Civilisations Anciennes du Proche Orient,** presse universitaire de France, Paris, 1963, P 10.

(4)- **أور:** تقع خرائبها على الضفة الغربية لنهر الفرات على مسافة 15كم جنوبي غربي الناصرية وهي من أوائل المدن المشيدة جنوب العراق في حوالي 5000سنة ق.م أشهر معالمها الزاقورة وكانت نهايتها على يد العيلاميين في حدود عام 2170 ق.م. ينظر: عبد الرزاق الحسني، المرجع السابق، ص 08.

(5)- **كالح:** العاصمة الثانية للآشوريين أشهر ملوكها "شلمناصر الأول" 1280-1260 ق.م، وازدهرت خلال عصر"آشور ناصربال الثاني" 883-859 ق.م، تقع خرائبها على الضفة اليسرى للدجلة ويطلق عليها "خرائب النمرود". ينظر: نفسه، ص ص 75، 76.

(6)- **دور شروكين:** قصر ملكي بناه الملك"سرجون الثاني" ويقع شمال شرق نينوى (dur-sharrukin). ينظر: جيمس هنري برستد، **انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم**، تع: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو- مصرية، القاهرة، (د.ت)، ص 215.

(7)- **بورسيبا:** مدينة بابلية تعرف اليوم باسم "برس نمرود" فيها آثار برج ذي أربعة طوابق، ومعبد كبير للإله "نبو". ينظر: هنري س.عبودي، **معجم الحضارات السامية**، ط 2، دار جوروس برس، لبنان، 1991م، ص 243.

(8)- مولاي أحمد حسين السليماني، **محاضرات في تاريخ الشرق القديم**، يول للنشر والترجمة والتوزيع، 2003م، ص 61.

الجغرافي لتمتد إلى المناطق المحيطة بها، فالعديد من المواقع الأثرية مثل: العبيد[1] وأوريدو[2] وأور قامت غرب الفرات إلى جانب أشنونا[3] شرق الدجلة ومن هذا المنطلق تفطن العديد من الكتاب الإغريق إلى محدودية لفظ"ميزوبوتاميا" وأضافوا إليه لفظ "بارابوتاميا Parapotamia" أي خارج منطقة النهرين أو ما حولها[4].

لذلك فمصطلح "ميزوبوتاميا" ضيق للغاية كون سكان هذه المنطقة قديما لم يستخدموا اسما يغطي كامل المنطقة التي كانوا يعيشون فيها، مع استعمال أسماء محدودة مثل: سومر وآشور وأكد[5] التي مثلت دويلات المدن والتي عتمت إمكانية إدراك مفهوم الوحدة الجغرافية[6]، فاصطلاح "بلاد ما بين النهرين" لم تطبق باستمرار على منطقة واحدة فقط فهي تتفق تماما مع معناها الاشتقاقي أي المنطقة الممتدة بين النهرين والمتعلقة بالقسم الشمالي للحوض، كما قادت هذه التسمية إلى احتواء بابل وبلاد سومر وحتى مناطق حدودية متاخمة دخلت تحت نطاق هذه التسمية، فهذا التبدل الدلالي (الذي يعني إطلاق اسم الجزء على الكل) أدى إلى حجب الوجه الأساسي للحقيقة الجغرافية التي أعطت لكل منطقة اسمها الخاص والتي يسعى الجيولوجيون إلى إبرازها[7]، كما يعده الجغرافيون جزءا من الجزيرة العربية لتشابه بيئتهما وعدم وجود

---

(1)- **العبيد**: يعد أقدم عصور فجر الحضارة في جنوب العراق، نسبت مخلفاتها الأثرية إلى تل يقع على بعد بضع كيلومترات من الناصرية غرب "أريدو" يمتاز بانتشار مخلفاته في أور، الوركاء، نفر، قلعة حجي محمد، لجش، وينتشر فخار العبيد شمال العراق وكذلك في عيلام. ينظر: عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص28.

(2)- **أوريدو**: تقع على مسافة 40 كم من الناصرية تعرف حاليا باسم "تل أبو شهرين" وهي المدينة المقدسة الثانية بعد "نيبور" وتعد مركز عبادة الإله "أنكي"، تدل آثارها أنها تعود إلى فترة العبيد ومن أشهر معالمها المعمارية الزاقورة التي شيدها الملك "أورنمو". ينظر: عبد الرزاق الحسني، المرجع السابق، ص 85.

(3)- **أشنونا**: مدينة في وادي "ديالي" (بلاد الرافدين)، تقع أطلالها في موقع تل الأسمر تضم هذه المدينة معابد وتماثيل تعود إلى فترة السلالات القديمة (2800-2500 ق.م) والسلالة البابلية الأولى، عثر فيها على كتابات أسهمت بشكل كبير في التعريف بتاريخ الشرق الأدنى القديم. ينظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص ص 88-90.

(4)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 101.

(5)- **أكد**: جاء اسم أكد أو أكاد أو أكادو (Akkdu) أغاديه وهي عاصمة الدولة الأكدية التي أسسها شروكين (سرجون) وموقعها قرب "كيش"، ورد ذكرهم ضمن نصوص مسمارية منذ الألف الثالث ق.م في شروباك وفي أور وكذلك في نصوص أبو صلابيخ المعاصرة لنصوص ايبلا. ينظر: محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 57.

(6)- جورج رو، **العراق القديم**، تر: حسين علوان حسين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1986م، ص 21.

(7)- جان كلود مارغرون، **السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية**، تر: سالم سليمان العيسي، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1999 م، ص 22.

فواصل طبيعية بينها وهو يكون الجناح الشرقي للهلال الخصيب[1] وهي تسمية أطلقها المؤرخ "برستد"[2] الذي يتشكل حسبه من بلاد الرافدين وسورية القديمة وفلسطين وواد النيل[3].

لكن ما يؤكد أنّ هذه التسمية (بلاد ما بين النهرين) وأصالتها البابلية هو أنها قد جاءت من الاستخدام القديم لهذه التسمية التي منذ العصر البابلي القديم حيث استعملت بصيغتها القديمة "مات بريتم Mat Biritim" أي "أرض ما بين"، كما استعملت كصفة للمنطقة الواسع من الإقليم البابلي التي كانت تحيط أو تقع بالقرب من كوثى/ كوتم أو كودوا القديمة Kutha/ Gudua or Kutum، حيث كان اسم تلك المنطقة يقرأ "بيرت ناريم Birit Narim" أي "ما بين النهرين"[4].

وتختلف بلاد الرافدين القديم عن باقي أقاليم الشرق الأدنى القديم الذي نشأت فيه الحضارات والمدنيات الأولى بأنه كان مهدا للبشرية ومرتكزا لدول ذات اكتفاء اقتصادي وهذا الأمر هو الذي أخر الوحدة السياسية في هذه المنطقة بالمقارنة مع أسبقية مصر في هذا المجال[5]، لهذا لم تجد بلاد الرافدين نفسها محصورة ضمن حدود طبيعية تفرض ذاتها كليا، وذلك تحت تأثير العوامل الداخلية والخارجية ولعدم تدعيم سكان المنطقة لعنصر الوحدة صارت عرضة للنفوذ الأجنبي والغزوات بمفهوم أنها عرضة للمؤثرات القطرية والتفكك وهذا ما أثبته السياق الزمني لانقراضها قبل الحضارة المصرية[6].

---

[1]- **الهلال الخصيب:** هو نطاق من الأراضي الخصبة في شكل هلال يمتد من خليج العقبة غربا إلى جبال طوروس شمالا ويشمل فلسطين وسوريا ثم ينحرف نحو الجنوب الشرقي بمحاذاة جبال زاجروس حتى الخليج العربي، ويضم سهول الدجلة والفرات وبين طرفي الهلال تقع صحراء شمال الجزيرة العربية. ينظر: حلمي إسماعيل محروس، **الشرق العربي القديم وحضارته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1998م، ص 05.

[2]- **برستد:** جيمس هنري برستد (1865-1935) ولد في روكفورد بولاية إيلنوي، أستاذ في علم الآثار المصرية ومدير لمعهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو ما بين(1919-1935). ينظر: نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، إش: ليونارد كوتريل، تر: محمد عبد القادر محمد، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص 165.

[3]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 20.

[4]- عامر حنا فتوحي، **الكلديون/ الكلدان منذ بدء الزمان بحث في الهوية الكلدية/ الكلدانية**، ط2، (د.د)، الولايات المتحدة الأمريكية، 2007م، ص 30.

[5]- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص11.

[6]- أندريه أيمار وجانين أوبوايه، **تاريخ الحضارات العام**، ج1، تر: فريد م.داغر، ط2،منشورات عويدات، بيروت،1976م، ص134

أما فيما يخص النهرين فدجلة بمرتفعاته الصلبة ذو مجرى سريع ويبدأ فيضانه في شهر مارس ليبلغ الذروة خلال شهر ماي لينتهي في منتصف شهر جوان ويحتوي على العديد من المستنقعات، أما الفرات فيكون بداية الفيضان فيه بعد مرور 15 يوما بعد فيضان الدجلة وينتهي في حدود شهر سبتمبر، وتتميز ضفافه بقلة الانحدار لذا يغمر معظم السهول مشكلا "السهول الفيضيّة" الأمر الذي جعل معظم السكان يستقرون على حوافه[1].

ويرجع سبب فيضان النهرين كل عام إلى ذوبان الجليد في جبال أرمينية أين تتحد مياههما بمياه الأمطار المتساقطة خلال فصل الربيع وتختلف طبيعة هذا الفيضان تبعا للأعوام مما يصعب إمكانية التحكم فيه، وينتج عنه بعد ذلك خسائر في المزروعات خاصة جنوب البلاد وقد عبر عن هذا البعد الطبيعي عن طريق أقدم النصوص الرافدية ومنها نص الطوفان السومري وملحمة[2] جلجامش، وقد كشفت عمليات التنقيبات جنوب بلاد الرافدين عن طبقات من الطين والرمل ضمن الطبقات الأثرية المختلفة وتم التعرف عليها ضمن العديد من المواقع أهمها شروباك[3]، أور والوركاء[4].

وهذا الارتفاع غير المنظم في السوية خطير من حيث كميات المياه الكبيرة المتدفقة[5] وقد ينتج عنه كذلك الجفاف المفرط، ولذا كان تنظيم الري ذا أهمية بالغة لتأمين المحاصيل[6]، وقد أدى ترسب طبقات

(1)- ديلا بورت، **بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والآشورية**، تر: محرم كمال، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص ص 17، 18.

(2)- **الملحمة**: قصيدة طويلة فخمة الأسلوب تدور حول بطل أسطوري وتروي انجازاته وبطولاته، وتتحدث عن تاريخ الأسلاف والقوى فوق الطبيعية التي يملكونها، وللشعوب البدائية ملاحم تروى مع الموسيقى والغناء وتكون في العادة طويلة جدا تقتضي روايتها أياما وليالي. ينظر: شاكر مصطفى سليم، **قاموس الأنثروبولوجيا**، ط1، جامعة الكويت، 1981م، ص 307.

(3)- **شروباك**: مدينة سومرية على بعد ستين كيلومترا من "الديوانية" اليوم، موطن "أوتونابشتم" بطل ملحمة الطوفان. ينظر: سعد صائب، **دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم**، ط1، دار طلاس، دمشق، 1994م، ص 80.

(4)- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 11، 12.

(5)- من المظاهر الواضحة في جغرافية بلاد الرافدين القديمة تغيير موارد المياه لمجاريها وكان ذلك من العوامل الكبرى التي أدت إلى الهجرة، وكثير من المناطق التي كانت تقع عند الحواف قد غيرت من موقعها بسبب تغير مجرى النهرين، أما نهر النيل فلم يتغير مجراه بشكل واضح كما هو الحال في بلاد الرافدين. ينظر: عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 05.

(6)- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 21.

الطمي الكثيرة التي كان يحملها التيار إلى المناطق القريبة من المصب إلى انحسار البحر، وتكوين الدلتا[1] التي صارت تلتقي فيها مياه النهرين وقد قام الرافديون كذلك بتحويل سلبية مياه الفيضانات إلى نقطة إيجابية وذلك بتكوين شبكة من القنوات صممت لغاية حفظ المياه وتوزيعها بنظام وعقلانية، وقد تكلمت المصادر الأدبية القديمة في المنطقة عن الأعمال الكبرى التي قام بها العديد من الملوك ومنها تكوين الشبكات المائية التي كانت مصدر فخر لهم[2].

أما من ناحية الأهمية الاقتصادية فلم يأخذ الدجلة مركزا معادلا للفرات لابتعاده عن منطقة البحر ومع ذلك فإنه يشكل طريقا تجاريا مهما إلى منطقة القوقاز وبحر قزوين عند نقطة اتصال القوافل بالنهر وفيها ظهرت فيما بعد مدينة آشور ونينوى[3]، وينقسم العراق القديم إلى إقليمين جغرافيين:

1. الإقليم الجنوبي:

وهو حديث التكوين نسبيا ولم يكن موجودا قبل الألف الخامس حيث كان جزءا من الخليج الفارسي أثناء العصر الجليدي وقد تكوّن هذا الإقليم جراء التراكم المتواصل للرواسب التي كانت تحملها المياه عنها، وهذه المنطقة منبسطة وواسعة شمالا وجنوبا تحدها شرقا الهضبة الإيرانية[4] وغربا صحراء العرب أما شمالا فيحدها الإقليم الشمالي للبلاد[5].

يتميز بالحداثة من الناحية الجيولوجية وينقسم إلى عدة أقسام يبتدئ بمنطقة مصب النهر في أقصى الجنوب ويمتد من منطقة التقاء النهرين حتى الخليج العربي ومنطقة الأحراش وتشمل المجريان السفليان للنهرين، وانخفاض أرض هذه المنطقة يجعلها ملائمة لتكون المستنقعات وتليها منطقة الدلتا والتي تشمل

---

(1)-**الدلتا**: سهل منخفض يتكون من الطين، الحصى، الرمل والرواسب عند المصب وتتشكل عندما تصب الأنهار في مياه مستقرة حيث تنخفض سرعة النهر بسرعة مع تراجع قدرته على حمل الرواسب، وأخذت اسمها من الحرف اليوناني "دلتا" لأن العديد من الدلتات مثلثة الشكل. ينظر: **الموسوعة العربية العالمية**، ص 650.

(2)- سباتينو موسكاتي، **الحضارات السامية القديمة**، تر: السيد بكر يعقوب، دار الرقي، بيروت، 1976م، ص 38.

(3)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 3.

(4)-**الهضبة الإيرانية**: تقع وسط إيران وغربها وتحتل نصف مجموع البلاد وترتفع حوالي 900 متر فوق مستوى البحر وتحيط بها الصحراء الملحية الكبرى وصحراء لوط. ينظر: **الموسوعة العربية العالمية**، المرجع السابق، ص 769.

(5)- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 11.

معظم القسم الجنوبي ويخترقها العديد من القنوات، وشمال الدلتا توجد منطقة السهول وهي نقطة الاقتراب النهائي لمجرى النهرين ما يجعلها المنطقة الأكثر عرضة للفيضانات الموسمية المدمرة[1] (ينظر الملحق رقم **01**).

الملحق رقم 01



خريطة توضح الإقليم الجنوبي من أرض النهرين وتقسيمه إلى مناطق استقرار[2]

---

[1]- أحمد أمين سليم، **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر، العراق، إيران**، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م، ص 214.

[2]- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 14.

وعرف القسم الجنوبي من بلاد الرافدين في بداية العصر التاريخي باسم "أرض سومر وأكد" وتعني أرض "سومر" نصفه الجنوبي حتى الخليج العربي، أما أكد فتمثل جزءه الشمالي وبدءا من الألف الثاني ق.م أطلق على هذا القسم اسم "بابل" ويتميز هذا الجزء بنسبة رطوبة عالية لكثرة المسطحات المائية فيه وتميزه منطقة المصب الخصبة التي تروي طبيعيا وهي حسب الافتراض أولى مناطق استقرار كونها لا تحتاج إلى مجهود كبير بالإضافة إلى منطقة المستنقعات ذات الإنتاج الزراعي الضئيل، لذلك قلت فيها الكثافة السكانية وكذا منطقة الدلتا والتي تتميز بتعدد فروعها ويعتمد سكانها على العمل الجماعي لبث النشاط الزراعي أما منطقة السهول فهي ملتقى نهري "ديالي"[1] و"دجلة" لذا فهي تتعرض لأعنف الفيضانات مع تعرض هذه المنطقة لجفاف الأحواض المائية صيفا[2].

وقد تكونت مساحة من الأرض المسطحة الخالية من الأحجار والصالحة للزراعة وكانت بطول 500 كم وعرضها حوالي 150 كم وقد أثبت الباحثون أن هذه المنطقة كانت سابقا قاعا لبحر ضخم، حيث عثروا في مدينة بابل على أصداف بحرية وهي أكبر دليل على هذه النظرية[3]، ولم يكن تشكل الجزء الجنوبي بشكل مباشر بل كان تكوينه تدريجيا نتيجة امتلاء الطرف الشمالي من الخليج العربي برواسب الدجلة والفرات وانحسرت مياه الخليج نحو الجنوب تاركة وراءها سهلا مستنقعيا، وبقيت هذه المنطقة خلال العصر الحجري القديم غير صالحة للاستقرار ودليل ذلك أن علماء الآثار لم يكتشفوا أيّة أدوات تعود لتلك الحقبة الزمنية[4].

---

(1)- **الديالي**: نهر في بلاد الرافدين طوله حوالي 442 كم، آخر الروافد المهمة على شاطئ الدجلة الأيسر قبل شط العرب، قامت على ضفافه مدن مزدهرة منذ العصور القديمة عثر فيها على معابد من مختلف العهود وعلى قصور وتماثيل وخزف يرقى عهدها إلى الألف الثالث ق.م ويمتد من فجر السلالة القديمة حتى السلالة البابلية الأولى. ينظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص 408.

(2)- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص ص 12-15.

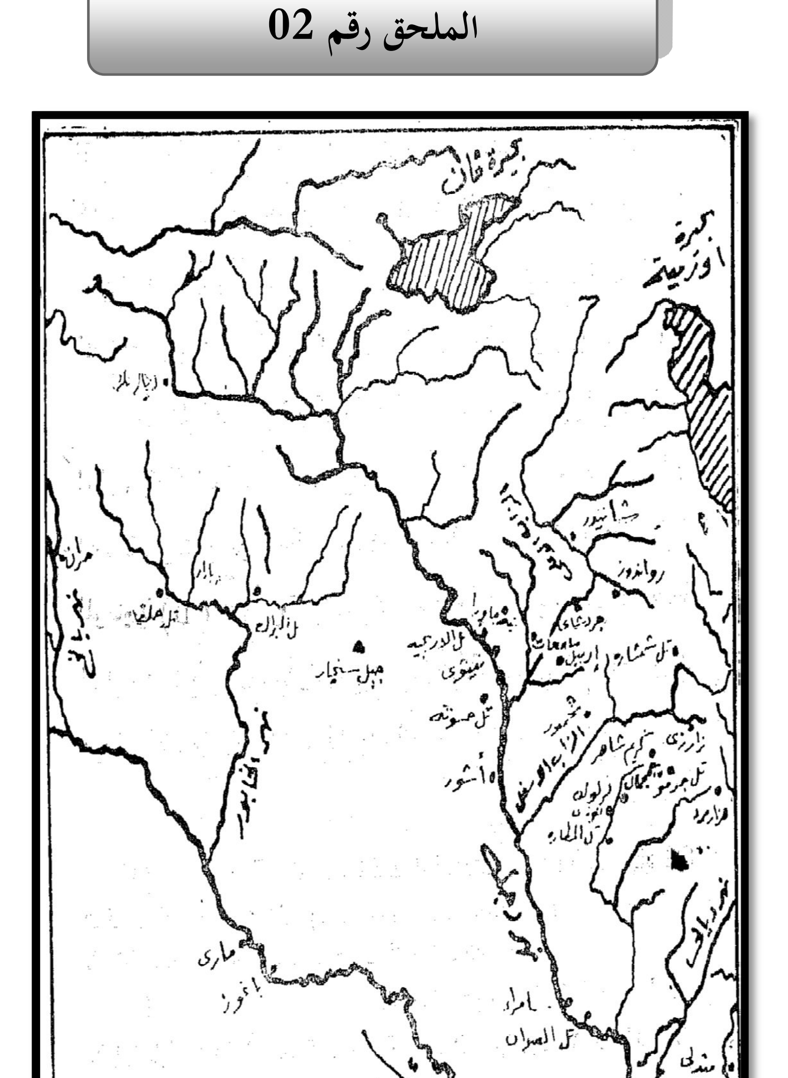
(3)- إبراهيم زرقانة وآخرون، **حضارة مصر والشرق القديم**، مكتبة مصر، مصر، (د.ت)، ص 255.

(4)- نعيم فرح، **موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي**، دار الفكر، دمشق، 1972م، ص 16.

2. الإقليم الشمالي:

يتكون من الوديان التي تحيط بنهري دجلة والفرات وفروعهما وتحيط به من الناحية الغربية سلسلة جبال "الطورال" الممتدة من بلاد الأناضول حتى الخليج الفارسي ومن ناحية الشرق تحده سلسلة جبال "زاجروس"[2]، وتغلب على هذا القسم الطبيعة الجبلية إذ تكثر فيه المرتفعات خاصة في جزئه الشمالي الشرقي الذي تتخلله وديان نهر دجلة وفروعه ويفصله عن الجهات التي تبعد عنه شمالا سلسلة جبال "طوروس" وهضبة أرمينيا ويطلق على معظم أجزاء هذا القسم باستثناء الأطراف الشمالية والشمالية الغربية فيما بين الخابور[3] والفرات تسمية "أرض آشور" وهي أهم مدينة في الشمال[4] ويعد هذا القسم أكثر ارتفاعا من القسم الجنوبي ويتميز بطبيعته الصحراوية الجافة إذ يبتعد فيه مجرى النهرين مما يقلل من تأثير عامل الرطوبة[5] (ينظر الملحق رقم **02**).

الملحق رقم 02



خريطة توضح الإقليم الشمالي من أرض النهرين ومواقعه الأثرية[1]

---

(1)- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 32.

(2)- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 13.

(3)- **الخابور**: نهر سوري من روافد الفرات (الضفة اليسرى)، طوله حوالي 320 كم كان على هذا النهر سدود رومانية أصبحت مجرد أطلال ، تقوم على ضفافه العديد من المواقع الأثرية أهمها: تل حلف، وتميزت منطقة الخابور بحضارة خاصة بها لاسيما خلال الألف الثاني ق.م وقد عرفت بالخزف المنقوش والذي يطلق عليه اسم "خزف الخابور". ينظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص 379.

(4)- أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 213.

(5)- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 16.

3. المناخ:

يتأرجح ما بين مناخ البحر الأبيض المتوسط والمناخ الصحراوي وعموما كانت تطرأ عليه تغيرات فجائية، ففي فصل الشتاء يكون هبوب الرياح من الشمال والشمال الشرقي مجتازة بذلك المرتفعات الثلجية في أرمينيا وإيران وتتسبب في انخفاض كبير لدرجات الحرارة مشكلة غطاءا جليديا ابتداء من شهر جانفي، ومن أهم الأنواع النباتية لهذا المناخ نذكر القمح البري والشعير والذي كان ينتج بكثرة، أما أشجار التين، الكروم والزيتون فكانت قليلة وأشهر الأشجار التي تنمو في المنطقة النخلة التي يستخرج منها الخمر، الخل والعسل والخبز كما تستعمل نواتها كعلف للماشية[1].

وفيما يخص المناخ قديما فكان أثناء العصور الجليدية[2] أكثر رطوبة مما هو عليه حاليا نظرا لتساقط الأمطار صيفا وشتاء، ومن الآثار المترتبة على تعاقب العصور المطيرة والجافة في المنطقة بروز المدرجات النهرية القديمة[3] ويظهر ذلك من خلال نهري دجلة والفرات[4]، أما الخصائص الطبيعية لبلاد الرافدين نجد في الجنوب (سومر) الرمال والمستنقعات في حين تنتشر السهول والأراضي الزراعية الخصبة في الوسط (أكد)، وقد أثرت البيئة الجغرافية لهذه المناطق على التنظيم السياسي بحيث كان لكل إقليم معالمه الجغرافية وقدراته الخاصة[5].

---

[1]- الحاج الطاهر زكية، **العهد القديم ومدى علاقة مضمونه بالدولة الآشورية والكلدانية ومملكة يهوذا**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2002م، ص 10.

[2]- **العصور الجليدية:** اصطلح هذا الاسم على فترة من تاريخ الأرض عندما كان جزء كبير من سطحها مغطى بالجليد، ووجدت أربعة عصور منها خلال البلستوسين وسميت بأسماء أجزاء جبال الألب وهي: جانز (600 ألف سنة)، مندل (450 ألف سنة)، ريس (200 ألف سنة)، فورم (80 ألف سنة). ينظر: نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، ص 208.

[3]- **المدرجات النهرية:** تعود إلى عصر البلايوستوسين لذلك تعتبر أقدم أجزاء السهل الرسوبي، وترتفع حوالي 10 أمتار فوق مستوى الأراضي المجاورة، لذلك لا يمكن ريها إلى برفع المياه إليها، وقد وجدت ثلاث مدرجات مختلفة لنهر الدجلة بالقرب من مدينة "سامراء" أما الفرات فلم تدرس مدرجاته بعد، غير أن بعضها يظهر على شكل جزر بالقرب من الفلوجة والإسكندرية والبقية توجد غرب الفرات بين الرمادي والهندية. ينظر: جاسم محمد الخلف، المرجع السابق، ص 46.

[4]- أحمد أمين سليم، (**حضارة العراق القديم...**)، ص 35.

[5]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 21.

وتتميز الأنهار بالتعرج ضمن الأراضي الطينية حيث توجد العواصف المطيرة المتقطعة ولا تتلقى هذه الأنهار كميات المياه اللازمة إلا مع فصل الربيع من خلال ذوبان ثلوج جبال "طوروس" و"زاجروس" لتأتي فيما بعد الفيضانات والتي اعتبرت ظاهرة يصعب التحكم فيها والتي هددت حياة السكان خاصة في السهول المنخفضة رغم ما توفره من مياه لعملية ري المحاصيل[1].

وتشير الدلائل الأثرية والجغرافية بأن مناخ العراق القديم لم تطرأ عليه تغيرات أساسية منذ أن استوطن الإنسان السهل الرسوبي في جنوب بلاد الرافدين منذ حوالي 700 سنة مضت فقد شهدت استقرارا بشكل أساسي منذ ذلك التاريخ، واعتمدت منطقة هذا السهل الرسوبي على الري بسبب قلة كميات الأمطار وتجسد ذلك من خلال جملة الجهود التي قام بها الإنسان الرافدي[2].

وقبل هذا الاستقرار البشري كان المناخ يتغير ضمن فعليات مهمة خلال العصور القديمة، ففي الفترة المحصورة ما بين (12000-8000ق.م) ساد المناخ الجاف ونتجت ظروف مناخية ملائمة لنمو بعض الأنواع النباتية مثل: السنديان والفستق التي كانت وافرة في منطقة الهلال الخصيب، لكن فيما بعد ظهر جفاف مقرون بعوامل قاسية متبوع ببعض الفترات الرطبة ولم يكن يلحظ عنف هذه العوامل من طرف المؤرخين بالقدر المطلوب خاصة بعد التعريف بأهمية هذه التغيرات المناخية خلال العصور المؤرخة، وفي وقتنا الحالي لم يطرأ على المناخ الكثير من التحولات عما كان عليه قبل حوالي 5000 سنة ق.م[3].

وكان لهذا المناخ تأثير مباشر على الإنتاج الزراعي فانخفاض درجات الحرارة وسقوط الصقيع في فصل الشتاء يؤدي إلى تلف الكثير من المحاصيل الزراعية، كما أن ارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف يزيد من نسبة التبخر على الغطاء النباتي ما يؤدي إلى موته، وينتج عن تفاوت كميات الأمطار وعدم انتظام

[1]- سيتون لويد، **آثار بلا الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي**، تر: محمد طلب، ط 1، دار دمشق، سورية، 1992م، ص 76.

[2]- مصطفى فاضل كريم الخفاجي، **تاريخ القانون في المجتمعات القديمة (قانون حمورابي أنموذجا)**، مج 03، العدد 02، مركز بابل للدراسات الإنسانية، (د.ت)، ص 04.

[3]- جون كلود مارغرون، المرجع السابق، ص ص 28، 29.

سقوطها تذبذب الإنتاج الزراعي في المناطق التي تعتمد على السقي الطبيعي[1].

ومن ناحية أخرى يمتاز مناخ بلاد الرافدين بالحرارة المرتفعة خاصة في الجنوب (50 درجة نهارا و27 درجة ليلا)، وهو جاف أيضا إذ لا تمطر إلا في أيام قليلة خلال السنة لذلك كان إلزاميا حفر القنوات والأراضي البعيدة عن مجرى الأنهار حيث تزرع الحبوب كالقمح والشعير والسمسم، وكذلك الخضار، الكروم والنخيل، وتنخفض درجة الحرارة كلما اتجهنا شمالا لتصبح أقل وطأة قرب منطقة "ماري" حيث تتساقط المياه بكميات أوفر، أما في الشمال فالحرارة معتدلة كما تكثر الأمطار والثلوج على الجبال المجاورة خلال فصل الشتاء[2].

ويؤكد هذه الحقائق المؤرخ "هيرودوت" حيث يقول: "تتلقى بلاد آشور كمية قليلة من المياه، وبالرغم من ذلك فهي ملائمة لنمو القمح، لكن يعود الفضل لقيام أساس هذه الزراعة إلى الري بالاعتماد على مياه النهر فترتفع بذلك كمية المحاصيل، وهذا الأمر ليس سيانا مع مصر حيث أن منسوب نهر النيل[3] يرتفع تلقائيا ليغمر الحقول المزروعة أما في منطقة آشور يتم الري بالاعتماد على اليد العاملة أو باستعمال آلات رافعة[4]، وباعتبار أن بابل كذلك مثل مصر مجزأة كليا بالقنوات"[5].

---

(1)- أحمد أمين سليم، (**حضارة العراق القديم**...)، ص 37.

(2)- محمود أمهز، **في تاريخ الشرق الأدنى القديم**، دار النهضة العربية، (د.د)، (د.م)، 2010م، ص 14.

(3)- **النيل**: من أطول أنهار العالم يبلغ طوله من منابع نهر كاجيرا أبعد روافده في الجنوب حتى مصبه في البحر الأبيض المتوسط نحو 2500 كم، ويحافظ في هذه المسافة الطويلة على اتجاهه نحو الشمال حيث نجد مخرجه من بحيرة فيكتوريا ومصبه عند دمياط على خط طول واحد تقريبا، وتبلغ مساحة حوض النيل حوالي 2.9 مليون كيلومتر مربع، وهو بذلك ثالث أحواض العالم النهرية مساحة ولا يسبقه سوى حوض نهر الأمازون والكونغو. ينظر: سمير أديب، **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص ص 827، 828.

(4)- **الآلات الرافعة**: أو الشادوف وهي من أقدم أجهزة الإرواء التي عرفها الانسان ومازال يستعملها على شواطئ نهر النيل وفي مناطق أخرى، يتكون الجهاز من وعاء يثبت في طرف عمود يرتكز بمفصل على عمود آخر مرتفع ومثبت على شاطئ النهر ويشد إلى الطرف الآخر من العمود ذي الوعاء ثقل من الطين أو الحجارة، فحين يرفع الساق الثقل إلى الأعلى يغطس الوعاء في الماء ويمتلئ وحين يسحبه إلى الأسفل يرتفع الوعاء وينسكب ماؤه في ترعة أو مجرى مائي فيصل إلى المزروعات. ينظر: شاكر مصطفى سليم، المرجع السابق، ص 868.

(5)- Hérodote, **Histoires**,Trad: Legrant, édit les Belles Lettres, 1932,p 153.

4. السهل الرسوبي:

يبلغ طول هذا السهل حوالي 650كم وعرضه 250كم يمتد على شكل مستطيل ويقع بين مدينتي "تكريت" على نهر الدجلة ومدينة "هيت" على نهر الفرات من جهة الشمال وجبال زاجروس من الشرق، الهضبة الصحراوية من الغرب، البادية الجنوبية والخليج العربي من الجنوب، يشغل حوالي ربع مساحة بلاد الرافدين وتكون منخفض هذا السهل في أوائل الزمن الجيولوجي الأخير نتيجة حدوث حركات أرضية هبطت بعدها الأقسام الجنوبية من المنطقة وتدخل في تشكيل هذا السهل الرواسب التي ينقلها النهران من الشمال والرواسب التي تأتي بها السيول المنحدرة من وديان الهضبة الصحراوية مثل: وادي "حوران"[1].

ويقع هذا السهل على الجهة الشمالية للدلتا حيث يقترب فيه مجرى النهرين وتتعرض هذه المنطقة لأعنف الفيضانات التي تصل غالبا إلى حد التدمير، ويتضح هذا المفهوم من خلال سعي الفرد الرافدي القديم إلى تجفيف المستنقعات وشق القنوات وتطهيرها وإقامة الجسور، ولعل السبب الذي دفعه إلى ذلك هو رغبته في الاستقرار ضمن هذه المنطقة خلال الألف السادسة ق.م[2].

كما يعود الفضل في تشكيل هذا السهل إلى تكدسات الرواسب القادمة من جبال الأناضول وزاجروس كما تعتبر منطقة غمر وفيضان هذين النهرين، فعند مدخل السهل النهري يتخلص النهران من جزء من حمولة الغرين (الطين) بشكل تدريجي ويصبحان تحت تأثير ارتفاعه من الجانبين هما المسيطرين على جوانب السهل المحيط بهما الذي ليس سوى أمواج متتابعة من الغرين والتي تراكمت مع عبر الحقب الزمنية الطويلة، ولن تتوقف هذه الأتربة الطينية إلا إذا حدث فيضان قوي يحيد مجرى النهر عن أصله ويدفعه إلى شق مسلك مائي جديد ومع مرور الوقت تطرأ تغيرات كبيرة على مواقع الأنهار[3].

وتقدر كمية الترسبات بمئات الأطنان سنويا ويعتقد بأنها كانت في بداية تكوين السهل الرسوبي أكثر مما هي عليه الآن نظرا لشدة الانحدار بين المرتفعات وبين الالتواء المقعر، يضاف إلى ذلك أن الأمطار

---

[1]-نخبة من الباحثين العراقيين، **حضارة العراق**، ج 1، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985 م، ص ص 35، 36.
[2]-أحمد أمين سليم، (**دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**...)، ص 214.
[3]- جان كلود مارغون، المرجع السابق، ص ص 22، 23.

خلال العصر الجليدي وفي الفترة التي أعقبته كانت أكثر غزارة مما يزيد من قوة الجرف والترسيب[1].

ثانيا: الأدوار الشبيهة بالكتابية:

1. حضارة الوركاء:

يعتبر عصر الوركاء العصر الحضاري التالي لعصر حضارة العبيد في بلاد الرافدين القديم وتنسب هذه الحضارة إلى موقع الوركاء "Warka" واسمها القديم "Uruk" وقد ذكرت في سفر التكوين[2] تحت اسم "أرك Ereck"[3]، تقع هذه المدينة الأثرية على مسافة 30 كم من "السماوة" جنوبا وتسمى حاليا "وركة" وهي أهم المدن السومرية القديمة ومن مراكزها الدينية المهمة في الألف الرابع ق.م[4].

تمكن الباحثون من التعرف على إنتاجها الحضاري في موقع "أوروك" القديمة وانتشرت ضمن قسمها المبكر في شمال بلاد الرافدين ومنها منطقة نينوى[5]، وتمثل هذه الحضارة عصر ما قبل الأسرات الأوسط وتقع شرق نهر الفرات وتعد من أهم المراحل الحضارية في هذه المنطقة حيث عرف الإنسان كيفية تشييد الأبنية باستعمال الطين اللبن المجفف واستخدام الفسيفساء في تزيين المباني، إلى جانب ذلك كانت الميزة الخاصة لهذا العصر توصل الإنسان الرافدي إلى معرفة الكتابة[6].

وكان التنقيب في هذه المنطقة عن طريق علماء الآثار الألمان الذين قاموا بحفرياتهم الأثرية بشكل متقطع لأزيد من نصف قرن وكانت أبرزها تنقيبات "هـ.ج.لينزن H.J.Lenzen " وهي أوفر مصدر للمعلومات الخاصة بهذا العصر، وترتبط هذه المدينة بأسطورة جلجامش الحاكم في عهد السلالات

---

(1)- جاسم محمد الخلف، المرجع السابق، ص ص 41- 43.

(2)- **سفر التكوين**: وهو الكتاب الأول للبنتاتوك والكتاب المقدس، ويتناول رواية الخلق وتاريخ البدايات الأولى، وهو يشمل كذلك الفترة الممتدة مابين وفاة النبي يوسف وميلاد النبي موسى (عليهما السلام). ينظر:

P. Larousse et C. Augé, **Petit Larousse,** Librairie Larousse, paris, 1964, p 1383.

(3)- أحمد أمين سليم، (**دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**...)، ص 240.

(4)- عبد الرزاق الحسني، المرجع السابق، ص 84.

(5)- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 111.

(6)- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 13.

القديمة[1].

ويطلق عليها كذلك اسم "الورقاء" وتقع أطلالها الحالية بين مدينتي بغداد والبصرة وقد كُرست هذه المدينة قديما لعبادة الإلهين "آنو"[2] و"إنانا"[3] وفي وسط المدينة حول زاقورة[4] من الطين معبد "أي-أنا" أي بيت الزوجة حيث تعبد "عشتار" السورية كشفها المنقبون الألمان بدء من عام 1928م[5].

وما ميز هذا العصر تطور فن العمارة وبروز دور العبادة التي اتخذت طابعا خاصا فشيدت على مصاطب في شكل "زاقورات" التي كانت من مميزات الطراز المعماري في بلاد الرافدين القديمة[6]، كما برزت كذلك ولأول مرة دواليب العجلات التي كانت تجر من طرف الدواب وكذا استعمال القوارب النهرية إلى جانب ذلك عرف إنسان هذا العصر طرق تشكيل الفخار الذي صنع بأعداد كبيرة بغرض توجيهه لميدان التبادل التجاري[7]، كما تم العثور على أبنية مشيدة من الطوب المجفف تحت أشعة الشمس وكذا بقايا معبد يرجح حسب الدراسات الأثرية أنه يعود إلى نهاية هذه الفترة الحضارية[8].

---

(1)- سيتون لويد، المرجع السابق، ص 67.

(2)- **آنو**: سمي بأب الآلهة، ولقب بسيد البلدان أو الأرضين اسمه يعني "الرب أو السيد" واشتقت منه صفة الألوهية "إيلتو"، فرض شريعته على جميع البشر وهو صاحب قرار إفناء البشر بالطوفان في ملحمة جلجامش، زوجته هي الإلهة "ننليل". ينظر: كامل سعفان، **معتقدات آسيوية (العراق فارس الهند الصين اليابان)**، ط 1، دار الندى، (د.م)، 1999م، ص ص 59، 60.

(3)- **إنانا**: أو"إينيني Inini " إلهة سومرية، أصل اسمها في اللغة السومرية هو"نين-أنّا" ويعني "سيدة السماء"، ورد اسمها في ملحمة جلجامش "إينانا/عشتار"، وكذا في ملحمة التكوين، كما سميت بالبغي المقدس. ينظر: حسن نعمة، **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة**، دار الفكر اللبناني، بيروت،1994م، ص 154.

(4)- **الزاقورة**: هو اصطلاح يطلق على برج المعبد الذي كان يبنى في المدن السومرية البابلية والآشورية الرئيسية وهو من الملامح المعمارية والدينية المميزة لمدينتهم، يعود اهتمام المستكشفين بها إلى التشابه الموجود بين أطلال المباني وبين برج بابل المذكور في التوراة (التكوين 02). ينظر: نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، ص 240.

(5)- أحمد داوود، **تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحرير**، ط3، منشورات دار الصفدي، دمشق، 2004م، ص 174.

(6)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 29.

(7)- نعيم فرح، المرجع السابق، ص 23.

(8)- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 08.

وتتميز هذه الحضارة بوجود أقدم أمثلة للنحت على السطوح المستوية كنحت التماثيل وهي أفضل المعثورات التي تدل على تطور الصناعة كالأواني الحجرية والأختام الأسطوانية[1] وأدوات الزينة، وكان الفخار خلال هذه الفترة أملسا وباللونين الأحمر والبرتقالي، إلى جانب هذا كانت المباني تزخرف بقطع صغيرة من الفخار أو الحجر الملون وتثبت على الجدران المبنية بالطوب على شكل فسيفساء[2].

وكانت الأختام الأسطوانية تضم في صناعتها الأحجار الكريمة ونقش عليها ما يمكن طبعه على ألواح الطين[3] كالنباتات، الحيوانات، الصور ذات الطابع الأسطوري، المعارك، الطقوس الدينية وكان من أهم إنجازات هذا العصر اختراع الدولاب وتركيب أولى الكتابات التصويرية[4] (ينظر الملحق رقم **03**).

وفي إطار الإنتاج الحضاري خلال المرحلة المبكرة يلاحظ أن معظم المادة الأثرية تضم المصنوعات الفخارية التي تنوعت من حيث الأشكال والألوان، وزينت الأواني بالعديد من الأشكال الهندسية المتنوعة من بينها الأواني المقوسة، ذات المقابض والآذان، أما في القسم الشمالي من بلاد الرافدين تميز هذا العصر بالتفوق في إنتاج المصنوعات المعدنية التي تضمنت النحاس، الذهب والأحجار الكريمة[5].

---

(1)- **الأختام الأسطوانية**: كان ظهورها خلال العصر الشبيه بالكتابي وهي من العناصر الحضارية المميزة إذ كانت في العصور السابقة من النوع المنبسط، وقد تميز كل عصر من أدوار حضارة وادي الرافدين بأنواع خاصة من الأختام الأسطوانية وعلى هذا تكون هذه الأخيرة على جانب كبير من الأهمية في تحديد وتزمين الطبقات الأثرية أثناء عملية التنقيب. ينظر: أحمد سوسة، **تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية**، ج 1، (د.د)، (د.م)، (د.ت)، ص 529.

(2)- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 339.

(3)- **الكتابة على الطين**: يختص بها صنف من الكتبة يطلق عليه اسم "Dub.Sar.Im.Ma" والتي تعني "كاتب الطين". ينظر: عامر عبد الله الجميلي، **الكاتب والكتبة في بلاد الرافدين القديمة (رسالة ماجستير)**، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2012م، ص 83.

(4)- أحمد داوود، المرجع السابق، ص 175.

(5)- أحمد أمين سليم، (**دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم...**)، ص 241.

الملحق رقم 03

عصفور				
سمك				
حمار				
ثور				
شمس				
سنبلة				
حقل				
محراث				
قذيفة خشبية				
قدم				

جدول يوضح الأصل التصويري لعلامات الكتابة المسمارية[1]

[1]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 55.

عثرت البعثة الألمانية على أواني فخارية ذات لون رمادي والتي اختلطت ببعض أنواع الفخار التي تعود لفترة العبيد[1] وكان لهذا الفخار الخاص بالوركاء طابع خاص إذ يمتاز بأحادية اللون وهو اللون الأحمر الذي يحتوي على مركبات الحديد والذي كان يحرق بشكل جيد وكشفت عينات منه في تل العبيد، لجش[2] وفي سوزا[3] وانتشر شمال البلاد وكذلك في نينوى وبلغ منطقة المتوسطي والأناضول[4]، وقد خصصت لإحراق الآنية الفخارية أفران كبيرة تمثل بقاياها في مدينة "أور" (سمك الطبقة الأثرية في حدود خمسة أمتار) وهي تعلو طبقة الترسيب الطوفاني بهذا الموقع ويطلق عليها تسمية "طبقة الأفران"[5].

وأقدم ما عثر عليه كذلك ضمن مخلفات هذا العصر هي القوائم الإحصائية التي تعنى بالأغراض الاقتصادية المتمثلة في أملاك المعبد من الحقول والماشية والمداخيل الخاصة بالمحاصيل والسلع المختلفة، وقد كتبت هذه الوثائق على ألواح طينية بواسطة قلم من البوص حفرت به العلامات الكتابية على المادة الطينية وهي لا تزال لينة والتي كانت في البداية صورية ثم أصبحت بعد ذلك اختزالا للصور الكاملة بكتابة أجزاء

---

(1)- **فخار العبيد**: سمي بهذا الاسم بعد اكتشافه لأول مرة في تل العبيد بالقرب من مدينة أور القديمة، واتضحت أنواعه بصورة دقيقة بعد التحريات التي أجريت في مواقع قروية أخرى مثل أور، أريدو والحاج محمد في الجنوب تبه كورا وتل الأربجية وتل حسونة في الشمال، لقد انتشرت صناعته في جميع أرجاء القطر العراقي وفي الأقطار المجاورة مثل سورية وسواحل الخليج العربي وإيران. ينظر: نخبة من الباحثين العراقيين، **حضارة العراق**، ج3، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، 1985م، ص 20.

(2)- **لجش**: أول من اكتشف موقعها "أرنست دي سارزيك" القنصل الفرنسي بالبصرة عام 1877م، حكم هذه المدينة سرجون وخلفاؤه ومن أهم حكامها الملك جوديا في حوالي 2700ق.م، ومن أهم مكتشفاتها "لوح النسور أو العقبان" إلى جانب بعض تماثيل "جوديا" ومنحوتات أخرى، واكتشف فيها على حوالي 30000 لوح طيني ضمن أرشيف إدارة المعبد الخاص بها. ينظر: نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، ص ص 345، 346.

(3)- **سوزا**: كان هدف الحفريات الكشف عن ثلاثة مواقع وهي التلال الأثرية في المنطقة والساحة الرئيسية للقصر وأخيرا المدينة الملكية، وقد تم الحفر إلى غاية المستوى الثاني بمعنى 25 مترا بسمك يتراوح مابين 7 و11 متر، وقد تم استغلال مستوى اصطناعي سمكه متر ونصف مابين سنتي 1912 و1913 وكذا عام 1922م، وقد بلغ مستوى الحفريات في الجزء الجنوبي الغربي القاع الصخري (في حدود 9 متر)، وفي عام 1908م حدد شمالا باستعمال الآجر لكن هذا التوسيع ما بين عامي 1909 و1910م لم يأتي بنتائج، وقد حفر كذلك في الجزء الجنوبي الشرقي في نفس المستوى لكن دون فائدة رغم بلوغها المستوى الثالث (20 متر) وبلوغ الحفائر تربة قديمة دون العثور على وثائق. ينظر:

V. Scheil et F. Thureau –Dangin, **Revue D'Assyriologie et D'Archéologie Orientale,** Vol 21, 1924. P 14.

(4)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 30.

(5)- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 113.

منها فقط[1].

وكان انتشار المواقع الأثرية التابعة لعصر الوركاء على طرق تجارية هامة، منها الطريق الدولية الواقعة على منعطف نهر الفرات حيث يقترب هذا الأخير من مناطق البحر الأبيض المتوسط، وكانت البضائع تنقل إلى موانئ الفرات ثم إلى جنوب بلاد الرافدين وجنوب إيران، أما الطرق العلوية في الجزيرة فكانت مخصصة لنقل المعادن والحبوب، واستخدمت هذه الطريق عبر عصور عديدة فكانت تنقل السلع من هضبة الأناضول إلى أودية الخابور، وأسهمت هذه الطرق في انتشار هذه الحضارة على نطاق واسع وأسهم الميدان التجاري في اختراع نظام الكتابة والتدوين الموثق ومن ثم الانتقال إلى العصور التاريخية، وقد امتدت هذه النقلة في بلاد الرافدين وسوريا في وقت واحد[2].

2. حضارة جمدة نصر:

تمتد هذه المرحلة زمنيا ما بين (3200 ق.م-3000 ق.م) وهي تمثل فترة ما قبل الأسرات الأخير في بلاد الرافدين القديم[3]، وتقع هذه القرية بالقرب من مدينة كيش[4] عثر فيها على مجموعة من الأواني الكبيرة المزينة بأربعة رسوم وهي سعف النخيل، السنابل، وتقديم القرابين للآلهة في شكل كباش وتعتبر هذه المخلفات ضمن آخر مراحل حضارة العصر الحجري الحديث[1]، كما تمثل في نفس الوقت المرحلة الأخيرة لعصر ما قبل الكتابة (الشبيه بالكتابي) [2].

[1]- أحمد أمين سليم، (**دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم...**)، ص 242.

[2]- حسين فهد حماد، **موسوعة الآثار التاريخية (حضارات، شعوب، مدن، عصور، حرف، لغات)**، دار أسامة، الأردن، 2003م، ص 669.

[3]- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 34.

[4]- **كيش**: كانت هذه المدينة مركز أربع سلالات مبكرة في تاريخ وادي الرافدين والفرنسيون هم أول من نقب فيها بإدارة "هنري دي جينوايلايك" وذلك عام 1927م، وفيما بعد فريق من الإنجليز والأمريكان ما بين 1923م-1933م، وعثر فيها على قصر سومري إضافة إلى مقبرة تعود إلى سلالة مبكرة. ينظر: حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص 545.

[1]- حلمي إسماعيل محروس، المرجع السابق، ص 08.

[2]- **العصر الشبيه بالكتابي**: وهو الدور الذي طرأ فيه التغيير بالنسبة لاتجاه كتابة العلامات المسمارية، فبعد أن كانت كتابة الأسطر من الأعلى إلى الأسفل أصبحت تكتب أفقيا من اليسار إلى اليمين، ومن أهم آثار ومباني هذا الدور أنه على مستوى راق في مجال العمـــــارة

ومن بين مخلفات هذا العصر معبد الوركاء والمسمى بالمعبد الأبيض[1] والمشيد بالطين اللبن المجفف كما تميز هذا العصر بتحسن نوعية صناعة الأواني الفخارية ويتميز بكونه مصنوع على عجلة الفخار[2] وهو جيد الإحراق والصقل وذو أحجام متعددة وعلى أشكال متنوعة والتي يغلب عليها الشكل الكروي مع تزويد فوهاتها بسدادات من الطين كأغطية لها[3]؛ أي أن الميزة الخاصة لفخار جمدة نصر المعثور عليه ضمن الطبقة الأثرية الثالثة أنه مصنوع بالاعتماد على عجلة الدولاب السريعة الدوران[4]، وخلال هذا العصر يلاحظ وجود تطور من ناحية الإنتاج الحضاري إذ تدل مخلفات هذه الفترة على انتشار استعمال النحاس بشكل واسع وكذا بناء المدن وتقوية العلاقات مع بعض البلدان كعيلام[5] وشبه الجزيرة العربية وسورية وأيضا إتقان الكتابة التصويرية[6]، ويمتاز هذا العصر بالأختام الأسطوانية على النقوش والتي تمثل الحيوانات غير أنها لم تكن دقيقة الصنع كمثيلتها التي عثر عليها في منطقة الوركاء، أما الكتابة فاختصرت من 2000 إشارة إلى 800 ثم إلى 600 إشارة فيما بعد[1].

وقد كثر استخدام هذه الأختام خلال هذا العصر والغرض الأولي منها هي الدلالة على الملكية الشخصية ثم استخدمت بعد ذلك في طبع الألواح الطينية ووظفت ضمن أغراض دينية وحربية وقد انتشرت

كالقصور والمعابد (أول نموذج للزاقورة). ينظر: أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 159.

(1)- **المعبد الأبيض**: سماه المنقبون كذلك كون جدرانه مطلية باللون الأبيض من الخارج والذي كان قائما على مصطبة من القرميد، ولم يكن في الواقع سوى إعادة بناء لهيكل يشبه هيكل "أريدو" ويمكن أن تؤرخ فترته بعصر "العبيد"، أما مخطط إعادة بناءه فيعود إلى فترة "جمدة–نصر" ويتمتع بأهمية بالغة كونه يحافظ على كل الخصائص الرئيسية لعصر العبيد مع وجود تعديل واحد وهو أن حجم المنصة أصبح أكبر من المرحلة السابقة ويمكن اعتباره نموذج فريد للزاقورات السومرية. ينظر: سيتون لويد، المرجع السابق، ص 68.

(2)- **عجلة الفخار**: عجلة يديرها الفخار أو مساعده باليد ثم تطورت فصارت تدار بالرجل، ثم أضحت في الوقت الراهن تدار بقوة التيار الكهربائي، وحين تدور العجلة تدير قرصا مثبتا فوقها توضع عليه المادة التي تصنع منها الآنية الفخارية أو الخزفية، اخترعت هذه العجلة في مصر في حوالي 5000 سنة ق.م ولم تعرفها أوروبا إلى بعد 2500 ق.م. ينظر: شاكر مصطفى سليم، المرجع السابق، ص 763.

(3)- أحمد أمين سليم، (**دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**...)، ص ص 243، 244.

(4)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 33.

(5)- **عيلام**: تسمية أطلقها كتاب العهد القديم على المنطقة الواقعة غرب فارس وشرق مدينة بابل وجنوب مملكتي آشور وميديا (الميديين)، كانت عاصمتها "شوش أو أوشوشان". ينظر: هنري س عبودي، المرجع السابق، ص ص 627، 628.

(6)- نعيم فرح، المرجع السابق، ص 23.

(1)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 33.

هذه الأختام عن طريق التجارة على الأرجح في القسم الشمالي من العراق القديم كما انتشرت أيضا في الشمال السوري وبلغت الأناضول ومصر وبعض مواقع الهضبة الإيرانية[1]، اعتبر الباحثون هذا العصر كامتداد لحضارة أوروك لتشابه المواضيع، الصور والأختام وأصبحت الكتابة فيها أكثر انتشارا وما ميزها الانتقال إلى الطور الصوتي والخاصية الانفرادية التي ميزت هذه الفترة هي بروز فن النحت الذي تطور بسرعة كونه يعبر عن مظاهر الحياة المختلفة بشكل مبسط[2].

ثالثا: بداية التاريخ في وادي الرافدين (فجر الحضارة):

برزت الأطوار الأولى لحضارة بلاد الرافدين ضمن الواحات وأعالي الفرات وكان الإنسان خلال تلك المرحلة يعتمد على الري الطبيعي وكانت الزراعة قائمة في الأساس قرب منابع المياه وهي أسهل من الزراعة النهرية التي تعتمد بدورها على تنظيم الري وبناء السدود وظهرت بوادرها في بعض المناطق كجرمو[3] وتل حسونة[4] ومن الأسباب التي دفعت الإنسان في عصر فجر الحضارة للانتقال إلى وادي الرافدين هو العامل الطبيعي المتمثل في انتشار الجفاف الذي عم منطقة الشرق الأدنى خلال أواخر العصر الحجري القديم[1] ووفد الإنسان إلى هذه المنطقة وهو مزود بمجموعة من الدروس البدائية في الري وصناعة الفخار وبالتالي كان هذا الأمر كبداية للتفاعل الإيجابي مع بيئته[2].

---

[1]- أحمد أمين سليم،(**دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**...)، ص 245.

[2]- أحمد داوود، المرجع السابق، ص 175.

[3]- **جرمو**: تعتبر من أقدم التجمعات السكانية المعروفة، والمعدات الزراعية والآنية الفخارية التي وجدت فيها أثناء الحفريات تعود في الواقع إلى الألف الخامس ق.م. ينظر: نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، ص 215.

[4]- **تل حسونة**: تعتبر بمثابة المرحلة الحضارية الرئيسية المميزة لحضارة العصر الحجري الحديث في العراق والتي أعقبت حضارة جرمو، وتشير الحفريات فيها إلى وجود مخلفات بشرية أهمها الفخار وبعض المساكن البدائية المصنوعة من الطمي إلى جانب ذلك اعتمادها على الزينة والزخرفة. ينظر: نبيل محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 20.

[1]- **العصر الحجري القديم**: هو الاسم الذي أطلق على تلك الفترة الطويلة التي تزيد عن نصف مليون سنة، استعمل الإنسان خلالها الأدوات الحجرية وشملت ثلاثة مراحل: القديم، الأوسط والحديث ثم تلاها عصر البرونز والحديد. ينظر: نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، ص 215.

[2]- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 25.

وقد ظل القسم الجنوبي من المنطقة مغطى بالمياه مما جعل حياة الناس فيه غير ممكنة إلى ما قبل الألف الخامسة ق.م، أما الشمال فالوضع فيه مختلف فجزءه الغربي هضبة واسعة من السهوب[1] المتموجة والجزء الشرقي وراء الدجلة مليء بالغابات والوديان وبالتالي فقد هيأت في هذه المنطقة الشروط الملائمة لحياة الإنسان لذا كان من الطبيعي أن يكون هذا الإقليم المهد الأول الذي نشأت فيه طلائع حضارة وادي الرافدين القديمة[2].

وتشير الدلائل الأثرية واللغوية والتاريخية إلى تعدد أصول السكان في بلاد الرافدين ويتكون مجتمعها القديم من عناصر أصيلة وجدت قبل عصر الكتابة وعناصر وافدة، فالمناطق الزراعية الخصبة جذبت القبائل البدوية المجاورة من الجبال والهضاب الشمالية والشرقية[3]، ولم يكن ممكنا معرفة أسماء الشعوب والقبائل التي سكنت البلاد وأنشأت أسس الحضارة فيها إلاّ بعد اختراع الكتابة (أواخر الألف الرابع ومطلع الألف الثالث ق.م) التي بينت في الأساس وعلى الأقل لغات هذه التشكيلات العرقية القائمة في المنطقة[4].

ويرجح أن عصري تل حسونة وتل حلف[1] يشملان الألف الخامس ق.م بينما عصر تل العبيد في حوالي 4000-3000 ق.م، عصر أوروك 3300-3100 ق.م وعصر جمدة نصر 3100-2800 ق.م. وخلال تلك الفترة الأخيرة تطورت الحضارة السومرية تطورا كبيرا جعل الشمال يتخلف عن الجنوب

---

(1)- **منطقة السهوب**: تحتل حوالي 15% من مساحة العراق وتقع ضمن حدود المنطقة الشبه جبلية وضمن منطقة مناخ السهوب، وتكون الحشائش معظم نباتاتها ويشتمل القسم الباقي على النباتات البصلية والشوكية، ولا يوجد حد واضح بين هذه المنطقة وبين المنطقة الصحراوية، وقد تعرضت بعض أجزائها إلى الجرف الشديد ففقدت تربتها بسبب الرعي المفرط والزراعة العشوائية، ويعتقد أن النبات في هذه المنطقة كان خلال الفترات القديمة أكثر كثافة وتنوعا مما هو عليه الآن، لأن الزراعة والرعي آنذاك كانا أقل استخداما. ينظر: جاسم محمد الخلف، المرجع السابق، ص ص 126، 127.

(2)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 106.

(3)- **الشعوب الجبلية**: يصعب تحديد بداية عصر الشعوب الجبلية لأن القبائل هاجرت في دفعات غير منتظمة من الجبال خارج بلاد الرافدين إلى داخل هذه البلاد، ومن أشهرها: الكاشيون في الوسط، الحوريون- الميتانيون شمال وغرب البلاد ثم الحيثيون والهكسوس. ينظر: سعد صائب، المرجع السابق، ص 25.

(4)- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 51.

(1)- **تل حلف**: عثر على مخلفات هذه الحضارة في تل حلف وتل الأربجية قرب الموصل وسامراء ونينوى وتدل الحفريات على تقدم إنسان هذه الحضارة من حيث أساليب الزراعة وصناعة الأواني الفخارية المتعدد الأشكال والألوان وترجح فترتها في حدود (4500 ق.م). ينظر: نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 22.

فتوسعت المدن حول المعابد وظهر التنظيم والسلطة الإدارية التي نظمت قنوات الري ونتج عن هذه الإستراتيجية زيادة الإنتاج الزراعي وكذا ظهور الصناعات كالأختام الأسطوانية واختراع الكتابة قبل الألف الثالث ق.م وهذا التقدم كنتيجة للتطور الداخلي في منطقة الهلال الخصيب[1].

وتلاقت في أرض الرافدين القديم العديد من الموجات المهاجرة عرفت في السجلات والوثائق الرافدية بأسماء مختلفة منها الأموريون[2] والآراميون[3] الذين اختلطوا واندمجوا بالسومريين والأكديين مكونين المجتمعات الحضرية الريفية الزراعية والمدنية والتخلي بالمقابل عن حياة البداوة[4]، وقد بدأ العصر التاريخي في القسم الجنوبي من أرض النهرين بعد التوصل إلى التعبير بالكتابة وتتميز بدايته بنظام حكومات المدن ذات الكيان المستقل فبداية هذا العصر حقق للبلاد الوحدة السياسية ويعود انتقال القسم الجنوبي لطور المدنية بدءا من فترة قبل الكتابة وهذا وفقا للآثار المدروسة في المنطقة[5].

إلى جانب ذلك كان عصر فجر الحضارة في بلاد الرافدين ممتازا في صناعة الأواني الفخارية المزينة بالرسوم الهندسية،، الحيوانية والمظاهر الطبيعية وانتشرت هذه الصناعة حتى بداية هذا العصر، وهذه الفترة غالبا ما تكون المرحلة المشتركة بين حضارات الشرق الأدنى كله، كما عرف الرافديون كيفية صنع الأدوات النحاسية بدءا من عصر العبيد (4000 ق.م) وصناعة البرونز منذ عصر جمدة نصر (3200 ق.م) كما عرفوا عجلة الفخار التي استخدموها لصناعة الأواني الطينية عوضا عن صناعتها يدويا، بالإضافة إلـى ذلك

---

[1]- أحمد داوود، المرجع السابق، ص 174.

[2]- **الأموريون**: مجموعة من البدو الساميين كانوا يرتحلون في منطقة الهلال الخصيب واستوطنوه ما بين 2200-1700 ق.م، بينت الحفريات الأثرية التي أقيمت في موقع "ماري" والتي عثر فيها على حوالي 20 ألف لوح على المستوى العالي الذي بلغوه في التنظيم الإداري والفن والمهارة المعمارية. ينظر: نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، ص 101.

[3]- **الآراميون**: يجمع المؤرخون أن أصلهم يعود إلى شمال شبه الجزيرة العربية (بادية الشام) وقد ذكروا في العهد القديم المتضمن للأحداث المتعلقة بمملكة آرام دمشق، وبدأت أولى تحركاتهم في منطقة الشام بدءا من منتصف الألف الثاني ق.م وأول إشارة إلى وجودهم تعود لفترة حكم الفرعون "أمينوفيس الثالث" 1463-1364 ق.م حيث وردت عبارة بلاد آرام. ينظر: سمير عبده، **السوريون والحضارة السريانية**، ط1، دار الحصاد، دمشق، 1998م، ص ص 19، 20.

[4]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 51.

[5]- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 175.

تمكنوا من تشكيل السفن الشراعية إذ عثر في منطقة "أريدو" على بعض نماذج للقوارب[1].

رابعا: السـومريـــون:

كان اكتشاف الحضارة السومرية عن طريق الصدفة عندما بدأ المنقبون في الكشف عن حضارة وادي الرافدين، حيث كان الهدف الرئيسي البحث عن بقايا البابليين والآشوريين التي ذكرها الكتاب المقدس والمؤرخين الكلاسيكيين، وقد وجدت العديد من الآثار والوثائق التي تدل على وجود شعب غير معروف سبق وجوده هذين الشعبين، والذي منح المنطقة بعدا إنسانيا وحضاريا جديدا وهو الشعب السومري[2].

ليست الحضارة السومرية ثقافة عابرة كتلك الثقافات المحدودة التي اكتشفت منها نماذج عديدة متباعدة بل هي حضارة واسعة النطاق كاملة الأوصاف، إنها حضارة تتميز بتنوع النشاط في التنظيم الاجتماعي، السياسي والاقتصادي في المؤسسات المدنية وإنشاء الحواضر والدول وتكوين الحقوق والواجبات وتنظيم إنتاج المواد الغذائية وأدوات العمل وتعزيز الصناعة والتجارة وتسهيل النقل والتبادل وظهور المعالم العليا للفن أدبا ونحتا وتصويرا[1].

لذلك يعد السومريون أول من وضع القواعد الأساسية للحضارة الزراعية المحلية، وقد طوروا في نفس الوقت نظام الري والسقاية من أجل التحكم في الاقتصاد وهم مـــن أول المبادرين فـــي ميدان صهر المعادن

---

(1)- **القوارب:** يحتوي متحف بغداد في القاعة السومرية على نماذج متنوعة لزوارق من الفخار والفضة والقار، وكان استخدامها يتطلب مهارة وقابلية في فن القيادة والتدريب على التجذيف، كما أن أنظمة الملاحة عرفت في بلاد الرافدين منذ القديم وهذا ما جرى تنظيمه ضمن الشرائع القديمة، وقد توزعت بين النهرين وعلى امتدادهما مراكز حضارية نشطة اعتمدت على الطرق المائية في مواصلاتها مما أدى إلى تسريع عملية صناعة السفن والقوارب، وكانت هذه الصناعة ذات تقنية عالية فكانت الزوارق تصنع من الجلود، القصب والبردي والخشب وبعض المواد الأخرى، وإن أقدم دليل على صناعتها يعود إلى عصر العبيد في أريدو وهو نموذج مصغر من الفخار لقارب شراعي والعثور عليه ضمن مقبرة يرمز إلى علاقته بمعتقدات ما بعد الموت. ينظر: كامل طه الويس، **رياضة التجذيف في العراق القديم**، مج 10، العدد 02، جامعة بغداد، 2001م، ص ص 55، 56.

(2)- Sabatino Moscati, **L'Orient avant les Grecs (Les Civilisations de la Méditerranée antique),** presse Universitaire de France, Paris, 1963, p 23.

(1)- جورج كوسى، **أعرق الحضارات**، دار الفرقد، سوريا، 2006م، ص 14.

وبالتحديد صناعة النحاس[1].

لكن من جهة أخرى لا يمكننا أن نجعل فكرة الحضارة المحلية مسلمة مفروضة خاصة وإذا علمنا أن مجيء السومريين واستقرارهم في المنطقة كان على حساب ثقافات سابقة (حضارة العبيد) وأن الأدلة الأثرية تبرز بدورها نقيض الطرح القائل بأسبقية السومريين وصياغتهم للقواعد الخاصة بالمدنية لذلك تبقى هذه الفكرة على حد تصورنا خاضعة لمبدأ القياس والتقدير الخاضعين لنتائج البحث الأثري، كما أننا نتساءل بشكل مفرط عن أصل هذا العنصر وكيف أن الباحثين والأثريين قد تغاضوا في البحث عن مصدرهم مع أنهم ذكروا انجازاتهم الحضارية بشكل كامل، فهذا الطرح يعتم نوعا ما إمكانية تصنيف الحضارة الرافدية بشكل يتماشى مع إطارها الزمني المنطقي.

وقد عاش هؤلاء في جميع أنحاء بلاد الرافدين وكان مركز حضارتهم الأولي في سهل "شنعار" أو "جنة عدن"[2] كما يسميها الكتاب المقدس، وهم صناع الحضارة بحيث أقاموا المدن ونظموها لأول مرة وبنوا المعابد وأنشئوا المدارس والمكتبات، كمل أبدعوا من خلال اختراع الكتابة المسمارية واللغة السومرية التي سرعان ما انتشرت في جميع حواضر الشرق الأدنى القديم[1]، وهم الذين طوروا هذه الحضارة وطوروها ما بين الألفين الخامس والثالث ق.م حتى وإن لم يكونوا أول من استوطن المنطقة[2].

وقد اختلف المؤرخون حول أصل السومريين إذ لم يكن ممكنا إرجاع لغتهم إلى عائلة اللغات السامية[3] أو إلى عائلة اللغات الهندو- أوربية لذلك يرى العديد من الباحثين أن أصولهم الفعلية تعود إلـــى

[1]- Roger Caratini, **Bordas Encyclopédie Histoire Universelle (Le Monde Antique),** édit bordas, Paris, (s.d), p 40.

[2]- **جنة عدن**: اعتبرت بلاد الرافدين هي مكان الفردوس ولكن يصعب إدراك مثل هذا التموضع لأن غزارة هذه الفكرة الضمنية المقترنة مع خلق بستان عدن لا تفسر وضع بلاد الرافدين الطبيعي، خاصة وأن ميزة هذا البستان كانت ثمنا للجهد البشري الذي عمل ضمن شروط خاصة أوصلته إلى تطور ايجابي، وكانت هذه الفكرة من إيحاء محرري سفر التكوين كما لها معنا آخر وهو (دار النعيم واللذة) ينظر: جون كلود مارغرون، المرجع السابق، ص 24.

[1]- سليم مطر، **موسوعة اللغات العراقية**، ط1، مركز دراسات الأمة العراقية، بغداد، 2009م، ص 332.

[2]- هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص 513.

[3]- **اللغات السامية**: هي من زمرة اللغات المتصرفة السهلة الفهم "Flexionnelle" وقد صنفت ضمن مجموعتين : الشرقية المتمثلة في

شرق بلاد الرافدين أو جنوبها الشرقي مع وجود رأي آخر بأنهم جاءوا عن طريق البحر وأنهم من نفس الجنس الذي استقر في مصر في عصر ما قبل الأسرات بينما راجت فكرة ثالثة ومفادها أن السومريين جنس محلي طور حضارته داخليا[1].

وقد كان إجماع الباحثين على عدم وجود نقاط اتصال بين السومريين والجنس السامي[2] بحيث لا يمكن تحديد زمن مجيئهم إلى جنوب وادي الرافدين مع وجود بعض الافتراضات التي حددت وجودهم زمنيا في الألف الرابعة أو الثالثة ق.م[3] وعن الآراء المتضاربة بخصوص أصلهم فهناك من يرى أنهم هاجروا من منطقة تقع بين الهند وأفغانستان وجاءوا عن طريق الخليج العربي والبحرين بعد استقرارهم فترة من الزمن في إيران، والرأي الآخر يرى أنهم ينحدرون من منطقة القوقاز أو بحر قزوين أو آسية الصغرى مع الأخذ بعين الاعتبار الرأي القائل بأصلهم المنتمي إلى بلاد السند[1] والرأي الأكثر منطقية والأقرب من بين جميع الفرضيات المطروحة هو أن حضارتهم أصيلة ويمكن أن تنسب إلى حضارة العبيد رغم عدم توفر الأدلة الكافية على لغة هذا الجنس[2]، ويسمى السومريين بهذا الاسم نسبة إلى "سومير" وأطلقه عليهم جيرانهم

اللغة الأكدية التي تفرعت عنها البابلية والآشورية، والغربية التي تضم العمورية، الكنعانية، العبرية، الآرامية، العربية والإثيوبية. ينظر: أمل ميخائيل بشور، المرجع السابق، ص 49.

(1)- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 346.

(2)- **الجنس السامي**: سميوا كذلك نسبة إلى سام الذي ورد في الإصحاح العاشر من سفر التكوين في التوراة وحدد هذا الإصحاح سلسلة الأنساب المنحدرة من أبناء نوح، ومن خلال هذا التصنيف ضمت قائمة أبناء سام الآراميين، الأشوريين والعبريين. ينظر: سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص 42.

(3)- **هجرة السومريين**: يبقى تاريخ مجيء السومريين إلى بلاد الرافدين غامضا فقد ظن البعض أن الفترة الانتقالية ما بين عصري جمدة نصر ومزليم كانت مرحلة لهجرات شعوب جديدة عرفت فيما بعد باسم السومريين، لكن المصادر الأثرية تشير إلى وجود هذا العنصر قبل ذلك التاريخ لهذا يرجح أنهم أتوا إلى هذه المنطقة في الفترة الممتدة ما بين نهاية عصر العبيد حتى بداية عصر الوركاء (أواسط الألف الرابع ق.م). ينظر: محمود أمهز، المرجع السابق، ص ص 20، 21.

(1)- **الأصل السندي**: بعد أن أعطت الاكتشافات المثيرة في حوض السند (مناطق هرابا Harappa وموهنجودارو Mohenjo-Daro) صورة جديدة لأصول الحضارات القديمة في الهند وجد بعض العلماء أن هناك تشابها كبيرا بين الآثار السومرية والهندية الثقافية والمادية والأختام التي تعود إلى حوالي(3000-2700 ق.م)، ومما زاد في ذلك العثور على مدن سومرية مثل أور وكيش على أختام تحمل صفات الأختام المعروفة في وادي السند من حيث الشكل والأسلوب وصور المنحوتات المحفورة. ينظر: خزعل الماجدي، **بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998م، ص 31.

(2)- أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 31.

الساميون أما في الوثائق الأصلية القديمة فتسمي منطقتهم "كنجي Kengi" وباللغة السومرية "كلم Kalam" بمعنى "القطر" تمييزا لها عن باقي الأقطار وهو مصطلح عام يطلق على المنطقة الآهلة بالسكان وبالخصوص المناطق الخارجة عن نطاق سومر[1] وقد أشير إلى وجود السومريين في جنوب أرض النهرين منذ بداية مرحلة ما قبيل الكتابة على الأرجح وأنه كان جنسا مميزا كانت له أساليبه الحضارية المتفوقة وربما فرض نفسه كطبقة حاكمة على السكان القدامى الذين يبدو أن غالبيتهم كانت من العناصر الوافدة من الغرب والتي تسمى بالعناصر السامية[2].

والمجتمع السومري هو أقدم مجتمع يعرف في أرض الرافدين ولغته السومرية هي من بين أقدم اللغات المعروفة في تاريخ الإنسانية ويفترض أن العناصر المكونة للمجتمع السومري القديم قد وجدت ضمن هذا المجال الجغرافي بزمن طويل جدا قبل اختراع الكتابة وفيما يخص هذه المرحلة لا يملك الباحثون معلومات وافرة بينما يخص المرحلة الباكرة والتي يمكن إدراجها ضمن مرحلة ما قبل التاريخ سوى ما برز ضمن نطاق حضارتي العبيد وجمدة نصر وما احتواه من آثار مادية[3].

وتشير الأدلة الأثرية على قدم الحضارة السومرية في موطن الرافدين وقد طرحت العديد من الإشكاليات فيما يخص الأصل الفعلي للسومريين وإشكالهم الجوهري تمحور حول إمكانية إرجاع مبدأ استقرار العنصر السومري إلى الهجرات والتحركات البشرية التي شهدها الشرق الأدنى القديم في بداية العصر التاريخي[1]، لكن إقامة العنصر السومري في جنوب بلاد الرافدين تبقى نظرية محتملة وذلك فيما يخص العصور السابقة للتاريخ (عصور ما قبل التاريخ) وقد بلغوا مرحلة متقدمة من الرقي والنضج الحضاري وذلك بشق القنوات وبعث الزراعة وإقامة المعابد[2].

---

(1)- ديلا بورت، المرجع السابق، ص 22.

(2)- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 181.

(3)- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 52.

(1)- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 42.

(2)- سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص 66.

كما بينت المكتشفات واللقى (المعثورات) الأثرية ومنها التماثيل السومرية انفصال هذه الحضارة عن نظيرتها السامية وكانت نظرية الباحثين قائمة على أساس أنها (ذات خصائص لا تشبه الساميين وأن لهم لغتهم الخاصة)[1]. وقد ذكرت الأساطير السومرية أنهم جاءوا من الجنوب بحرا أما الرأي الآخر فيقر بأن أصولهم تعود إلى منطقة التركستان وجبال أورال مع وجود محاولة لربطهم بهضبة إيران وكذا تحديد بعض الروابط اللغوية التي يمكن أن تشترك فيها مع بعض المناطق كالمجر وفلندا مع بروز أبحاث عراقية جادة والتي أخذت على عاتقها مسؤولية إثبات الأصل المحلي لهذه الحضارة[2].

ومن بين الباحثين في أصول السومريين الأستاذ "سامي مهدي" صاحب مقال "السومرية والعربية لغتان مستقلتان مختلفتان" وكذلك الأستاذ "عثمان سعدي" الذي يرى نقلا عن الأستاذ "محجوب": «أن السومريين الأوائل كانوا قبل دور الوركاء خليطا من الجماعات التي كانت تطوف المنطقة بحثا عن أسباب التوطن ومن المستحيل البحث في أصولهم العرقية لأن المنطقة بأكملها لم تكن مهيأة بعد في ذلك الحين لنشأة التجمعات المدنية الثابتة فالأدوار الأولى لم تكن سوى محطات للرعي وبالكاد انتظمت فيها الزراعة والأرض في الجزء الجنوبي من أرض الرافدين لم تكن سوى مستنقع كبير لذلك توطنهم في هذه المنطقة أنتج لغة وهي تندرج ضمن إطار زمني طويل يفصل اللغة الأولى عن بروز التدوين في شكله النهائي لذا انحصر المفهوم اللغوي الأولي فقط على المجموعات البشرية التي تسمى بالسومريين وبالتالي فتأصيل هذا العنصر بعيد نوعا ما لأنه نتاج لاحق لاستقرار العنصر البشري وتفاعله في المنطقة[1].

كما يرى الباحث "نائل حنون" في كتابه "حقيقة السومريين" أنه لا وجود لهذا العنصر، فبعد دراسته لحوالي خمسة عشر ألف من المفردات السومرية والأكدية[2] تبين له بوضوح أن السومريين تواجدوا

---

[1]- أحمد داوود، المرجع السابق، ص 72.

[2]- أحمد فخري، **دراسات في تاريخ الشرق القديم مصر، العراق، سوريا، اليمن، إيران (مختارات من الوثائق التاريخية)**، ط 2، مكتبة الانجلو-مصرية، القاهرة، (د.ت)، ص 28.

[1]- عثمان سعدي، **توجد كتابة سومرية ولا يوجد قوم سومريون**، العدد 6063، القدس العربي، 2008م، (د.ص).

[2]- **اللغة الأكدية**: تعد اللغة الأكدية (Lisanum Akkaditum) أقدم لغة في مجموعة اللغات السامية، وتشكل بلهجاتها المتعددة الفرع الشمالي الشرقي من تلك المجموعة مقابل الفرع الشمالي الغربي الذي ساد في سورية القديمة وبلاد الشام . ينظر: عيد مرعي، المرجع السابق، ص ص 31، 32.

كمجموعة إثنية مستقلة بل ويرى أن السومرية في حد ذاتها ظاهرة كتابية لا أكثر ويلخص فرضيته في قوله: «من خلال ما تقدم لنا من افتراض بوجود شعب سومري فيستدل على وجوده من وجود اللغة التي أطلق عليها اسم اللغة السومرية ومن أسماء الأعلام المصاغة بهذه اللغة يثير من الأسئلة أكثر مما يجيب عليه، ويتضح أنه لا توجد أدلة على وجود السومريين سوى اللغة باعتبارهم قوما عاشوا مع الأكديين أو سبقوهم في أرض جنوب الرافدين، وحتى في مجال الكتابة أصبح جليا أن الدراسات الرصينة لا تميل إلى قبول الرأي القائل أن اختراعها يرجع للسومريين، ومن هنا نميل إلى الاعتقاد بعدم وجود شعب يختلف عن الأكديين بهذا الاسم، أما اللغة السومرية فلدينا العديد من الأسباب التي تبين أن مخترعيها هم الأكديون بغرض التدوين قبل بلوغهم مرحلة اختراع الأكدية وقد ساعدتهم السومرية في الانتقال من المرحلة الصورية والرمزية في الكتابة إلى مرحلة المقطعية»[1].

ويرجح الباحثون أن الإطار التاريخي لبروز العنصر السومري في حدود 4000 سنة ق.م، وتشمل منطقتهم الأراضي الفاصلة بين دجلة والفرات وتمتد على مسافة 350كم ما بين موقعي مدينة بغداد الحالية وموقع مدينتي "أور" و"أريدو" بالقرب من شط العرب وقد تم الكشف عن الحضارة السومرية بدءا من عمليات التنقيب 1854م، ونتج عنها معرفة ثلاثة مدن أور، أريدو، وأورك وكذلك بالاعتماد على النصوص البابلية التي تعود إلى حوالي 2000 سنة ق.م والممزوجة بالأساطير وتشمل تحديدا مرحلة فجر التاريخ السومري بما فيها أورك، جمدة نصر ما بين 2600-2500 ق.م[1].

وطبقا للنصوص السومرية فإن المدن كلجش ولارسا وأوما كانت ضمن أرض سومر ولعل أول ظهور لمصطلح سومر بشكل مؤكد كان ضمن النصوص الرافدية القديمة والذي يعود إلى فترة ملوك أور الذين أطلقوا على أنفسهم "ملوك سومر وأكد" وقد عرف عندهم الملك باسم "ملك الأرض" أما عن الاختلاف حول مشكل الأصول فلقد أطلق على هذه الإشكالية اسم "المسألة السومرية" وفي هذا الصدد وضمن هذا المجال المتشابك قامت الدراسات على الأسس اللغوية والبشرية التصنيفية لفك هذا الغموض الذي يكتنف

---

[1]- سليم مطر، المرجع السابق، ص ص 333، 334.

[1]- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 09.

قضية الأصل السومري[1] التي كانت موضوع بحث مطول بين العلماء والمختصين وكان هذا الطرح موضع اختلاف بين اللغويين وعلماء الآثار، وبشكلها العام تنشأ المشكلة من الشك المتعلق بالنقطة الزمنية في عصور ما قبل السلالات حيث أصبح من الممكن أن نطلق اسم "السومريين" على سكان بلاد الرافدين السفلى[2].

ودفعت إلى التساؤل عن الأصل الجنسي واللغوي للسومريين عدة أسباب منها: اختلاف لغتهم عن اللغات السامية المألوفة مع صعوبة تقريبها في الوقت نفسه من مجموعة اللغات الآرية المعروفة، وقد اقترحت فرضية حديثة إمكانية ربطها بمجموعة اللغات الآسيوية ولكن بغير دلائل مقنعة، ولوحظ من ناحية أخرى أن أسماء بعض المعالم الرئيسية في بلاد الرافدين التي تضمنتها النصوص المسمارية نفسها ما يختلف في لفظه عن لغة أصحابها السومريين ويختلف كذلك عن مسميات اللغة السامية في الوقت ذاته مثل: الدجلة (لاديفلات) والفرات (بورانون) [3] وهذا ما يوحي باختلافهم في الجنس أو اللغة عمن لحقوا بهم أيضا[1].

أما من الناحية الأنتروبولوجية فقد درس العديد من العلماء بقايا بعض الهياكل العظمية من القبور السومرية بهدف ربط هذا الجنس ببعض الأجناس البشرية الأخرى لكن دون جدوى وحاول أيضا علماء الآثار ربط الجوانب المادية لهذه الحضارة مع باقي الشعوب ولكن النتيجة كانت مماثلة مع وجود بعض المحاولات القصيرة المدى والتي تبناها علماء "اللغات الشرقية القديمة" لذلك يمكن تحديد أسسهم المادية والفكرية تبعا لمخلفاتهم الحضارية الراقية باعتبارهم السكان الأصليين للمنطقة[2]، أما عن اسم سومر في حد ذاته فهو مصطلح قديم الاستعمال والأصح منه على وجه التحديد "شومر أو شومرو" وضمن القاموس

---

[1]- أحمد أمين سليم، (**دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم...**)، ص 250.

[2]- سيتون لويد، المرجع السابق، ص 86.

[3]- **الفرات:** ورد اسم الفرات في النصوص المسمارية بمجموعة من الصيغ تنطق (بورانن Buranun)، ويرادفها في الأكدية (بوراتي Purati) و(بوراتوم Buratum)، ومنها الصيغة العربية "الفرات" وهي تعني الرافد أو الماء العذب. ينظر: أحمد أمين سليم، (**حضارة العراق...**)، ص ص 33، 34.

[1]- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 111.

[2]- توفيق سليمان، المرجع السابق، ص 78.

السرياني تعني "المخلص أو المنقذ" وفي السومرية تكتب حرفيا "جي- أنجي"[1].

وقد أسس السومريون أولى الإمبراطوريات والتي أسسها رئيس كهنة مدينة "إيرتش" السومرية، وجاء في أحد النقوش بمدينة نيبور أن هذه الإمبراطورية تمتد من الخليج الفارسي حتى البحر الأعلى (إما المتوسطي أو الأحمر) وهذا العصر يمثل الفترة الأولى للزراعة (بداية المدنية) وعثر على مخلفاته مطمورة تحت أكوام الطين في وادي الدجلة والفرات حيث ازدهرت أقدم المعابد وبرز أرقى الكهنة الأوائل[2]، وقد بينت الحفائر الخاصة بمرحلة العبيد أن سكان سومر الأوائل (شنعار في التوراة) جاءوا أصلا من مرتفعات إيران وأنهم استقروا في جنوب بلاد ما بين النهرين في حوالي 4000 ق.م[3].

ويرى الأستاذ "أحمد سوسة" نقلا عن "طه باقر" أن السومريين هم إحدى الجماعات المنحدرة من بعض الأقوام المحلية في وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ البعيدة وأنهم عرفوا باسمهم الخاص نسبة إلى الإقليم الذي استوطنوه في القسم الجنوبي من المنطقة؛ أي أن التسمية ذات مدلول جغرافي وغير قومي، ويؤيد هذا القول أن الكثير من الشعوب التي سكنت وادي الرافدين سميت باسم المواقع التي حلت فيها بما في ذلك الأكديين (نسبة إلى مدينة أكد)[1].

وقد وضعت فرضيات متعددة عن منشأهم الأصلي أهمها أنهم ينتسبون إلى المناطق الجبلية الواقعة على حدود بلاد ما بين الرافدين الشرقية والشمالية، ومن الناحية الأنتروبولوجية يختلف السومريون عن الساميين من حيث الخصائص الجسمانية، وباستعمالهم الملابس الصوفية طرحت الفرضية اللازمة بمجيئهم من المناطق الباردة مع وجود بعض الآراء من الباحثين التي تؤكد مجيء هذا العنصر من الجنوب أو ربما عن طريق البحر لأن بعض الأساطير الأدبية المتعلقة بالإله "أنكي" إله الماء يمكن أن تربط أصولهم ببعض مناطق الخليج العربي التي بقيت ضمن العصور التاريخية وثيقة الصلة ببلاد الرافدين[2].

---

(1)- أحمد داوود، المرجع السابق، ص 189.

(2)- هـ.ج. ولز، **معالم تاريخ الإنسانية**، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، مج 1، ط3، (د.ت)، ص 201.

(3)- نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، ص 271.

(1)- أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 33.

(2)- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 53.

هذا وطرحت العديد من الآراء التي تربط السومريين ببلاد فارس أو بعض المناطق في آسية كالقوقاز وأرمينيا مع وجود بعض الفرضيات التي تنسبهم إلى جنوب الهند، كما ربط العديد من الباحثين هذا العنصر بالعيلاميين الذين استقروا في شرقي نهر الدجلة وذلك لوجود تشابه كبير بين الأواني الفخارية للجنسين وكذا تقارب الكتابة المعتمدة لديهم[1].

أما فيما يخص الإنتاج الحضاري لهذا العنصر فقد هيأ السومريون كل العناصر الملائمة التي قامت عليها حضارة الإنسان المكتوبة فإلى جانب الكتابة السومرية وهي أول كتابة عرفتها البشرية قدموا اختراعات عديدة أهمها العجلة والمحراث وأوجدوا النظام العشري وقسموا محيط الدائرة إلى 360 درجة والسنة إلى 365 يوم، ووضعوا أسس الرياضيات ومبادئ الهندسة وأبدعوا في مراقبة الأفلاك وبناء المعابد وأسسوا نظاما راسخا للحكم والإدارة مع صياغتهم لمبادئ الشريعة المكتوبة[2].

خامسا: الكتابة في بلاد الرافدين:

1. الكتابة:

تعد الكتابة أداة هامة لتسجيل الإرث الحضاري فهي المادة الأساسية التي يقوم عليها العمل التربوي والخطوة الفاصلة ضمن التطور الحضاري للإنسان الذي يبدأ مع نشوء التدوين الكتابي، وبالرغم من عمق الحقبة الزمنية لظهور الإنسان والتي تمتد إلى ملايين السنين إلا أن البروز الفعلي لمصطلح التدوين قد حدد ببضعة آلاف من السنوات[1]، كما تعتبر الكتابة من بين المبتكرات التي أعطت الحضارة وبالخصوص بلاد الرافدين دفعا قويا، وقد كانت بمثابة ثورة تماثل شبكة الإعلام الآلي في وقتنا الحالي، وتعد من بين الوسائل الهامة لحفظ الذاكرة الإنسانية كما تبسط وتسرع العمليات التصنيفية[2].

---

(1)- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص ص 09، 10.

(2)- فراس السواح، **لغز عشتار (الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)**، ط 1، دار علاء الدين، دمشق، 1985م، ص 21.

(1)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 120.

(2)- D. Arnaud, **Le Proche Orient Ancient de L'Invention de L'Ecriture à L'Hellénisation,** édit Bordas, France, 1970, p 13.

وينبغي أن ندرك أن اختراع الكتابة عملية استغرقت وقتا طويلا لأنه مع أن الفكرة الأساسية بسيطة فمهما حاول اللغويون الأوائل تحقيقها فلا يحتمل أنهم أدركوا جميع الصعوبات وطرق التغلب عليها دفعة واحدة، ذلك أن عملية تحويل لغة من اللغات إلى مرتبة الكتابة تولد مشاكل لغوية وباستطاعتها إثارة الوعي اللغوي نوعا ما في عقول الفئة المتميزة، وأن النحويين الأوائل الذين يحتمل أن يكونوا أول المعلمين قد قاموا بجمع قوائم بكلمات مصنفة هي في الأصل فكرة المعاجم والقواميس[1].

وكانت أقدم الألواح الكتابية في بلاد الرافدين هي تلك التي عثر عليها في منطقة أوروك "الوركاء" وهي كتابات تصويرية تعود إلى المرحلة الأولى لبداية الكتابة المسمارية[2] نقشت على الألواح الطينية باستعمال قلم من الخشب أو القصب[3] ثم تطورت بعد ذلك إلى كتابة على المعادن والأحجار لتكون في النهاية على شكل مثلثات تشبه المسامير ومن هنا سميت بالكتابة الأسفينية وهي ترجمة لكلمة (Cunéiforme) (Cuneus) في اللاتينية بمعنى المسمار و(Forme) بمعنى شكل[1]، وأقدم ما كشف عنه من سجلات كتابية هي في معظمها وثائق اقتصادية تتضمن قوائم إحصائية لممتلكات المعابد حيث كتبت هذه الوثائق على ألواح من الطين بواسطة قلم من البوص حفرت به العلامات التدوينية عليها وهي طرية غير جافة، وتم الكشف عن هذه الألواح وكسراتها عن طريق عمليات التنقيب التي تم تزمينها في حدود مرحلة ما قبيل الكتابة ومعظم هذه العلامات الكتابية غير متقنة بالشكل الصوري اللازم، وعبرت الكثير من العلامات عن اختزال صور الأشياء إلى أجزاء مبسطة منها ولم يفي هذا الأسلوب الصوري التعبير الكتابي إلا بنتائج محدودة لذلك تم الانتقال إلى مرحلة العلامات الصوتية ذات المعنى البارز[2].

(1)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق ، ص 126.

(2)- سيتون لويد، المرجع السابق، ص 76.

(3)- **قلم القصب (Stylus)**: أو المرقم وهو مصنوع من القصب الذي ينمو بكثرة على ضفاف الأنهار، وتلاءم الأقلام المصنوعة منه الكتابة المسمارية، ولكن بعضها الآخر مصنوع من العظم أو المعدن أو العاج، وكانت أعواد القصب متوفرة مثل الصلصال. ينظر: خالفي جميلة، **الكتبة والمكتبات في بلاد الرافدين 3200 إلى 626 ق.م (مكتبة آشور بانيبال نموذجا)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، 2009، 2010م، ص 51.

(1)- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص ص 26-29.

(2)- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص ص 160، 161.

وتعد هذه الطريقة من بين أهم أنماط الكتابة التي ظهرت في بلاد الرافدين يستخدم فيها قلم مدبب[1] منشوري الشكل مصنوع من المعدن تسجل به المعلومات المتنوعة على الألواح الطينية التي تجفف تحت أشعة الشمس أو باستعمال الأفران[2]، وكان الكتبة يضربون على الألواح بشكل خفيف وسريع بحيث يترك القلم المصنوع من القصب المهذب بصمات في شكل مسامير[3]، وتضم هذه الكتابة في مراحلها المبكرة صورا تعبر عن معاني الأشياء لتتطور فيما بعد بشكل إيجابي لتتغير من حيث الشكل والمضمون لتصبح طريقة تدوينها أكثر سهولة وخلال وقت محدود لتصل في ذروة تطورها إلى مرحلة التعبير الصوتي[4].

هذا النمط من الكتابة يتحصل عليه عن طريق الشيء المشار إليه وليس فقط الصورة التي تظهر للعين المجردة، ويشمل أيضا الصوت الذي تحدده الأذن بحيث يمكن تطبيق هذا الرمز في جميع المناطق التي يتكرر فيها، وهو الغرض من هذه الصور البدائية التي كانت تمثل في البداية الكلمات لتصل فيما بعد إلى مرحلة المقاطع الصوتية وأخيرا مرحلة الحروف الهجائية[1].

وكان نظام الكتابة السومري الأصل بالغ التعقيد كون أن علاماته مستنبطة من الرموز (Pictographique)[2]، واقتصار الكتابة المسمارية على هذا النوع من العلامات كان يمثل نقصا فادحا بالنسبة لطريقة التدوين لأنها لا تعبر عن جميع الأفكار المجردة أو الصيغ المختلفة للأفعال،لتصل فيما بعد إلى

---

(1)- **القلم المدبب**: هو الأداة التي استخدمها الكاتب لرسم الخطوط الرقيقة التي أعطت الأشكال دلالاتها، وقد أثبت الفحص المجهري لبعض الرقم آثار قلم القصب بملاحظة شعيرات شظايا القصب فيها، وهذا يعني أن القلم استعمل لتدوين هذه الرقم ربما كان ذا رأس مدبب، ويعتقد بعض الباحثين أنه استخدمت لنفس الغرض أقلام مدببة من الخشب، الحجر، العظم والمعدن، وقد انتهى دور هذا القلم في الاستخدام بانتهاء الكتابة الصورية خلال عصر فجر السلالات حيث بدأ التحول إلى كتابة العلامات الرمزية والمقاطع الصوتية المسمارية. ينظر: عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 118.

(2)- حلمي إسماعيل محروس، المرجع السابق، ص 114 .

(3)- James Février, **Histoire de L'Ecriture,** édit Payout, Paris, 1959, p p 99, 100.

(4)- حلمي إسماعيل محروس، المرجع السابق، ص 114 .

(1)- M. Joachim Menant, **Le Syllabaire Assyrien Exposé des Eléments de Système Phonétique de L'Ecriture Anarienne,** Imprimerie Impériale, Paris, (s.d), p 04.

(2)- **Pictographique:** أقدم نوع من الكتابة يطلق عليها اسم"الكتابة التصويرية" وتدعى العلامة الواحدة (Pictographe)، والصورة تمثل الشيء نفسه ثم تحولت هذه الصيغة بحيث أصبحت الصور مختزلة فمثلا يعبر عن الشمس عن طريق رسم دائرة بسيطة. ينظر: نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، ص183.

مرحلة الأصوات (Phonétique) [1] التي تعد خطوة كبيرة نحو الأمام لتبسيط نظام الكتابة لكنها بقيت نوعا ما معقدة لذلك أعتمد فيما بعد على نظام التحديد (Déterminative)[2] والمكملات الصوتية (Phonétique Compléments) وهذا ما جعل نظام الكتابة في منطقة بلاد الرافدين من أصعب النظم التي استعملت في العصور القديمة[3].

ويعود ابتكار السومريين لنظام الكتابة بالدرجة الأولى إلى الحاجة الملحة لحفظ السجلات الخاصة بإيرادات المعبد ومداخيل المدن السومرية، تتميز في مرحلتها الأولى بالبدائية والبساطة وأطلق عليها اسم "الدور الشبيه بالكتابي" (Protoliteraire) ويتميز بالمحدودية من حيث الاستعمال والانتشار وسماه علماء المسماريات "النصوص البدائية" وهي تخص رقم الطين التي تعود إلى هذا الدور الممتد من 2600 ق.م إلى 3000 ق.م والمعثور عليها في الوركاء وجمدة نصر وكذلك في شروباك[1].

وتعد الكتابة المسمارية مرحلة متطورة بالمقارنة مع المرحلة التصويرية الأولية وهي نفس الفكرة التي صيغت على أساسها الكتابة الهيروغليفية[2] المصرية، فالكتابة الأسفينية تحلل الصوت بصرف النظر عن الدلالات اللفظية نفسها إلى مقاطع والتي يضاف لكل منها علامات بارزة تحدد المضمون مع وجود مختصرات في شكل رموز لا تدل الواحدة منها على المقطع وإنما تدل على الكلمة كاملة[3]، ويحوي الخط

---

(1)- **Phonétique:** يتم تعريفها لغويا بالرمز الصوتي وتعني رسم الكلمات وفقا للفظها، والحقيقة أن هذا النوع من الكتابة لها أثر عميق في اختراع الأبجديات فعندما يكون الهدف من الكتابة هو صياغة حرف واحد لكي يرمز إلى لفظة صوتية واحدة تكون النتيجة ظهور أبجدية كاملة. ينظر: حسب الله سيد ومحمد جلال غندور، **تاريخ الكتب والمكتبات عبر الحضارات الإنسانية**، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، 1996م، ص19.

(2)- **Déterminative**: ساهم هذا الدور بشكل كبير في تبسيط الكتابة فهو أداة للتصنيف، فمثلا: إذا أشرنا إلى المحراث فنعطيه إشارة إما بالخشب أو الشخص والمقصود به الأداة بحد ذاتها أو العامل، وهذه الصيغ متكررة ضمن النصوص المسمارية التي تعود إلى أسرة أور، وكان استعمال هذه القواعد بالموازاة مع استعمال الرموز الصوتية. ينظر: James Février, Op.cit, p 108.

(3)- سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص ص 64، 65.

(1)- فاضل عبد الواحد علي، **الخط المسماري واللغة الأكدية (اثنان من أبرز العوامل المشتركة بين الحضارات القديمة في الوطن العربي)**، قسم الآثار جامعة بغداد، (د.ت)، ص 194.

(2)- **الكتابة الهيروغليفية:** مشتقة من التعبير اليوناني (Hieroglyphika Grammata) بمعنى "كتابة محفورة مقدسة" استعملت خصيصا للتعبير عن الكتابة التصويرية القديمة لدى المصريين. ينظر: نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، ص 426.

(3)- حسن ظاظا، **الساميون ولغاتهم(تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية عند العرب)**، ط2، دار القلم،دمشق، 1990م، ص 27.

المسماري في حد ذاته مئات من العلامات وهو في الأساس علم قائم بذاته يتطلب الإلمام بجميع جوانبه مجهودا كبيرا وفترة زمنية طويلة نظرا لصعوبة إتقانه[1].

ولا يمكن الجزم على الأسبقية الزمنية للكتابة الخاصة ببلاد الرافدين عن الكتابة المصرية فالآثار المعثور عليها في مختلف مناطق هذه الحضارة القديمة بينت أن البدء باستعمال هذه الكتابة قد يعود إلى النصف الثاني من الألف الرابع، وكانت بدايتها برسم العلامات باستعمال قصبة مثلثة الزوايا على مادة الخزف وبعد استقرار أسلوب هذه الكتابة لمدة زمنية معتبرة سعى الكُتاب لحفر العلامات المسمارية على المعدن أو الحجر والهدف من وراء ذلك الحفاظ على الشكل التمثيلي للرسم الأصلي وكانت تلك الألواح الخزفية تحفر بعد تجفيفها دون أن تتعرض الوثائق المكتوبة إلى التحريف أو التزوير مع إعطائها أشكالا مختلفة (مستطيلة أو دائرية)[2].

وتأخذ الكتابة المسمارية في شكلها الخارجي عدة أنماط فتكون إما عمودية أو أفقية وكذا زواياها التي تأتي على عدة هيئات، وكانت حسب آراء بعض المنقبين مجرد نقوش ولم يفك طلاسمها إلاّ بعد الكشف عن أسرار الكتابة الهيروغليفية حيث تمت صياغة هذه الكتابة باستعمال ثلاث لغات: الفارسية، الميدية[1] والآشورية[2].

وقد قام كل من "سيلفستر دي ساسي" و"مونتر" إضافة إلى "غروتفند"[3] بتحليل أحد النقوش الثلاثية عام 1845م والتي تعود إلى اللغة الفارسية القديمة، أما الخط الثاني فقد تطلب وقتا أطول لتحليله

(1)- ديلا بورت، المرجع السابق، ص 197.

(2)- أندريه أيمار وجانين أبوايه، المرجع السابق، ص ص 182، 183.

(1)- **ميديا**: هي المنطقة الواقعة شمال غرب إيران يحدها غربا بلاد الرافدين وجنوبا بلاد فارس وشرقا برثيا وشمالا بحر قزوين، أطلق عليها الأشوريون اسم "ماداي"، استولى عليها "قورش الثاني" الفارسي وكذلك الإسكندر الأكبر عام 330 ق.م. ينظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص 759.

(2)- يوسف الدبس، **تاريخ سورية (تاريخ شعوب سورية القدماء)**، ج 1، دار نظير عبود، 1994م، ص 48.

(3)- **غروتفند**: ولد جورج فريدريك غروتفند في09 جوان 1775م في مونDين (هانوفر) بألمانيا، وقد قدر ليكون عالما لغويا كلاسيكيا ولتحقيق هذا الغرض درس في "Iifeld"ولاحقا في جامعة"Göttingen" وهنا جذب اهتماما كبيرا كونه أصبح عالما واعدا وكونه رجل مبدع يتمتع بشغف للكشف عن الأسئلة المبهمة وقد شكل صداقات في جامعته مع كل من "Heyne"و"Tychsen" و"Heeren"،

نظرا لندرة الوثائق التي توجب المقابلة وهذه اللغة هي لغة "سوزا" العيلامية ذات المقاطع والتي فسرت بفضل بحوث كل من "أوبر"، "ويسباش" والأب "ف.سشيل" وهذا بمساعدة الوثائق الجديدة المعثور عليها في المنطقة، وفيما يتعلق بالخط الثالث فكان تحليله أسهل من الثاني لأن وثائق المقارنة ظهرت بأعداد كبيرة منذ بدء التنقيب وهي تعود إلى لغة سامية استخدمها الآشوريون والبابليون[1].

وقد قام الإنسان الرافدي القديم بتهذيب تلك الكتابات الأولية ليزيد فيما بعد من مجالات استعمالها لتشمل النواحي الدينية فضلا عن المسائل الاقتصادية، التشريعية والأدبية[2]، وبلغت العلامات المسمارية نحو 600 علامة منها 100 أو 150 استعملت للدلالة على المقاطع الصوتية أما بقية العلامات فأصبحت تعبر عن الطريقة الاستدلالية (Idéogramme)[3] ورمز العلامة الواحدة هو المعنى بذاته ولهذا يعد الخط المسماري مزجا من الطريقة الصوتية التي تتكون من مقاطع الطريقة الرمزية، ويعود اختراع هذا النسق من الكتابة إلى فترة فجر الأسرات وبالتحديد العنصر السومري الذي نقلها فيما بعد إلى العديد من الشعوب المجاورة كالعيلاميين والحيثيين وظل فيما بعد الخط المسماري معروفا إلى غاية بداية العصر الميلادي[1].

واعتبرت المسمارية ضمن الأوصاف التاريخية واللغوية بأنها كانت أولى كتابات شعوب غرب آسية مصداقية ويتراوح سمك الحرف الواحد ما بين (1-2.5 سم) تقريبا، نقشت هذه الكتابة على النصب التذكارية، معادن، الأختام الأسطوانية والفخار، وطور الكتبة هذه الطريقة فيما بعد بإثرائها عن طريق إضافة

وعين عام 1797م كمساعد في جمنازيوم الجامعة، وبعد عامين ظهر عمله الأول الذي جلب له سمعة حسنة وعين في جمنازيوم جامعة فرانكفورت. ينظر: Robert William Rogers, **A History of Babylonia and Assyria,** Vol 01, Assyrian International News Agency, 1900, p 14.

[1]- جان كلود مارغون، المرجع السابق، ص 51.

[2]- بهنام أبو الصوف، **التاريخ من باطن الأرض** (**آثار وحضارات وأعمال ميدانية**)، مطابع شركة الأديب، الأردن، 2009م، ص 16.

[3]- **Idéogramme**: معناها أن الصورة تعبر عن الفكرة لذلك فالدائرة التي كانت تمثل الشمس مثلا امتد استعمالها لتعني النهار ثم الحرارة. ينظر: نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، ص 124.

[1]- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 190، 191.

الألفاظ والمفردات والمصطلحات الجديدة القادرة على سد معظم احتياجاتهم[1].

وأقر العلماء اللغويون أن الكتابة المسمارية منفصلة عن نظيرتها الهيروغليفية وما يجمعهما هو عنصر الزمن لذلك سميت بـ"الكتابة اللاصقة"[2]، وتكونت في البداية من ثمانية عشر حرفا تطورت فيها أشكال الحروف ست مرات دون الوصول إلى الغاية الهادفة وهي مرحلة توثيق العلامات المسمارية التي تبنتها العديد من الشعوب المجاورة حتى فترة متأخرة[3].

والكتابة بالصور التي كان يمارسها السومريون باستعمال أقلام صغيرة تتسم بالصعوبة وعدم الإتقان لأنها في المضمون عبارة عن خدوش تشبه المسامير تحتوي إشارات لأشكال مقصودة يصعب على الإنسان تمييزها، وما تختص به هذه الكتابة أن كلماتها متعددة المقاطع والتي لا تتغير كونها تعبر عن أسماء لأشياء جامدة وهذا الأمر ساعد على تطور الكتابة المسمارية[1].

وتعداد المعاني للرمز الكتابي الواحد أدى إلى خلق العديد من الصعوبات لذلك يعد قراءة النص من بين الأمور الغامضة ولم يستطع القراءة والكتابة بالشكل الصحيح إلا الكاتب الخبير، ولكن فيما بعد أخذ الشكل المتشابك للرموز الكتابية بالبروز التدريجي وذلك أنه صار ميالا إلى البساطة حيث أنه في نهاية الألف الثالث ق.م أصبحت الرموز الكتابية بعيدة كلية عن الصورة الأولية لها[2].

وقد قام الكتاب القدامى بتذييل بعض الصعوبات المتعلقة بكتابة العلامات واستعملت العديد من الأشكال والرسومات ذات الدلالات المعنوية ومن هذا المنطلق تم تجميع الألفاظ في شكل مجاميع موسعة والمقصود بذلك أن التدوين فـــي بلاد الرافدين عرف نفس مراحل الكتابة فـــي مصر القديمة والفرق الوحيد

---

(1)- توفيق سليمان، المرجع السابق، ص 98.

(2)- **الكتابة اللاصقة**: تشبه في تركيبها اللغة العيلامية والحورية القديمة إذ تعتمد في تحويل الكلمات ذات المقطع الواحد على اللواحق (Suffixe) وغير المستقلة عن الكلمة، وهكذا فإن الكلمات تشكل في الجملة الواحدة سلسلة مترابطة تتبع نظاما خاصا ، ومن خصائص هذه الكتابة هو أن الكلمة الواحدة قد تفسر بأشكال مختلفة لذلك تضاف إليها إشارات خاصة تحدد معناها. ينظر: محمود أمهز، المرجع السابق، ص 21.

(3)- مفيد عرنوق، **صرح ومهد الحضارة السورية**، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1999م، ص 14.

(1)- هـ.ج ولز، المرجع السابق، ص 242.

(2)- نعيم فرح، المرجع السابق، ص 41.

بينهما هو بلوغ المصريين مرحلة التعبير الهجائي على غرار الرافديين[1].

وضمت الكتابة المسمارية في البداية أرقاما تقليدية قديمة الاستعمال، أما لغة النقوش فهي سومرية سبق استعمالها في المنطقة قبل قيام الحضارة السامية لتأتي فيما بعد اللغتان الأكدية ثم الآشورية ويتميز نسق هذه الكتابة بالوحدة التخطيطية (وحدة الخط المستعمل)[2]، وكانت الخطوة الأولى لتطوير مفهوم الكتابة والتدوين هي أن تكون ذات معنى يفهمها الإنسان العادي فتكون مبسطة ومتعارف عليها في الوقت ذاته لذلك يبالغ الكاتب في مميزات الأشياء المرسومة حتى تعرف ببساطة وهذا الأمر يتطلب إتقانا كبيرا ومهارة فنية عالية لتصبح فيما بعد هذه الرسوم وسيلة للتفاهم[3].

وقد مرت الكتابة السومرية- الأكدية بفترتين رئيسيتين شهدت خلالها تطور كبير لنظام وخصائص الحروف فالأولى تضم الكتابة المسمارية الأولية خلال فترة حكم "أسرة لجش" (منتصف الألف الثالث ق.م)، أما المرحلة الثانية فتعود إلى العهد الآشوري وبالتحديد خلال فترة حكم الملك "آشور بانيبال"[1].

وكتب السومريون عباراتهم خلال مرحلتهم الأولى دون ترتيب ثابت ثم غيروا من هذا المنهج وصارت كتاباتهم مرتبة بشكل متناسق والملاحظ أن الكتابة كانت تبدأ من اليمين نحو اليسار مع وجود بعض الاستثناءات ضمن الألواح الكتابية المزدوجة والتي يكتب عليها من الجانبين وكذلك استخدام الألواح الصغيرة، وبوجود عملية اختزال العلامات السومرية باستعمال عنصر التخطيط برزت الكتابة المسمارية، وقد ناسب استعمالها سكان بلاد الرافدين، وانطلاقا من هذه المرحلة تعددت أساليب الكتابة المتصلة، المتقطعة، المائلة والأفقية مع الاحتفاظ بعدد من الهيئات التصويرية القديمة لكن هذه النقطة تمثل إشكالا لغويا مباشرا، فإذا كانت الكتابة الأولى معقدة فعلا فلماذا تم الاحتفاظ ببعض أشكالها رغم بلوغها مرحلة التبسيط؟[2].

---

(1)- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 249.

(2)- مولاي أحمد حسين السليماني، المرجع السابق، ص 65.

(3)- رالف لنتون، **شجرة الحضارة (قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث)**، تر: حمد فخري، مكتبة الإنجلو- مصرية، (د.ت)، ص 187.

(1)- Charles Hignounet, **L'Ecriture,** presses Universitaires de France, 1955, p p 20, 21.

(2)- عبد العزيز صالح، **الشرق الأدنى القديم مصر والعراق**، ج1، ط2،مكتبة الانجلو-مصرية،القاهرة،1974م،ص ص 389، 390.

الملحق رقم 04

المعنى	اللفظ	الصورة	الكتابة الصورية الوركاء ١٧ حوالي ٣٢٠٠ ق م		الكتابة السومرية العتيقة على الحجر ٢٥٠٠ - ٢٤٥٠	على الطين	العلامات المسمارية في حوالي ٢٣٥٠ - ٢٠٠٠		البابلية القديمة ١٨٠٠	الآشورية المبسطة ٧٠٠
سماء اله	an dingir	نجم								
أرض	ki	أرض								
رجل انسان	lu	جسم انسان								
فرج امرأة	sal munus	فرج								
جبل	kur	جبل								
عبدة امرأة جبلية	munus+ kur=geme	جبل + فرج								
رأس	sag	رأس								
يتكلم	ka=dug	رأس = فم								
طعام	ninda	وعاء								
يأكل	ka + ninda	فم + وعاء								
ماء في	a	مجرى ماء								
يشرب	ka +a= nag	فم + ماء								
يذهب يقوم	du gub	قدم								
طائر	muschen	طائر								
سمكة لعل	ha	سمكة								
ثور	gud	ثور								
بقرة	ab	بقرة								
شعير حبوب	sche	سنبلة								

جدول يوضح نماذج من مراحل نشوء وتطور الكتابة المسمارية[1]

(1)- أحمد داوود، المرجع السابق، ص 296.

وبخصوص هذا الإشكال يرى العديد من المؤرخين أن استحداث الكتابات يعتمد في الأساس على الأحرف التقليدية الأولى التي تسمح بالانتقال إلى مرحلة أكثر تطورا وهي طريقة منطقية للحفاظ على التوازن اللغوي[1].

هذا وتعود أقدم النصوص السومرية[1] المعروفة إلى النصف الأول من الألف الثالث ق.م والمستخرجة من موقعي أوروك وأور وأهم النصوص التي عثر عليها تعود إلى موقع شروباك كما ذكر سابقا وهي تتألف من 1900 وثيقة، نشر جزء منها عام 1920م تتضمن نصوصا ملحمية وقوائم مفردات ونصوص أدبية نشر بعضها ما بين 1930-1940م، وتضمنت الوثائق السومرية عصرين مختلفين فالأول يطلق عليه اسم العصر السومري القديم (2600-2350 ق.م) وعثر على أغلب النصوص المسمارية في مدينة لجش وبعضها في مدينة نفر وأور وهي نصوص اقتصادية وتاريخية، أما الثاني فيتضمن العصر السومري الحديث (2140-2020 ق.م) حكمت خلاله أسرة أور الثالثة[2] جاءت خلاله كميات هائلة من النصوص السومرية ترجع إلى لجش، أوما وأور أهمها كتابات الملك "جوديا"[3] (2141-2122 ق.م) وهي أقدم النصوص الأدبية السومرية[4].

---

[1]- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق، ص 390.

[1]- **النصوص السومرية**: إن أقدم النصوص السومرية المعروفة ونحن نقصد بذلك المتطورة منها وليس التي هي في شكل جداول ترجع إلى حوالي 2800 ق.م، وذلك بعد الانتقال من المرحلة الصورية إلى المرحلة التي تعتمد على القواعد اللغوية بما في ذلك الرموز والمقاطع. ينظر: Carole le Roche, **Découverte des Ecritures Anciennes Ecritures Cunéiformes de Mésopotamie et du L'Evant,** édit Maison de L'orient et de la Méditerranée, Lyon, 2005, p 04.

[2]- **أسرة أور الثالثة**: أشهر ملوكها "أورنمو" و"شولجي" الذين أطلقوا على أنفسهم اسم "ملوك سومر وأكد" وفيما بعد "ملوك جهات الأرض الأربع" مما يدل على ادعائهم سيادة العالم، وسميوا في بعض الأحيان آلهة على غرار الملك "نرام سين"، وقد قام هؤلاء بعدة حملات نحو الغرب ضد سوريا ونحو الشرق على "عيلام" وفي الشمال أخضعوا إلى نفوذهم مملكة "آشور". ينظر: نعيم فرح، المرجع السابق، ص 29.

[3]- **جوديا**: حاكم مدينة لجش (2144-2124 ق.م)، عثر على نحو خمسة عشر تمثالا لهذا الملك منها اثني عشر تمثالا بمتحف اللوفر بباريس وهي منحوتة من حجر الديوريت الأخضر، وعلى التماثيل كتابة مسمارية تذكر فيها اسم الملك وإهداء التمثال إلى أحد الآلهة وقد عثر عليها وهي في حالة سليمة. ينظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص 325.

[4]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص ص 42، 43.

وتتناثر الألواح السومرية التي عثر عليها حتى الآن والبالغ عددها 5000 أو 6000 لوحة بين متاحف العالم، وكان فريق أمريكي قد قام بحفائره في مدينة "نيبور" بين عامي (1889 و1900م) وتقاسم ما عثروا عليه بين متحف اسطنبول للشرق القديم ومتحف جامعة بنسلفانيا، ويمثل التحليل اللغوي لهذه الألواح انتصارا للتعاون العلمي، ويمكن الآن ترجمة العديد من النصوص بكل ثقة بالرغم من أن كثيرا من النصوص لا يزال ضائعا، وقد تم نشر غالبية النصوص الأدبية في الثلاثين سنة الأخيرة من بينها عشرون أسطورة وتسعة قصص ملحمية منها قصة "جلجامش" والمئات من التراتيل والترانيم الجنائزية كترتيلة "إنانا"، كما يمكن إحصاء أكثر من 300 شخص يمكنهم قراءة الكتابة المسمارية وأطلق كذلك مشروع في جامعة "جونز هوبكينز" يدعى "حمورابي الرقمي Digital Hammurabi" يهدف إلى إنشاء أرشيف إلكتروني لكل الألواح المعروفة في أبعاد ثلاثية بحيث يستطيع الباحثون في أرجاء العالم أن يعملوا على ترجمتها[1].

وبرزت قيمة الكتابة المسمارية في كونها بقيت مستعملة في التدوين حتى بعد انتهاء آخر الأدوار الحضارية في بلاد الرافدين وسقوط بابل عام 539 ق.م، حيث عثر على رقم طينية من الفترات المتأخرة[2] أهمها قطعة أدبية مكتوبة بلهجة (Emesal)؛ أي "لهجة النساء" ومؤرخة بسنة 100 ق.م وتحمل اسم الكاتب "بيل- إدنا Bel Iddina" والذي كان مساعدا لأحد الكهنة ويظهر أن الخط بقي مستخدما من قبل الكهنة في تدوين ملاحظاتهم الفلكية إلى سنة 50 م إذ تم العثور على نص فلكي وهو محفوظ في المتحف العراقي[3]

[1]- سينثيا ستوكس براون، **تاريخ الأحداث الكبرى من الانفجار الكبير إلى وقتنا الحاضر**، تر: أيمن توفيق، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م، ص 158. .

[2]- **البابلية المتأخرة**: طغى على هذه اللهجة التي بدأت في الظهور بعد سقوط بابل على يد الأخمينيين التعقيد في خطها وصعوبة قراءتها رغم تراجعها أمام اللغة الجديدة وهي الآرامية إلا أن نصوص هذه الفترة المكتشفة حتى اليوم نحو عشرة آلاف نص إضافة إلى 600 رسالة ومجموعة من النصوص الأدبية القديمة ونصوص خاصة بالتنبؤات ونصوص ثنائية اللغة (سومرية- بابلية). ينظر: سليمان بن عبد الرحمن بن محمد الذييب، **الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية**،جامعة الملك سعود، الرياض، 2006م، ص 55.

[3]- **المتحف العراقي**: أنشئ عام 1923م في بناية صغيرة أول الأمر، وبزيادة الآثار التي أحرزها المتحف من الحفريات العراقية والأجنبية وتقدم أساليب العرض ظهرت الحاجة إلى إنشاء بناية حديثة واسعة تعرض فيها الآثار الثمينة عرضا يتلاءم وأحدث الطرق الفنية، وقد تم إنشاء البناية الحالية للمتحف عام 1963م، وأفتتح رسميا للجمهور عام 1966م، ويضم آثار الحضارات السومرية الأكدية البابلية والآشورية وكذا آثار السلوقيين والساسانيين والعصور الإسلامية وقد نظمت في قاعات العرض حسب التسلسل الزمني لها. ينظر: أسامة الجوهري، **الآثار العراقية**، ط1، هلا للنشر والتوزيع، مصر، 2006م، ص 28.

حاليا والذي يعود إلى تاريخ هذه الفترة[1].

2. مادة التدوين:

تميزت الكتابة التي أوجدها السومريون في وادي الرافدين قديما باستعمال مادة الطين في تقنيات رسمها، فبينما استعملت باقي المناطق المجاورة الجلد، الخشب، البردي وبعض الأنصاب الحجرية للتعبير عن الفكر بالرموز المتفق عليها فقد استعملت شعوب بلاد الرافدين مادة الصلصال، وذلك منطقي إذا نظرنا إلى طبيعة البيئة السائدة باعتبارها منطقة معرضة للفيضانات لذلك لجأ سكانها إلى استخدام مادة الطين المتوفرة عندهم بكثرة[1]، وكان إعداد اللوحات يتطلب طميا ناعما ثم عجنه مدة طويلة والذي يوضع في شكل قوالب تختلف حجما وشكلا باختلاف الزمان والمكان، وأقدم ألواح مدينة "لجش" مصنوعة من الطمي الغير المشوي وهي ذات شكل مستدير وكذا ألواح مدينة " شروباك " التي جاءت في نفس الصيغة[2].

وكانت الكتابة على الألواح الطينية من اختصاص الكاتب الذي يستعمل في ذلك قلما مصنوعا من الخشب أو القصب، ثم تحولت الكتابة بعد ذلك إلى مرحلة متقدمة استعملت فيها المعادن والأحجار ضمن إطار النقش أو النحت، وبلغت في أواخر مراحلها درجة التطور باستعمال قلم في شكل مسمار كون حافته أعرض من ناحية محددة لذلك أصطلح عليها تسمية "الكتابة المسمارية" أو "الأسفينية" واختلفت من حيث شكل العلامات المستخدمة فكانت رأسية، أفقية أو مائلة[3].

وكان الكاتب يرسم العلامات المسمارية باستعمال قصبة حدد رأسها بشكل منحن أو مثلث الزوايا بحيث تغرز في البداية بصفة قوية ضمن المادة الخزفية المستعملة ثم تسحب بصورة تصاعدية بالضغط على إحدى الزوايا، وبالتالي تكون هذه المسامير بمثابة الجوانب بالنسبة لهذه الكتابة وهي صغيرة الحجم[4].

---

(1)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، **ج1**، ص 228.

(1)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 121.

(2)- ديلا بورت، المرجع السابق، ص 199.

(3)- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص ص 26-29.

(4)- أندريه أيمار وجانين أبوايه، المرجع السابق، ص 172.

لكن أكثر كتابات الرافديين القدامى كتبت باستخدام أقلام على شكل رؤوس سهام[1]، كما استعملوا الطين اللين الطري في عملية النقش السريع وكان تثبيت العلامات مرتبط بمدى جفاف المادة الطينية مع إدخال بعض التحسينات على هذه الطريقة وذلك بتجفيف هذه الألواح في الأفران ربحا للوقت، وبالرغم من هذه المزايا لم يكن للكاتب على الطين نفس الحرية التي يكتب بها المدون المصري على ورق البردي ولذلك اتسم بصفة الفن والرسم، ولم يكن باستطاعة الكاتب السومري أن يكتب أو ينقش سوى نوعين أو ثلاثة أنواع من العلامات أو الأسافين، أي أن الخط المسماري في مضمونه كان نتيجة حتمية لاختيار الطين كمادة أولية تقوم عليها أصول الكتابة[1].

ولم يستعمل كذلك البابليون ثم الآشوريون ورق البردي الذي استعمله المصريون والبرشمان الذي استعمله الإغريق والرومان، وفي المقابل فإن الأرض التي يسكنون عليها غنية بالطمي الناعم الذي يعد استعماله ناجعا، فلم يكن مناسبا فقط لتشكيل الطوب والآجر لاستعماله في بناء المنازل والمعابد والقصور بل استخدموه أيضا للتعبير عن مختلف أفكارهم[2].

وباعتبار الطين المادة الرئيسية في التدوين فقد خلف ذلك أثرا واضحا في أشكال المدونات المختلفة وطريقة جمعها وفهرستها وفي مقدمتها النصوص الأدبية، فكتابة النصوص المطولة لم يكن كافيا استعمال لوح واحد بالمقارنة مع الوثائق والعقود التجارية والرسائل بحيث كان الأمر ممكنا[3]، وكان الغرض من ابتكار الكتابة المسمارية توثيق الصكوك والوثائق الرسمية، الأساطير الدينية، الوصفات الطبية والخطابات الشخصية[4].

وقد فضل السومريون الأوائل الكتابة على اللوحات الطينية اللينة لسهولة تناولها وكونها أقل تكلفة من قطع الحجر و كانت اللوحات المستعملة تصنع من الطمي الناعم النقي الذي يوضع ضمن قوالب ذات

[1]- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 190.

[1]- جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ج1، دار المعارف، مصر، 1963م، ص ص 154، 155.

[2]- J. Walther, **Les Découvertes de Ninive et de Babylone au Point de Vue Biblique,** édit Georges Bridel, Lausanne, 1889, p 76.

[3]- طه باقر، **مقدمة في أدب العراق القديم**، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1976م، ص 48.

[4]- حلمي إسماعيل محروس، المرجع السابق، ص 115.

أشكال متداولة ومتعارف عليها، وتكون اللوحة مسطحة الوجهين، دائرية، محدبة الشكل وأحيانا مستطيلة أو مخروطية تترك على حالها بعد الكتابة أو تجفف ضمن حرارة معتدلة تتناسب مع ميزة الصلابة فيها وتلف معظمها بنسيج مختوم باسم صاحبها فوق قطعة من الطين اللزج خاصة إذاكانت اللوحة ذات أهمية وهي في أساسها تضم رسائل قيمة[1].

ولابد من الإشارة أيضا إلى أن مادة الكتابة (الطين) لم تكن يسيرة الحفظ بل كانت سريعة التعرض للتلف ولذا استوجب وضعها في أغلفة طينية فكانت معظمها صغيرة وكثيرا ما تتعرض للكسر عند إخراجها من أغلفتها، فقد تبعثرت هذه الألواح وأصبح من المألوف العثور على بعض الكسرات في بعض المتاحف والأجزاء المكملة لها ضمن متاحف أثرية أخرى[1].

وكان السومريون أول من استنبط طريقة الكتابة على الطين، الحجر والمواد الأخرى بدليل أن أقدم النصوص الكتابية التي عثر عليها مدونة باللغة السومرية، ولم تلبث الكتابة أن انتشرت فيما بعد وتعارف "النساخ"[2] السومريون على أشكالها وقيمتها الصوتية والرمزية وصارت وسيلة للتدوين في منطقة واسعة من بلاد سومر وأكد، إذ وصلت إلينا أعداد كبيرة من النصوص تعود إلى عصر فجر السلالات[3] الثالث (2600-2300ق.م) ومن مدن عديدة مثل: لجش، نفر وأور وهي في مجملها نصوص اقتصادية وكتابات ملوك وأمراء دويلات المدن السومرية التي تخلد أعمالهم وانجازاتهم العسكرية وجملة إصلاحاتهم الاجتماعية[4].

---

(1)- عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 389.

(1)- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 244.

(2)- **النساخ**: أو الكاتب الناسخ يطلق على هذا الصنف من الكتبة اسم "Dub.Sar.Gestu.su" التي تعني حرفيا الكاتب الأصم، ولعل القصد منها الكاتب المقلد وهي كناية عن الناسخ الذي يقوم بتدوين نسخة عن نسخة أخرى دون إملاء أحد. ينظر: عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 81.

(3)- **فجر السلالات**: تبدأ هذه الفترة في التسلسل التاريخي لوادي الرافدين في حوالي 2900 ق.م وتنتهي بتأسيس السلالة الأكدية نحو 2334 ق.م وتعرف أيضا بتسمية "فترة ما قبل السرجونية"، ازدهرت خلالها دويلات المدن السومرية بقيادة حكام السلالات مثل: لوجال راجيزي حاكم مدينة "أوما" وأوركاجينا حاكم "لجش"، وكان الباحث "هنري فرانكفورت" أول من استعمل هذا المصطلح وقسمه إلى ثلاثة مراحل استنادا إلى الأساليب التي ظهرت فيها الأختام الأسطوانية، ووصل تأثير هذه الحضارات المتجانسة إلى مناطق بعيدة مثل: "مملكة ماري" و"تل جويرا" في سوريا. ينظر: حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص 465.

(4)- فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص ص 194، 195.

ويعود السبب في اعتماد الطين مادة أولية للكتابة والتدوين كونها أسهل من صناعة ورق البردي، وألواح الطين تكون غير قابلة للتلف حتى وإن لم توضع في الأفران، مع العلم أن بعض الأوراق الهامة استوجب وضعها ضمن أغلفة طينية لتفادي التلاعب بها، واستعمل عدد كبير من هذه الألواح لحفظ جميع أنواع الوثائق العامة والخاصة، غير أن الطين لم يواكب متطلبات الخط بالمقارنة مع البردي لذلك لم يصبح الخط المسماري فرعا بذاته من الفن كما أصبح الخط الهيروغليفي والأسوأ أن الطين يجف سريعا فصار من اللازم كتابة اللوح وتكملته دفعة واحدة[1].

أما الميزة الفريدة للكتابة المسمارية هو تكيفها الجيد مع الطين وعلى هذا المنوال فحيثما استعملت الألواح الطينية وجد الخط المسماري مقرونا به، وكان نطاق استخدامه واسعا في الأناضول وعيلام شرقي المجرى الأسفل لنهر دجلة ، وقد حافظت التقاليد على استمرارية توظيف الخط المسماري في بعض الحالات الشاذة حيث كانت الكتابة تنقش على مواد أخرى كالأحجار المستخدمة لتشكيل النصب التذكارية[2].

وكان الصلصال وسيلة ناجعة للتدوين كونه يضم الكثير من المعلومات في مساحة صغيرة وهذا بالرغم من استعمال الخط المسماري على سطوح أخرى مثل الأعمدة والأساسات، وقد صنعت الألواح لتكون قادرة على التحمل ولتعزيز قدرتها على الاستمرار والبقاء، والطين ليس أفضل مادة للكتابة لأنه ثقيل الوزن ويشغل حيزا كبيرا، ورغم ذلك كان بوسع هذه اللوحات الحفاظ على هيئتها وبفضلها وصلت إلينا كميات هائلة من الألواح (يوجد ما يقارب 500 ألف لوح صلصالي)، لكن من باب الافتراض أن يكون سكان بلاد النهرين قد دونوا معارفهم الأولى على الخشب قبل الانتقال إلى استعمال الطين[3].

ونظرا لأهمية هذه الرقم الطينية فقد صارت ضمن اهتمامات العديد من المؤرخين أمثال: فالكنشتاين (A. Falkenstein)، نيسين (H. Nissen) ومارغريت غرين (M. Green) وهم السباقون الذين تخصصوا في دراسة هذا الحقل المعرفي، حيث توصلوا في استنتاجاتهم أن تدوين الرموز الكتابية على قطع

(1)- جورج سارتون، المرجع السابق، ص ص 157، 158.

(2)- نفسه، ص ص 156، 157.

(3)- عبد اللطيف محمد سلمان، **الورق (نشأته- وظيفته - تطور صناعته عبر التاريخ)**، عدد 2، مج 22، جامعة دمشق للعلوم الهندسية، 2006، ص 158.

الطين كان باستعمال ريشة من الخشب ، القصب، العظم، أو العاج وتساءل هؤلاء العلماء عن أصل هذه الرقم الطينية في شكل فرضية منطقية والتي تقر أن منشأ هذه اللوحات لم يكن دفعة واحدة بل أن التدوين عليها مر بفترات تطور وتحول عديدة مع وجود احتمال كبير أن بداية التدوين استند على مواد هشة كالبردي و الجلود (هذا الاحتمال يبقى واردا إلى غاية العثور على مدونات من هذا النوع ضمن الكشوفات الأثرية اللاحقة)، لكنها ما كانت لتصل إلى نمط التدوين المثالي كالذي حملته الألواح الطينية[1] فالنظرية التي تقر بأن السومريين قد بدءوا الكتابة على مواد ذات تركيبة عضوية تبقى قائمة ومن المحتمل أن هذه المواد قد تحللت وتلاشت، مع استفحال الفرضية القائلة بأنه قد لا يكون السومريون هم أول من توصل إلى تطوير الكتابة كوسيلة جديدة للتواصل بل أخذوها عن شعب آخر غير معروف كان يعيش قبلهم في الجزء الجنوبي من بلاد الرافدين[2].

وهذه الميزة الخاصة التي تحملها الألواح الطينية تندرج ضمن مهارات وتقنيات تحضير الرقم وتجهيزها بحيث توضع في إناء مع الماء فيسقط الحصى والمواد الأخرى الثقيلة التي تترسب في القاع، بينما تطفو الشوائب الخفيفة على السطح وباستعمال هذه الطريقة (الترسيب) كان من الممكن الحصول على "الطين النقي" الذي يستعمل لصناعة الرقم، وكانوا يأتون بالطين من ضفاف الدجلة والفرات حيث تقوم الطبيعة بتنقية الطين عوضا عن الإنسان[3].

وقد قام السومريون كذلك بابتكار تقنية ناجعة حيث يقومون بطلاء الألواح الطينية باللون الأبيض ويتركونه حتى يجف ثم يبدءون بالتسجيل عليها فيما بعد، ووجدت كذلك على أسطح بعض اللوحات الطينية الكبيرة العديد من الثقوب الصغيرة والتي يقال أنها كانت تسمح بخروج البخار منها أثناء عملية التجفيف في الأفران " أي عملية طبخ الألواح للحفاظ على صلابتها"[4].

(1)- موسى ديب الخوري، **قصة الأرقام عبر حضارات الشرق القديم (دراسة تاريخية)**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2002، ص 20.

(2)- سعد صائب، المرجع السابق، ص 34.

(3)- ألكسندر ستيبتشفيتش، **تاريخ الكتاب**، تر: محمد.م الأرناؤوط، ج1، عالم المعرفة، الكويت، 1993، ص 17.

(4)- حسب الله سيد ومحمد جلال غندور، المرجع السابق، ص 24.

إضافة إلى ذلك استعمل الحجر كمادة ثانية بعد الطين للتدوين عليه، وقد استعملت أنواع عدة ومنها الأحجار الرسوبية والمتغيرة والأحجار النارية كالمرمر، الرخام والديوريت[1] الأسود، البازلت وغيره، والأحجار الكريمة وشبه الكريمة كالعقيق، اللازورد، الزمرد والياقوت، وقد صنعت من هذه الأحجار التماثيل، الجداريات، المسلات البارزة، والأختام[1].

3. الكاتب في بلاد الرافدين:

ينتمي الكاتب في بلاد الرافدين إلى "النخبة الاجتماعية" ووقعت عليه مسؤولية توثيق النصوص، واكتسب الكتبة هذا الفن عن طريق التكوين ضمن مدارس خاصة تعنى بتلقينهم الخطوات الأساسية في مختلف ميادين الحياة، وتم توزيعهم لأداء مهامهم في القصور، المعابد، المحاكم، الجيش وغيرها من الهياكل الإدارية الخاصة لتنظيم شؤون الدولة والمجتمع، وأتقن هؤلاء الكتبة المعارف الأساسية المتعلقة بالأدب والدين، لذلك كان دورهم الرئيسي الحفاظ على الإرث الحضاري لبلاد الرافدين[2] .

ويطلق على هؤلاء الكتبة اسم "النساخ" المنحدرين من السلك الوظيفي الراقي، وتسمى المدارس التي تكونوا فيها "بيت الرقم" والمنتشرة بكثرة في بلاد سومر، حيث كان تكوينهم يتطلب سنوات عديدة من التدريب لاكتساب المعارف المتنوعة وبعدما صار الكتبة أكثر كفاءة وتمرسا دخلوا في خدمة المعبد والقصر بحيث شملت كتاباتهم المسلات والأختام، كما اهتموا بتأليف مجموعة من القوائم، المعاجم والملخصات كما تفرغوا للقيام ببعض العمليات المتعلقة بالترتيب والتصنيف[3].

وتوفرت للكاتب مكانة راقية في المجتمع بدليل أن الرافديين خصوهم بأسماء الحكام ورؤساء المعابد حيث كانوا يكلفونهم بكتابة العقود وتحرير الرسائل أو قراءتها، وكان كتبة المحفوظات يعتنون بلوحاتهم الهامة

---

[1]- **الديوريت**: حجر بركاني بلوري يستعمله سكان أستراليا الأصليون وشعوب بدائية أخرى في صنع الأدوات وبخاصة الفؤوس، وهو حجر صلب له وجه مبقع باللونين الأبيض والأسود. ينظر: شاكر مصطفى سليم، المرجع السابق، ص 263.

[1]- عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 120.

[2]- نفسه، ص 02.

[3]- أفرام عيسى يوسف، **ملحمة الدجلة والفرات**، تر: علي نجيب إبراهيم، ط1، دار الحوار، سوريا، 2001، ص ص 43، 44.

داخل الجرار مع إرفاقها ببطاقات يسجلون عليها طبيعة محتوياتها[1].

ومع تزايد نمو المجتمع وتمركز السلطة الاقتصادية والاجتماعية في أيدي كهنة المعابد زادت الحاجة إلى تدوين الحسابات العمومية والشؤون الدينية، وباتساع نطاق الضروريات برزت أعداد كبيرة من الكتبة بغرض تدوين الأعمال الإدارية والاقتصادية، فبعدما كانت هذه الانشغالات تتطلب عددا محدودا أصبح من الضروري زيادة أعدادهم من أجل مواكبة متطلبات المدن والممالك واختلفت طبيعة مهامهم لتصبح مرتكزا للسلطة السياسية التي تتكفل بالتنظيم والتوجيه والحكم، كما قامت هذه الفئة بالتنظيم الإداري الجيد والذي كان "ناظر القصر" الممثل الرسمي والأعلى له، وتحولت هذه الفئة لتشغل وظائف محددة وبشكل دائم ويتم إعدادها بطريقة مميزة ضمن الهياكل، وخلال العهد الآشوري بلغ النظام الإداري مرحلة التعقيد واستوجب ذلك توفير أصناف من الكتبة الذين ينتشرون بين القصر والمكاتب المحلية والإقليمية، وارتبط عمل هذا الجهاز بالملك حيث يقوم بتنفيذ الأوامر على جميع المستويات الوظيفية[1].

كما شهدت بلاد الرافدين عبر مختلف عصورها عملية استنساخ الإنتاج الفكري واختص بعض الكتبة باستنساخ المؤلفات الأدبية ويطلق على هذا الصنف اسم "الكاتب المقلد" الذي يقوم بتدوين نسخة عن أخرى دون تدخل أي شخص في عملية الإملاء، ومن خلال النصوص المستنسخة يلاحظ أن النساخ امتازوا بجملة من المواصفات منها إتقان القراءة والكتابة بخط واضح ومنسق، إلى جانب ذلك تطرقهم لمعالجة مواضيع وأعمال متنوعة[2].

كما تميز النساخ بمبدأ الأمانة في النقل حيث يدون الناسخ أو الكاتب في أسفل الرقيم الطيني عبارة " هكذا سمعت من فم السيد فلان" وإذا كان الرقيم الأصلي مكسورا دونت عليه عبارة "كسرة رقيم قديمة"، وهكذا نقل النساخ الكلمات والنصوص بطريقة آمنة والدليل على ذلك وصولها إلينا كاملة رغم بعد الحقب

[1]- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص ص 127، 128.
[1]- عمر محمد صبحي عبد الحي، المرجع السابق، ص ص 129، 130.
[2]- عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 85.

الزمنية التي دونت فيها[1].

أ. كاتب المعبد:

كانت للمعابد أهمية كبيرة في حياة المجتمع لأن للمعبد علاقة وطيدة بحياة الناس وشؤونهم الدينية والدنيوية، وهو بمثابة محكمة أو رمز لحل مشاكلهم والفصل في الخصومات حيث اعتبر الكهنة بمثابة القضاة خاصة أن عددا كبيرا من القضايا كانت ترفع إلى المعابد، وإضافة إلى ذلك كان المعبد مصرفا للمداينات وإيداع الأمانات لذلك فقد احتوى هذا الأخير كنوزا محفوظة تتمثل في السجلات الدينية والدنيوية والآثار الفنية المحفوظة فيه، ومن ثم اعتبر مركزا علميا للبحث والتدوين فقد حفظت فيه العديد من السجلات الأدبية وأخرى تضم شتى العلوم[1]، والمعبد فوق ما كان له من مركز سياسي وديني كانت له وظيفة اقتصادية حيث كان يحتفظ بموارد وثروات ضخمة منها الأراضي والمستودعات إضافة إلى مشاغل للحرف المختلفة ومراكز للتوزيع مع العلم أن له يد واسعة في تنظيم القوافل التجارية، كما امتلك مجموعة من القوارب النهرية لهذا الغرض[2].

كما أنشا نظام إداري دقيق لمخازن المعبد مزود بسجلات مثل الحبوب التي كانت تستعمل كعلف للحيوانات، وكانت غلة الأرض تقدر بالفدان مع العلم أن غلة الأرض في مصر القديمة كانت تقدر تبعا لكمية مياه الفيضان، وسجلت في المعبد مخصصات موظفيه الشهرية وسجلت كذلك التموينات الشهرية لمصانع الخمر والخبز والمطابخ، وكان الكاهن والمعاون هما المسؤولان عن توقيع هذه الوثائق[3].

وردت أقدم إشارة في النصوص المسمارية المبكرة للتعبير عن كاتب المعبد بمصطلح "Sanga" وقد تردد ذكره مرارا ضمن نصوص الوركاء (الطبقة الرابعة) وبالتحديد نصوص معبد "إنانا"، واستخدم المصطلح خلال العهد الأكدي بصيغة "Sangum" كما أشير إليه خلال العصر البابلي القديم بصيغة المصطلح

---

(1)- عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 85.

(1)- حورية عبد الله، **التوسع الآشوري في بلاد الشام (911- 612 ق.م)**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993م، ص 58.

(2)- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 93.

(3)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 51.

السومري، ولاسيما في النصوص الاقتصادية، التاريخية، الطبية، العقود ونصوص الفأل[1].

وكان الكاهن هو خازن كتب المعبد ومن بين واجباته أن يحفظ الألواح وأن يعوض الألواح المهشمة أو الطامسة بألواح جديدة سليمة، ومن مهامه أيضا توسيع الخزانة بالحصول على نسخ الوثائق القديمة من الخزائن الأخرى أو بإيفاد النساخ إلى المدن البعيدة لينسخوا له الألواح ويأتوا بها إليه[1].

هذا ويبدو من خلال النصوص المكتشفة أن كاتب المعبد كان يقوم بأداء الأعمال الإدارية للمعبد فضلا عن توليه إدارة المخازن والعمل على تسجيل عمليات تصريف المنتوجات كالأسماك، الصوف والفضة، وقد استدعت الحاجة أحيانا أن ينتقل هذا الكاتب مع الباعة إلى المدن المختلفة لانجاز وتدقيق تسجيل أسعار المنتجات المصروفة ومبالغها خلال عمليات التبادل، ويتضح من خلال الأرشيفات المكتشفة أن هؤلاء الكتبة قد احتفظوا بتسجيلاتهم المدونة ضمن هذا الهيكل[2].

إضافة إلى ذلك كان الناس الذين يقدمون القرابين يعطون وصلا بالتسلم، وكان كاتب المعبد يكتب إشعارا يكون كالمذكرة توضع في سلة وتجمع عند نهاية الأسبوع، ثم تصنف المعطيات حسب أنواعها وتسجل في رقيم من الطين أعد لهذا الغرض وهكذا حتى تنتهي بمجاميع متسلسلة لكل شيء مسجل، وقد عثر خلال عمليات التنقيب على عدد كبير من الرقم تحتوي على إحصائيات عن الضرائب الخاصة بالأسبوع، الشهر والسنة ووجد في موقع واحد أكثر من ألف رقيم من هذا النوع[3].

وتجدر الإشارة أنه خلال العصر البابلي القديم ذكر صنف من الكتبة يدعى "كاتب ناديتوم Dub Sar Sa Lukur" إذ كان يقوم بخدمة "كاهنة ناديتوم"[4] وتسجيل وارداتها وأشهر هؤلاء: الكاتب

---

[1]- عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص ص 53، 54.

[1]- كوركيس عواد، **خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى 1000 للهجرة**، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1986م، ص 43.

[2]- عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 54.

[3]- خالفي جميلة، المرجع السابق، ص 81.

[4]- **ناديتوم**: هن من الكاهنات اللواتي كن في نفس الوقت أميرات وبنات ذوي الرتب العليا في الدولة وقد خصصت خدماتهن بشكل رئيسي لتغطية حاجات المعابد التي خدمن فيها، وكن يقمن ضمن سكن خاص بالكاهنات يعرف باسم "Gagu". ينظر: عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 88.

"أويل- أدد"[1] الذي ذكر عدة مرات من عهد الملك "سمسو- ايلونا"[2]، وخلال العصر الآشوري الحديث ارتفعت مكانة كاتب المعبد الاجتماعية والاقتصادية من خلال اهتمام الملوك الآشوريين بمنح خمس إقطاعات الأراضي إلى معبد الإله "آشور"، وقد وردت العديد من الشكاوي التي تقدم بها كاتب المعبد إلى الملوك لامتناع حكام الأقاليم أو تأخرهم عن الدفع في الوقت المحدد أو في تقديم جزء من وارداتهم إلى المعبد كالحبوب والقرابين، هذا ويبدو أنه كان لكاتب المعبد خلال العصور البابلية والآشورية المتأخرة كتابا آخرين داخل أروقة المعابد يرافقونه ويدونون له المذكرات والحسابات الضرورية المتعلقة بالضرائب[1].

أما المكتبات الدينية فكانت من المراكز المهمة لتعليم الدين والمعارف وكذا لحفظ السجلات، فكانت هذه المكتبات عبارة عن حجرة أو حجرات ملحقة بكل معبد لتضم الرقم الطينية المختلفة الأحجام وهي تضم النصوص الدينية التي تتلى في المعابد وأخبار الآلهة وقصة الخليقة ثم الأساطير، وكان الكهنة المكتبيون هم المشرفين عليها، وكان بها أيضا غرف صغيرة للدراسة خاصة بالتلاميذ الكهنة وكانت تعلق على بابها اسم "خزانة كتب مدرسية"[2].

ب. كاتب القصر:

يؤلف القصر الملكي عالما مستقلا ويسكن فيه جمهور اجتماعي له علاقة مباشرة بالحاكم، وتضم هذه المجموعة الكثيرة العدد ومختلفة التركيب عمالا يمارسون مختلف المهن منهم: الكتبة، حراس المخازن، الرعاة والفلاحين وكلهم خاضعون لأوامر ناضر القصر، إذ أن الأملاك الملكية المتشعبة الخيرات تجعل من القصر نوعا ما مشروعا اقتصاديا واسعا تساهم أرباحه في تثبيت سلطة الملك المادية[3].

---

[1]- **أدد**: من بين الآلهة الفينيقية والآشورية وهو مكلف بمهام الآلهة الكبرى. ينظر: Th. Bernard, **Dictionnaire Mythologique ou Biographie Mythique,** Librairie de Firmint Didot fréres, Paris, 1854, p 06.

[2]- **سمسو- ايلونا (1685- 1648 ق.م)**: خلف أباه حمورابي على عرش بابل، وشارك في أعباء الحكم بسبب مرض والده، وشهدت الفترة الأولى من حكمه هدوءا نسبيا قام خلالها بتجسيد العديد من المشاريع الاقتصادية والعمرانية كشق القنوات وإقامة المعابد تكرما للآلهة، ولم ترد معلومات عن قيامه بأي غزو ضد أعداءه. ينظر: حلمي إسماعيل محروس، المرجع السابق، ص 53.

[1]- عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 55.

[2]- خالد أبو دية، **المكتبات في العصور القديمة**، رسالة النجاح، العدد 18، 1984م، ص 02.

[3]- أندريه أيمار وجانين أبوايه، المرجع السابق، ص 148.

كما يمثل القصر القطب الثاني في المجتمع السومري أو المؤسسة التي كان لها في بعض المدن مثل: كيش، أور وأوروك أهمية كبرى ابتداء من العصور التاريخية، فهو مقر الأنسى (Ensi) الذي يشرف على إدارة الدولة، في حين كان الإله يمثله الملك والذي يطلق عليه أحيانا "ملك المدينة"، وكان يطلق على الأمير لقب "الكاهن الأكبر" أو "القائد الأعلى" الذي كان يقيم تماثيل له في المعابد خاصة خلال العصرين الأكدي والسومري الحديث ويرفقها بمجموعة من الكتابات التي تعدد أعماله العمرانية[1].

يطلق على كاتب القصر اسم "Dub.Sar.E.Gal" واختص هذا الصنف من الكتبة بأرشيفات المراسلات الملكية واستنساخ النصوص التي قد يطلبها الملك والمحافظة على كل الوثائق التي تتعلق بالحوادث اليومية ذات العلاقة بالإدارة الملكية والأوامر الصادرة عنها فضلا عن فهرسة جميع الرسائل الواردة للقصر وترتيبها بعد الانتهاء منها، علاوة على تدوينهم نصوص الحوليات الملكية، كما اختص هذا الصنف بجمع الضرائب وإدارة الأعمال والمباني العامة التابع للقصر مثل: المخازن وهو ما يشير إلى أنهم كانوا أيضا بمثابة الملوك في بلاطاتهم[1].

وقد أشارت النصوص إلى اختصاصات كتبة القصر وطبيعة المهام الكتابية التي يؤدونها وفضلا عن كتبة الملك والقصر الرئيسيين فقد جاء ذكر كاتب ابن الملك "A.BA.DUMU.LUGAL" وكاتب كبير حاشية ولي العهد "A.BA.sa GAL.SAG.SAG W" وكاتب رئيس رجال البلاط أو الحاشية "A.BA.sa.GAL.SAG" وكاتب مشرف القصر "A.BA. RAB-ekalli"، ومن كتبة أجنحة وأقسام القصر الأخرى كاتب جناح الحريم "tupsar bitani" وكاتب كبير حاشية الملك " tupsar sa rab resi" وكاتب مسؤول القصر "tupsar sa sa ekalli" وكاتب مسؤول الاصطبلات الملكية "tupsar sa rab utrate" وكاتب المكتبة الملكية (بيت الألواح) "tupsar bit tuppati" وكاتب مسؤول قسم المطابخ الملكية "tupsar bit nuhatimmi"، وكان يقف على رأس الكتبة رئيس أو كبير الكتبة "LU.GAL.A.BA/ rab tupsarrani"[2].

---

[1]- محمود أمهز، المرجع السابق، ص 121.

[1]- عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 59.

[2]- نفسه، ص 60.

بعد دراستي للإطار الجغرافي والحضاري لبلاد الرافدين وتحديدي لأبعاد الفكر الرافدي الذي انبثق عنه العديد من الإنجازات والابتكارات تمكنت من تكوين صورة واضحة عن الشكل العام لهذه الحضارة التي تعود فترة ظهورها إلى أزمنة موغلة في القدم، كما استطعت استخلاص العديد من النتائج الهامة والتي تبين أبعاد الموضوع ومرتكزاته، ومن جهة أخرى فقد مكنتني المعلومات الوافرة حول هذه المنطقة من بلوغ مرحلة متقدمة من المكتسبات المعرفية ضمن هذا الإطار الخصب، كما أنوه إلى أن المعلومات المستخلصة تعبر عن الآراء الشخصية وليس من الضروري أن تكون صحيحة كليا لكنها تشمل في مجملها أبعاد الدراسة القائمة عليها ومن أهم هذه النتائج ما يلي:

1. تمثل الظروف البيئية عاملا أساسيا في بناء وتشكيل أسس الحضارة، وضمن هذا النطاق تمتعت بلاد الرافدين بظروف طبيعية ملائمة جعلتها محط أنظار الإنسان القديم الذي انتقاها لتكون نواة نشاطه الحضاري الأولي، وقد ساعدها في ذلك وقوعها بين النهرين اللذان جعلاها مرتكزا للنشاط الزراعي الذي يمكن أن نعتبره خلال تلك المرحلة أساس الحياة المستقرة، وما يمكن استنتاجه من دراسة الأبعاد الجغرافية هو انعدام التناظر بين الشمال والجنوب الأمر الذي فتح المجال للاختلافات والصراعات، كما أدى تباين الواقع الجغرافي إلى عدم بروز الحضارة ضمن نفس الإطار الزمني، وأدت مشكلة توزيع المياه إلى نشوب الحروب وتعديل سياسة الحكام حفاظا على هذا العامل الحيوي في عملية البناء الداخلي.

لكن لا يمكن اعتبار جميع الظروف الطبيعية مواتية لأن مشكل الفيضانات بينت إلى حد بعيد العراقيل التي واجهت بناة الحضارة والتحديات الكبرى التي رفعوها في سبيل التقليل من أضرار هذا العامل الطبيعي إلى جانب ذلك فقد أدى تذبذب المناخ إلى رهن مستقبل النشاط الفلاحي في العديد من مناطق بلاد الرافدين وبالتالي رهن الوضع الاقتصادي.

2. تمثل فترتي الوركاء وجمدة نصر أجود فترات بلاد الرافدين الحضارية، وقد اعتبرها جملة الباحثين والأثريين كمقدمة لدخول المنطقة ضمن المرحلة التاريخية، وتكافؤها على المستوى التصنيفي في مصر فترة ما قبل الأسرات، وعرف الإنسان خلال هاتين المرحلتين طرق البناء والنقل باستعمال العجلات، إلى جانب ذلك تشكيل الفخار وابتكار النحت الذي يعد أرقى تعابير الفكر الرافدي الخصب، كما برز المعتقد الديني

في شكله الكامل بالإضافة إلى بلوغ مرحلة التعبير الكتابي، ويعد هذا الابتكار قفزة نوعية في ميدان التفكير الواعي وأرقى المكاسب التي صنعها الإنسان الرافدي.

لكن تبقى هاتين الفترتين غامضتين نوعا ما وذلك من خلال تداخل الفترات ما قبل التاريخية ببعضها البعض وهذا الأمر عتم إمكانية الفصل بين المخلفات الحضارية لهذه الفترات في الكثير من المواقع، إلى جانب ذلك لا يمكن الأخذ بعين الاعتبار جميع المعطيات الأثرية المتحصل عليها كونها تعطي نتائج نسبية وهي في العديد من الأحيان افتراضية أكثر منها عملية.

3. يعد فجر الحضارة في بلاد الرافدين نتاجا خالصا وثمرة لجهود عناصره الأصلية ذات النسق الحضاري المتوازن والعناصر الوافدة ذات الخبرات والتجارب الايجابية، وكانت أسمى المكتسبات خلال هذه المرحلة هي الارتقاء بالكتابة البدائية إلى الطور النموذجي المنظم وكذا معرفة كيفية صهر المعادن التي تعد دفعة قوية كونها توفر الإمكانيات اللازمة للتطور النوعي، كما شهدت هذه الفترة ميلاد نظام دويلات المدن التي تعد أقدم نموذج للاستقلالية والديمقراطية، لذلك يمكننا اعتبار هذه المحصلات المقومات الأساسية للحضارة ما للعبارة من معنى.

لكن تبقى المشكلة الأساسية في تحديد البداية الفعلية لهذه الفترة والمسؤول عن قيامها، كما مثلت الكتابة الأولية إشكالا عميقا للباحثين حول أصولها ومبتكريها وتحديد فترة تشكيلها لهذا تكون الفرضيات التي وضعت لها إما منطقية أو بعيدة نوعا ما عن الصواب، ويبقى عامل الزمن والاكتشافات اللاحقة هي الفاصل في تحديد هذه الحقائق المطروحة للنقاش.

4. يمثل السومريون العنصر الفاعل في بناء حضارة بلاد الرافدين وهذا بفضل الركائز الأساسية التي صاغها هذا العنصر وما يحمله من مقومات جعلته يتبنى مسؤولية بناء الصرح الحضاري للمنطقة، حيث يعود له الفضل في تشكيل أولى الهياكل الدينية وأولى الإمبراطوريات وأجمل تقنيات التعابير المادية، إلى جانب ذلك صياغتهم لأولى الشرائع المكتوبة.

لكن من جهة أخرى يبقى مشكل أصلهم أو ما يمكن أن نصطلح عليه اسم "المسألة السومرية" أكبر العراقيل التي صادفت ولا تزال تصادف الباحثين والمتخصصين في دراسة تاريخ المنطقة، فرغم المعطيات

الأثرية والأنتروبولوجية لم يتمكن لحد الآن علماء السلالات والمنقبون من تحديد أصولهم الفعلية وهذا في حد ذاته يرهن المعطيات المتعلقة بمنجزاتهم التي ربطها العديد من الباحثين ببعض الشعوب التي سبقتهم إلى المنطقة، ويبقى كذلك الإشكال اللغوي لهذا العنصر محط دراسة علماء اللغة واللسانيات لاحتوائه العديد من التناقضات.

5. تعتبر الكتابة أهم إنجاز بلغته حضارة وادي الرافدين وذلك بفضل تشكيلها لأقدم البنيات الاقتصادية في العالم القديم، وقد مكنها هذا الابتكار من اعتلاء الصدارة الثقافية في منطقة الشرق الأدنى القديم، وأهم المعلومات التي استخلصناها من تتبع مراحل الكتابة وتطورها التدريجي أنها كانت تتماشى مع متطلبات المجتمع القائم عبر مختلف فتراته التاريخية، ولعبت هذه الأداة دورا فعالا في تثبيت دعائم السلطة وكذا حفظ الموروث الثقافي الضخم، إلى جانب ذلك تمكنت الهياكل الدينية بفضلها من السيطرة على مختلف الجوانب المتعلقة بالحياة الدينية والدنيوية، هذا وقد كان لها نصيب معتبر من الرواج ويظهر ذلك من خلال اعتبارها الكتابة الدولية الرسمية والمرجعية التدوينية خاصة فيما يتعلق بعقد التحالفات وتبادل الوفود الدبلوماسية.

لكن من جهة أخرى تبقى الدراسات اللغوية غير كاملة من ناحية المناهج والتطبيقات وصولا إلى النتائج النهائية وهذا ما جعل العديد من المعطيات قابلة للنقد خاصة من الجانب المتعلق بالحقائق القطعية التي خرجت بها البحوث الكثيرة التي جعلت ميدان الكتابة مسرحا للافتراضات التي لا يمكن الحسم النهائي في نتائجها.

6. اعتمدت الكتابة في بلاد الرافدين على الطمي كمادة رئيسية للتدوين وهذا أمر منطقي إذا أمعنا النظر في طبيعة البيئة التي فرضت هذا الواقع باعتبار أن ضفاف النهرين غنية بهذه المواد المفيدة لتشكيل الألواح الطينية التي يمكن اعتبارها بمثابة الكتاب في وقتنا الحالي كما هو الحال في مصر القديمة التي استعملت ورق البردي المنتشر في بيئتها بكثرة ونفس الأمر في الصين التي استخدمت نبات الخيزران لهذا الغرض، واستنتجنا من دراسة العديد من النماذج المدونة أن طبيعة المواد المستعملة اختلفت تبعا لأهمية المواضيع المدونة، فمن الطبيعي أن يستخدم الطمي النقي وقلم القصب ذو النوعية الرفيعة في كتابة الرسائل الدبلوماسية والمراسيم الملكية وأن يستعمل الطمي العادي في مجال المعاملات اليومية.

لكن يبقى الطمي مادة سريعة التلف وعرضة للتحلل بمرور قرون عديدة على تشكيله وهذا الأمر يحد من إمكانية الحصول على جميع الألواح التي تنتمي إلى مختلف الحقب الزمنية، وتبقى هذه المادة رغم كثرتها قليلة الشأن بالمقارنة مع بعض المواد التي استعملت في الكتابة على غرار الأحجار والمعادن التي تتحمل المؤثرات الطبيعية وتبقى محفوظة لفترة طويلة من الزمن.

7. إن ميلاد الكتابة في حضن الحاجة الاقتصادية الملحة لبلاد الرافدين جعلها تحتل مكانة استثنائية بالمقارنة مع باقي المبتكرات الأخرى التي أنتجها العقل الرافدي، وذلك كونها الأداة الرئيسية في تنظيم جميع المجالات خاصة مؤسسة المعبد التي تعد نواة المجتمع وعماد الاقتصاد الخاص بالمدن ذات النظام القائم على المنافسة، وبفضلها تم الكشف عن حضارة بأكملها والتي بينت مدى حذق الإنسان الرافدي القديم وبلوغه مستوى راق من الوعي الثقافي.

لكن رغم هذه المزايا لا يمكن اعتبار الكتابة الأولى كتابة كاملة لأنها لم تكن تستند إلى قواعد لغوية واضحة وأنها كانت كنتاج عن ضروريات حتمت ظهورها دون أن تبرز في شكلها الكلي، كما أن إشكالية بروزها وتضارب آراء الباحثين حولها حال دون توظيف جملة الجهود لبلوغ النتائج الصحيحة بشكل نهائي.

8. يعتبر المعبد مؤسسة قائمة بذاتها وله جميع الصلاحيات لتثبيت دعائم الدولة، ولضبط ميزانياته الهامة وتدقيق موارده المتنوعة أرفق هذا الهيكل بمكلف خاص كانت مهمته الإشراف على السير الحسن لهذه المنظومة والحفاظ على ديمومتها، لذا احتل كاتب المعبد دورا بارزا كونه المسؤول الأول عن حفظ المخزون الوافر للدولة والسهر على إتباع الضوابط وترتيب المعايير، لذلك كان من أوجه الإلزام تكوينه ضمن مؤسسات تعليمية ناجعة للتأكيد على فعاليته وضمانا لسيرورة حسنة للاقتصاد.

لكن أدت الامتيازات التي منحت لسلك المعبد إلى استحواذ هذا الأخير على عدد كبير من الإقطاعات الخاصة بأتباعه وكذا تحويل مجموع الهبات المقدمة والأضاحي لخدمة مصالحه الخاصة، كما يمكننا أن نطرح العديد من التساؤلات حول إمكانية أن يكون بعض كتبة المعبد على علاقة مباشرة ببعض التجاوزات المالية والضريبية، إضافة إلى إمكانية حصولهم على أموال غير مصرح بها وخارج نطاق صلاحيات المعبد بحد ذاته وهذه الفرضيات تبقى قابلة للطرح إلى غاية العثور على وثائق رسمية تنفيها بصفة قطعية أو تثبت صدقها بشكل نهائي.

9. يعد القصر الهيئة الرسمية والمقر الرئيسي لتسيير بلاد الرافدين وهو المسؤول عن تنظيم جميع الأقطار الداخلية دون استثناء، ويعد الملك الممثل الرسمي له، لذا استوجب الحفاظ عليه إرفاقه بمجموعة كاملة من الكتبة الإداريين من ذوي التكوين العالي المشروط ولكونهم من الطبقة الراقية ذات المسؤوليات المباشرة، ولمنع وقوع الاختلال فيما يخص المجالات الحساسة التي بنيت على أساسها الدولة خاصة الدبلوماسية الخارجية كلفت هذه الطبقة بالحفاظ على توازنها وتظهر عظمة مسؤوليتهم من خلال اعتبارهم رفقاء المائدة الملكية وهذا أكبر دليل على المكانة الاستثنائية التي حظيوا بها.

لكن من جهة أخرى ورغم مكانتهم القيمة إلى أن العديد من المراسيم الملكية والتقارير لم تكن تحمل أسمائهم وهذا ربما راجع لاعتبارات سياسية، لكنه يخفي في الكثير من الأحيان مجهودات الكاتب في صياغة هذه المناشير، وباعتباره مرافقا دائما للملك وكاتبا رسميا لمسيرته فهذا الأمر يجعل كتاباته محط الشك وهذا لمغالاة الملوك في تعظيم أنفسهم وإحاطة مكانتهم بالعديد من الانجازات الأسطورية، لذلك فعلى الباحثين التعامل مع المادة المعثور عليها بنوع من الحساسية والتريث لأنه لا يمكن اعتبارها صادقة بشكل نهائي.

الفصل الثاني:

الرافديـــون والتـــدوين

أولا: تدوين العلوم.

1. علم التاريخ
2. علم الجغرافيا
3. علم الفلك
4. علم الطب
5. الرياضيات
6. المدونات الاقتصادية (السجلات)
7. المعارف الطبيعية
8. الأدب وتدوينه

أ. ملحمة الخليقة

ب. الطوفان

ج. ملحمة جلجامش

ثانيا: تدوين التشريعات.

1. إصلاحات أوركاجينا
2. قانون أورنمو
3. قانون أشنونا
4. قانون لبت عشتار
5. شريعة حمورابي

ثالثا: مدرسة بلاد الرافدين القديمة.

أولا: تدويـــن العلـــوم:

لم يظهر في العالم رصيد هائل يماثل مخزون المدونات التي عثر عليها علماء الآثار في بلاد الرافدين، والتي أكدت على أهمية الكتابة التي كانت في البدء من اختصاص الكهنة ثم تحولت إلى الكتبة المتدربين في المدارس والمتميزين بموهبة الكتابة، وفتحت هذه الرقم السبيل للتعرف على تاريخ المنطقة بحيث جمعت الأبحاث الآلاف من الألواح ضمن المواقع الأثرية من أحدثها مكتبة مدينة "سيبار"[1] التي عثر في زاقورتها على مكتبة كاملة بلوحات منظمة باللغة البابلية تضم نصوص في ميادين متعددة: الرياضيات، الفلك والمعاجم اللغوية، كما أن اكتشاف اللوحات في نيبور وإيبلا مكن العلماء من التعمق فيما يخص اللغات والتغيرات المتعددة التي طرأت على نظام الكتابة[2].

فبعد هذه الاكتشافات أصبحت قراءة النصوص ميسورة ووضعت نواة المؤلفات اللغوية والمعاجم فقد قام "كارل بتسولد Bezold" بفهرسة ألواح "تل قوينجق" المحفوظة بالمتحف البريطاني مع نشر نصوص الوثائق ضمن خمس مجلدات من إنجاز "رولنسون" و"جورج سميث"، ثم برز بعد ذلك أول قاموس يرجع إليه في الوثائق المسمارية من تأليف "دليتش Delitzssch" وتوالت بعد ذلك الدراسات التاريخية واللغوية والدينية فـي المجلات المتخصصة التي أسست آنذاك منها دورية الأشوريات بالألمانية ومجلة الأشوريات بالفرنسية[3].

وفيما يخص الألواح الطينية التي استعملت كمادة رئيسية في الكتابة فقد جاءت لتوضيح ما بلغته الحضارة السومرية في مجال العلوم والمعارف كما نقلها الكتبة الأكديون والبابليون ويمكن أن يطلق عليه تسمية "علم بلاد الرافدين" وفي هذا المجال من الصعب على المنقبين تحديد تاريخ الألواح العلمية أو ضبط إطارها الزمني العام، وقد تيسر للباحثين من خلال دراستهم تأريخ العديد من الألواح الفلكية باستعمال

---

[1]- **سيبار**: إحدى المدن السومرية الخمس الأولى الواردة في قصة الطوفان، تقع قرب الفرات شمالي بابل، كانت مركزا لسلالات ما قبل التاريخ، اشتهرت بعبادة الإله "أوتو" وزوجته "إيا"، عثر بهذه المدينة على عدد من المسلات المتضمنة كتابات وعلى ستين ألف لوحة مسمارية. ينظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص 518.

[2]- أمل ميخائيل بشور، المرجع السابق، ص 52، 53.

[3]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 37.

الدلالة الداخلية، وبخصوص الألواح الرياضية فتعود معظمها إلى العصر البابلي القديم[1] واللغة البابلية القديمة نشأت في الأصل من تطور اللغتين السومرية والأكدية واستلزم هذا الاختلاف بينهما وضع معاجم وقواعد في النحو والصرف يستعين بها العلماء والكهنة في فهم اللغة السومرية الفصحى والكتابات السومرية الكهنوتية لهذا يلاحظ أن ربع الألواح التي عثر عليها في مكتبة نينوى معاجم في اللغتين السومرية البابلية والأشورية وكتبا تضم قواعدها الخاصة وحسب الدراسات فإن هذه المعاجم يرجح أن تعود لفترة الملك "سرجون الأكدي[2]"[3].

ولم يهدف السومريون من تدوين أعمالهم إلى تقديم تاريخ مترابط ومفهوم عن بلادهم بل كانت تسجيلاتهم لأغراض دينية واقتصادية محضة، وكان تدوينهم للأحداث السياسية الهامة وما أوردوه في مضامين آدابهم وغيرها من المادة التاريخية خدمة لهذه المصالح الضرورية[4]، واستعملت اللغة السومرية خلال العصر البابلي في مجال الدين والتعليم حيث اهتم الكتبة بإعادة نسخ وكتابة النصوص الأدبية والدينية التي ألفت في العصور الأولى كما عثر على مجموعات معتبرة من النصوص في "لارسا" و"بابل" منها نصوص اقتصادية، قضائية وإدارية إضافة إلى التراث الثقافي الكبير المتمثل في الملاحم السومرية[5].

وكان السومريون أول من سجل هذه الحكايات ثم انتقلت إلى الشعوب الأخرى، ولم يدون الكتبة الأعمال الأدبية فقط بل اعتنوا أيضا بتدوين المعاجم والنصوص المتعلقة بالبيطرة وغير ذلك من النصوص

(1)- جورج سارتون، المرجع السابق، ص 162.

(2)- **سرجون الأكدي**: ولد هذا الملك في حدود القرن الرابع والعشرين ق.م قرب شاطئ الفرات، من أب غير معروف أما والدته فهي إحدى أكبر كاهنات الشعب السامي الذي استوطن المنطقة الوسطى من بلاد الرافدين، وقد تخلت عنه أمه لأن وظيفتها الدينية لا تخولها إمكانية الاحتفاظ به لذلك وضع داخل سلة في النهر، وحسب الأسطورة فقد تبناه أحد الصيادين واسمه "أكي" وبقي عنده حتى أصبح تحت حماية الإلهة "عشتار"، وعمل بستانيا لملك كيش ثم التحق بالجيش وقام بأول انقلاب عسكري معروف في التاريخ ضد الحاكم "أور-زباد" وأطلق على نفسه لقب "شروكين"؛ أي الملك الشرعي في حدود سنة 2334 ق.م. ينظر: Charles Saint-Prot, **Histoire de L'Irak de Sumer à Saddam Hussein,** édit Ellipses, Paris, 1999, p 20.

(3)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 125.

(4)- محمد عبد اللطيف علي، المرجع السابق، ص 189.

(5)- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 43.

التي سجل فيها الإنسان الرافدي خلال ذلك العصر كل معارفه وإنجازاته الفنية[1]، فالعلوم بمختلف مجالاتها تشكل أساس العمل التعليمي فهي محتواه وتقوم بطبيعة الحال على عملية الاكتساب المعرفي لأن التراكم المستمر للمعلومات يولد نوعا من التعليم المتكامل لذلك فإن التقدم العلمي في بلاد الرافدين ليس مجرد خطوة فاعلة لإطار هذه الحضارة وإنما هو الركيزة فيها[2].

1. علـــم التاريـــخ:

قام الكتبة بجمع الأحداث ووضعها ضمن سلسلة يؤرخون بها لملوكهم منذ توليهم الحكم، ولم تكن الأحداث المتناولة ضمن المدونات خاصة بأخبار الحملات ونشاط الملوك العمراني فحسب بل تضمنت تعليقات وحوادث هامة، فالمدونات مهمة في تحديد فترات حكم الملوك وتتابعهم واستمرار حكم سلالتهم وبجمع كل ذلك يمكن تكوين القوائم، وقد خلف الأكديون والبابليون نماذج أخرى من التدوين التاريخي هي النقوش والكتابات التاريخية التي تمجد الحكام والتي دونت على الحجر، التماثيل والألواح وتتميز بالكثرة والتنوع وهذا ما جعلـها مصادرا أساسيا في معرفة تاريخ المنطقة القديم[3].

واختلفت النصوص التاريخية التي وضعت طبقا لترتيب الملوك الآشوريين اختلافا بينيا خاصة من الناحية التكوينية عن نظيرتها المتماثلة في بلاد سومر وأكد، فكان هدف الملك البابلي رعاية شعبه وضمن النصوص التاريخية فهو يذكر أعماله المنجزة بدافع تطوير دولته وحماية حدودها أما الملك الآشوري حسب هذه القوائم فيعتبر محاربا غازيا هدفه الأساسي توسيع الأقاليم الخاضعة للإله آشور[4].

وكان مفهوم التاريخ عند الرافدي هو نقله للأخبار والأحداث ومحاولة تفسيرها أو على الأقل إعطاء مبررات لها، وكانت "قوائم الملوك" السومرية أبرز المصادر التي عرفتنا على مفهوم التاريخ حسب المنظور الرافدي والتي بينت عمليات الغزو ونقل العواصم، ويعد الحدث الفاصل في كتابتها هو "الطوفان" بحيث

(1)- سعد صائب، المرجع السابق، ص 35.
(2)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 143.
(3)- نفسه، ص 148.
(4)- ديلا بورت، المرجع السابق، ص 345.

ذكرت قوائم لملوك حكموا البلاد قبل حدوثه وبعده، مع وجود بعض الأخطاء التدوينية بجعل مدة حكم الملوك طويلة مع إغفال ذكر العديد من الحكام الذين عثرت على آثارهم البعثات الأثرية، ويرجح أن يكون السبب المباشر لهذا النوع من الممارسات هو وجود العداوة بين السلالات الحاكمة، ورغم هذه النقائص تبقى هذه الوثائق ذات خاصية فريدة كونها القوائم الأولى التي تعنى بتدوين التاريخ[1].

وفيما يخص القوائم والكتابات الملكية السومرية فهي تمثل إشكالا رئيسيا للباحث لأنها لا تشكل تاريخا بالمعنى الاصطلاحي والدقيق فهي لا تبين عملية سير الأحداث من بدايتها وكذلك مجرياتها وصولا إلى نتائجها النهائية بل هي مجرد جداول متسلسلة وضعت خدمة للمدينة وإلهها، وكان تسجيل هذه الأحداث عفويا دون وجود للتمحيص ولكنها تحمل دلالات دينية وتشمل كذلك مواقف الكتّبة[2].

وبخصوص قوائم الملوك الخاصة بالعصور اللاحقة الأكدية والبابلية والآشورية فهي الأحداث الرئيسية التي وقعت خلال حكم ملك معين بحيث تأخذ تلك السنة اسم الحدث وبالتالي فهو مرحلة تدوينه الفعلي فإذا أراد أحد الحكام معرفة أعمال سلفه فعليه الإطلاع على مدة حكمه وعادة تشمل هذه الأعمال مواقفه الحربية وانتصاراته إضافة إلى أعماله العمرانية المنجزة وهباته المقدمة إلى المعابد وغيرها من الأعمال الهامة[3].

واحتلت قائمة الملوك مكانة هامة لأنها تقرن بالأسطورة[4] إذ تتميز بطول فترة حكم الملوك قبل الطوفان، فبعد نزول الحكم السماوي صارت مدينة "أريدو" مركز للسلطة فحكم "ألوليم" في "أريدو" 28800 سنة و"ألالجار" 26000 سنة، وبعدها انتقل الحكم إلى مدينة "بادتيبرا" فحكم "أنيمين-لوانا"

---

[1]- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، ج2، ص ص 270، 273.

[2]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 99.

[3]- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، ج2، ص 273.

[4] - **الأسطورة**: هي قصة أو حكاية رمزية بسيطة ومؤثرة تلخص عددا لا ينتهي من المواقف المتشابهة قليلا أو كثيرا، أو بالمعنى الضيق للكلمة تترجم الأسطورة قواعد السلوك عند الجماعة الاجتماعية أو الدينية بعينها، فهي تنتمي بالتالي إلى العنصر المقدس الذي تكونت حوله هذه الجماعة والأسطورة لا مؤلف لها ويتعين أن يكون أصلها غامضا. ينظر: حسن الباش، **الميثولوجيا الكنعانية والإغتصاب التوراتي**، دار الجليل، دمشق، ط1، 1988م، ص50.

مدة 43200 سنة، وتنص قائمة قديمة أن عدد الملوك الذين حكموا خلال فترة ما قبل الطوفان ثمانية حكام حكموا ضمن خمسة مدن لمدة 241200 سنة[1].

وتقلصت مدة الحكم بعد الطوفان[2]، وقد ذكرت القائمة أرقاما خيالية لمدة حكم الملوك لهذا لا يمكن الفصل بين نهاية العصر الأسطوري وبداية الفترة التاريخية، كما أثبتت التنقيبات أن بعض حكام مدينة "لجش" لم ترد أسماؤهم ضمن هذه القوائم ورغم هذه النقائص فإن العثور على نصوص تاريخية للحكام يمثل دليلا قاطعا على وجودهم وحكمهم الذي يرتب حسب الأسبقية في اعتلاء العرش[3].

وفيما يخص تقسيمات الكتابة التاريخية والمدونات القديمة فقد اشتملت على أربعة أنواع: "الحوليات" التي تذكر الحوادث بترتيب زمني، وكذا "تاريخ الحروب" الذي يعنى بمتابعة خط سير الحملات، إلى جانب ذلك "التقاويم" التي تجمع فيها الوقائع حسب الأقاليم وأخيرا "التقارير" التي تتمثل في الخطابات الموجهة للإله "آشور" والتي توضع عند نهاية كل حملة ناجحة، وضمت هذه المدونات عدة أقسام: في البدء تقديم الملك لسلسلة أعماله مع ذكر نسبه ثم يتناول أحداث حكمه البارزة من حروب ومنشآت أما القسم الأخير فيهتم بالجانب الديني ويشمل اللعنات الموجهة لمخربي هذه الكتابات المحفورة على جدران القصور أو على الأسطوانات بشكل أساسي[4].

وقد بينت بلاد الرافدين أسبقيتها في الكتابة التاريخية من خلال بعض الدلائل فقد نشب نزاع بين مدينتي "لجش" و"أوما"[5] خلال الألف الثالث ق.م، واتفق الطرفان على حفر خندق كحد فاصل بين

---

(1)- **ملوك ما قبل الطوفان**: تمثل مدة حكم الملوك العشرة الأوائل الذين حكموا قبل الطوفان حسب لائحة الملوك السومريين، وكتبت هذه الوثيقة في حوالي الألف الثاني ق.م هذه الفترة نفسها تقدر بحوالي 432000 سنة في تاريخ "برسوس (برعوشا)" أحد كهنة الإله "مردوخ" في بابل، و الذي خلال القرن الثالث ق.م وكتب تاريخ بلاده باللغة اليونانية. ينظر: محمود أمهز، المرجع السابق، ص 107.

(2)- كلكشوف، **الحياة الروحية في بابل (الإنسان، المصير، الزمن)**، تر: عدنان عاكف حمودي، منشورات المدى، دمشق، 1995م، ص 25.

(3)- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 348.

(4)- ديلا بورت، المرجع السابق، ص 346.

(5)- **نزاع لجش وأوما**: تولت في البداية مدينة كيش التي تقع شمال سومر مركز القيادة خاصة في عهد ملكها "ميري زليم" الذي خاض حربا ضد مدينة أوما المزدهرة في تلك الفترة وذلك بسبب النزاع حول الأراضي الزراعية الخصبة القريبة من المدينتين وفي نهاية هذه الحرب رسم "ميري زليم" الحدود بين المنطقتين واعترفت بها أوما. ينظر: حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 11.

المملكتين لذلك كتب أحد المؤرخين هذه الأحداث بشكل مقبول حسب نظرة الدولة القائمة آنذاك أما اسمه فمجهول وهذا دليل على أنه من أتباع القصور أو المعابد واعتبر علماء الآثار والتاريخ هذا الشخص كأول مؤرخ في العالم[1].

ولم تنتج أرض الرافدين تاريخا بما في ذلك عرض الأحداث الماضية وتحليلها بالاستناد إلى العقل والاستدلال بل شملت مجموعة من الحوليات التي تضم قوائم بألقاب الملوك ، لكن منذ عهد "حمورابي" يكاد ينعدم ذكر هذه الحملات بينما يفصل الحديث عن الأعمال السلمية كحفر القنوات وإقامة المعابد كما عكست النقوش الآشورية الطابع الحربي للملوك والذي عثر عليه في شكل تقارير مكتوبة ويكون هذا التفصيل الحربي في شكل نشرات متلاحقة[2]، وتتمثل هذه التقارير في الرسائل الملكية المقدمة للآلهة والتي يذكر فيها الملوك حروبهم مع ذكر الهجومات الخارجية للغزاة وبالرغم من الصبغة الدينية لهذه الرسائل إلاّ أن البعض منها يذكر أحداثا تاريخية كاملة، فرسالة الملك الأشوري "سرجون الثاني" إلى الآلهة تسرد بشكل تفصيلي أحداث حملته الثامنة[3]، وتأتي بعدها من حيث الأهمية رسالة الملك "شمشي أدد الخامس"[4] التي وجهها إلى الآلهة[5].

وافتقر السومري إلى فهم التطور التاريخي للأحداث والحقيقة عند السومريين قائمة على أساس مقررات الآلهة مسبقا، وقد صاغ "صمويل كريمر" نقلا عن "محمد حرب فرزات وعيد مرعي" طريقة تفكير الفرد السومري في قوله: «إن السومري يفهم الأحداث الواقعة كأنها أمور تم تشكيلها من قبل وأنه لا يفهمها على أساس نتيجة تأثير متبادل بين الإنسان ومحيطه فقد اعتقد السومري أن أرض سومر بمدنها ومؤسساتها الدينية، السياسية والاقتصادية هي كذلك منذ أول يوم للخليقة، لكن الحقيقة أنها لم تبلغ ذلك

---

[1]- مفيد عرنوق، المرجع السابق، ص 16.

[2]- سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص 94.

[3]- **الحملة الثامنة**: قام بكتابة تفاصيل هذه الحملة الكاتب "نابو- شليمشون" الذي دون لنا بأسلوب رائع ووصف مشوق حملة الملك "سرجون الآشوري" الثامنة على أورارتو عام 714 ق.م. ينظر: عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 80.

[4]- **شمشي أدد الخامس**: ملك آشور (824-811 ق.م) ابن "شلمنصر الثالث" عرفت الإمبراطورية الآشورية في فترة حكمه الضعف وفقدان بعض الأراضي. ينظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص 538.

[5]- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، ج2، ص 276.

إلا بالتطور التدريجي وهذا التطور استنزف حياة أجيال متعاقبة بذلت جهود معتبرة لإنجاز محطاتها وما توصلت إليه من اكتشافات واختراعات وكل هذا لم يكن ليخطر ببال أكثر السومريين معرفة وحكمة بأي شكل من الأشكال»[1].

ومن خلال الحوليات "Les Annales" الملكية يمكن تتبع تاريخ مثل هذه المدونات فقد استعرض الملك السومري "أنتمينا"[2] المعارك التي دارت بين "لجش" و"أوما" وقد ذكر كذلك أحداثا سابقة لعهده بما لا يقل عن أربعة أجيال، وتطور هذا الأسلوب التاريخي عند الآشوريين الذين خلّفوا نصوصا مطولة لأعمالهم الحربية والعمرانية كما بلغوا مرحلة تدوين التاريخ الذي يستعرض الأحداث الهامة التي وقعت ببلاد آشور وما يعاصرها في مدينة بابل وتناولت هذه المدونات تاريخ حكم الملوك الآشوريين والبابليين منذ عهديهما القديم[3].

أما الموكلين بحفظ الوثائق الخاصة بالمعابد والقصور فقد دونوا شتى أنواع الحوادث السياسية والعسكرية والدينية، لكن كل ذلك لم يوصلهم إلى كتابة تاريخ منسق وهذا راجع لافتقار الكاتب إلى مبدأ أن التاريخ عملية متغيرة على الدوام وجهله بأسلوب التعميم الشامل المتبع في كتابة التاريخ والدليل على ذلك أنه لم يعثر على أي نموذج لكاتب تناول التاريخ السياسي والثقافي لبلاد آشور[4].

2. علم الجغرافيا:

من خلال دراسة النصوص المسمارية أمكن التعرف على معلومات غزيرة وهي أساس علم الجغرافيا وتناولت طرق المواصلات البرية والمائية[5] وكذا تسميات البحار، الأنهار والمدن الواقعة على تلك الطرق

---

(1)- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 101.

(2)- **أنتمينا**: ملك مدينة "لجش" السومرية نحو 2400 ق.م تحالف مع مدينة "أوروك"، خلف هذا الملك نصا تاريخيا مهما مدونا على وعاء فخاري ونصا ثانيا يتناول فيه فتوحاته وإصلاحاته الاجتماعية، كما عمل على توسيع المعابد وإعطاء الكهنة سلطة معتبرة. ينظر: هنري.س عبودي، المرجع السابق، ص 135.

(3)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، ج2، ص ص 277، 278.

(4)- صمويل كريمر، **من ألواح سومر**، تر: طه باقر، مر: أحمد فخري، مكتبة الثنى، بغداد، (د.ت)، ص91.

(5)- **طرق المواصلات**: تطرح ضرورة التصدير إلى البلاد البعيدة البحث عن مشاكل النقل وفي بلاد الرافدين تحل القنوات هذه الصعوبة، فمنذ أوائل الألف الثالث ق.م غدت المراكب تتسع لحمولة ذات وزن معتبر وهي تسير بواسطة المجذاف والأشرعة، وقد حدد قانون

واعتبرت بعض الأقاليم التي اتصل بها الرافديون أن بابل "مركز العالم القديم"، وخلال العهد البابلي القديم كان من الضروري ربط الجغرافيا بالمدونات التاريخية لغرض الشرح والإيضاح لذلك فقد شكل الرافديون العديد من النصوص المعجمية التي احتوت قوائم البلدان والمدن[1].

كما ساعد على نمو المعارف لديهم توسع التجارة والفتوحات وعمليات مسح الأراضي، وألف كتاب الجغرافيا الذي احتوى جداول مطولة بأسماء المدن في بلاد الرافدين والمناطق المجاورة لها ووجدت إضافات بأسماء المعابد وتفسير أسماء بعض الأقاليم وهي مدونة باللغتين السومرية والبابلية، ورسموا خرائط مفصلة للمدن والقنوات وللعالم المعروف عندهم، وأقدم خريطة هي لمدينة "نفر" التي تعود إلى الألف الثاني ق.م[2].

وكانت تصورات البابليين بخصوص شكل الأرض الفعلي "أنها على هيئة دائرة يجري الفرات في وسطها وفي مركزها تقع مدينة بابل وإلى جانبها بلاد آشور" وكانوا يضعون دوائر كتعبير مبسط عن المدن وبجوارها اسم كل مدينة، أما المثلثات فكانت تعني البلاد الأجنبية عن العالم المعروف عندهم[3].

واعتقد السومريون والبابليون قديما بأن الأرض هي الإله "كي" وتصوروا أن اليابسة تحيط بها المياه من كل الاتجاهات واعتقدوا أن البحار ناتجة عن تدفق مياه المحيط الكبير الذي يحيط بالأرض بأكملها، وفيما يخص تحديد الجهات الأربع فهي في نظرهم عبارة عن فضاء خارجي واسع وقد تم تحديد المناطق الجغرافية عادة حسب خطة معينة كحساب المحيط أو القياس أو تبعا لمبدأ المقارنة[4]، كما يشير نص سومري كتب حوالي عام 2000 ق.م إلى تصور الإنسان السومري للعالم المحيط به، فيذكر أنه إلى الشمال من سومر تقع "أوري- Uri" وهي أكد كما عرفت بعد ذلك وإلى الشرق توجد "شوبور- خامازي Shubur- Khamazi " (إيران) وإلى الغرب تقع "مارتو Martu" وهي تشمل المنطقة الواقعة بين الفرات والبحر الأبيض المتوسط، واعتبر السومريـون منطقتهم الحد الجنوبـي للعالم ورغم صغر مساحة أرض

"حمورابي" شروط بناءها وتأجيرها واستخدام رؤسائها. ينظر: أندريه أيمار وجانين أبوايه، المرجع السابق، ص 157.

(1)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، ج2، ص ص 279-281.

(2)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 148.

(3)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 195.

(4)- نعيم فرح، المرجع السابق، ص ص 55، 56.

سومر فإن تأثيرها الحضاري قد امتد أبعد من حدودها السياسية[1].

واهتم الرافديون بالتضاريس ويبرز ذلك من خلال ما خلفه بعض الملوك من منحوتات تصور هذه المظاهر الطبيعية مثل النحت البارز على جدران قصر الملك "آشور بانيبال"[2]، كما عثر على الوثائق التي يمكن تسميتها بالجغرافية التاريخية وتضم القوائم التي تختص بذكر الأقاليم وبعضها الآخر مرشد للسفر مثل الثبت الخاص بتوسعات الملك "سرجون الأكدي"، ثم إن الخرائط المختلفة أعطت دفعة نوعية لتطور هذا العلم[3] كما خلف الكتبة مدونات تخص المجتمعات البدوية والحضرية وقوائم بأسماء القبائل والأقوام إلا أنهم لم يتوصلوا إلى بحث دقيق ب "جغرافية الأجناس" كما خلفوا في مجال هندسة الري العديد من التقنيات التي أظهرتها الحفريات وبخاصة مشاريع الري في المدن مثل: أربيل ونينوى[4].

3. علم الفـــلك:

بدأت البحوث الأثرية الاهتمام بشكل مباشر بهذا العلم بدءً من سنة 1927م وهذا بعدما تمكن المختصون في مجال الرياضيات من حل النصوص المسمارية الخاصة بعلم الفلك الذي ارتبط ارتباطا وثيقا بالرياضيات، أما أسسه ومبادئه فيمكن أن تعود إلى عصور ما قبل التاريخ[5].

واشتهرت بلاد الرافدين بهذا العلم ودليل ذلك أسبقية البابليين في تأسيسه وقد استلهم منهم الإغريق فيما بعد، حيث دونوا ملاحظات هامة عن الأجرام ويرجح أن حاجتهم إلى ضبط الفصول والتقويم هي السبب وراء نشأة هذا العلم الذي ينحدر في أصوله من "التنجيم" الذي يدرس العلاقة بين النجوم التي تأثر بشكل مباشر على سلوكات الإنسان وكذا التكهن بالمستقبل، واعتبرت الشمس مركز الأرض وربطوا فيما بعد ظاهرتي المد والجزر بتأثيرات القمر واستعملوا في مراصدهم العديد من التقنيات ومثال ذلك

(1) أحمد أمين سليم، **دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم (تاريخ العراق إيران آسية الصغرى)**، ج5، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م، ص 158.

(2)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، ج2، ص ص 282-284.

(3)- جورج سارتون، المرجع السابق، ص 186.

(4)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، ج2، ص 291.

(5)- نفسه، ص ص 314، 315.

"الزاقورات" التي كانت تستخدم لرصد حركة الأجرام إلى جانب وظيفتها الدينية[1]، وتبرز أسبقية الرياضيات عن علم الفلك الذي ظهر بعدها بحوالي ألف سنة وقد ظهرت بوادره جنوب بلاد الرافدين بتتبع حركة الكواكب وملاحظة تغير مدة اليوم، وكان غرض البابليين الفعلي وراء تطوير هذا العلم حاجتهم الملحة لإرشاد السفن والقوافل التجارية وللتنبؤ بمصيرهم ومصير ملوكهم[2].

ومعلومات البابليين تعد متأخرة مقارنة بالسومريين الذين لاحظوا خسوف القمر وسار الكلدانيون[3] على نفس النهج في معرفة الأجرام وخرج هذا العلم عن نطاق الغيب وصار علما مستقلا له قواعده وأصوله، وعمل "نبوخذ نصر"[4] على تدوين الظواهر الفلكية بدقة وحفظ تلك المعلومات في سجلات بعناية تامة عام 568 ق.م وهي أقدم وأول تسجيلات خاصة بالأرصاد الفلكية[5].

واعتمد الرافديون على دورة القمر كوسيلة ملائمة لقياس الزمن ووفق هذا التقويم تبدأ السنة بعد ظهور أول قمر عقب الاعتدال الربيعي وتقسم إلى اثني عشر شهرا ويتكون الشهر من تسعة وعشرين أو ثلاثين يوما، ويقسم اليوم إلى اثني عشر ساعة مزدوجة، ولصعوبة رؤية القمر بسبب الظروف الطبيعية لجأ

---

[1]- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ص 250، 251.

[2]- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 121.

[3]- **الكلدانيون**: هم الأقوام التي هاجرت من الجزيرة العربية باتجاه الخليج العربي والعراق واستقرت في وسط وجنوب العراق وعرفت باسم "كالدي" في المصادر المسمارية، وتطلق على مراكز استقرارهم ونفوذهم "مات كلديا" وشاع استخدام مصطلح الكلدانيون في المؤلفات الأجنبية والعربية بتأثير من صياغة الاسم في العهد القديم وكانت بلاد "كلدو" تمثل في الحقبة المتأخرة المنطقة الجنوبية من بابل، وقد ورد اسم الكلدان في الكتاب المقدس بصيغ مختلفة "كاسديم، كاشديم وحاسديم" ونسبت إليهم البلاد الواقعة جنوب شرقي بابل على ساحل البحر الميت. ينظر: إيمان شمخي جابر المرعي، **إقليم بابل في كتب البلدانيين**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003م، ص ص 75، 76.

[4]- **نبوخذنصر**: ينتسب إلى الكلدانيين الذين استقروا في جنوبي وسط العراق وكان والده نبوبلاصر من شيوخ بيت ياكين وقد عرف اسمه بصيغة نبوخذ نصر من خلال الإشارة له في العهد القديم، أما عند تفحص المصادر التي ذكرته نجد اختلاف في تهجئة الاسم ومدلوله في العهد القديم في هيئة نبوخذ ناصر ونبوخذراصر وينفرد سفر دانيال في الإشارة إلى الاسم بصيغة نبوخذنصر وتعني هاتين الصيغتين"ليحمي نبو التاج"، وإذا ما فحصنا المصادر العربية فتشير غالبيتها إلى اسمه بصيغة بختنصر وقد أعطي لهذه الصيغة تفسير غريب معناه ابن الصنم ومفاده أن بوخت "ابن"ونصر"صنم"، وكان قد وجد عند الصنم ولم يعرف له أب فقيل ابن الصنم. ينظر: حياة إبراهيم محمد، **نبوخذنصر الثاني (604-562ق.م)**، المؤسسة العامة للآثار والتراث، العراق، 1983م، ص ص 53-55.

[5]- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 196.

الرافديون إلى توظيف الرياضيات لتحديد الزمن بشكل سليم[1]، وقسموا الشهر إلى أربعة أسابيع تتماشى مع أوجه القمر الأربع وكان حساب اليوم من الشروق إلى ما يليه، وقسمت الساعة إلى ستين دقيقة والدقيقة إلى ستين ثانية وبقي هذا التقسيم ساريا إلى وقتنا الحاضر[2]، وقسموا دائرة السماء بواسطة النجوم الثابتة إلى اثني عشر قسما ورصدوا بعض الكواكب مثل الزهرة[3] وحسبوا أبعادها بالدرجات وكان قياس الزمن عندهم باستعمال الساعات المائية لقياس أجزاء الليل والساعات الشمسية لقياس أجزاء النهار[4].

وامتاز البابليون بمعارفهم الدقيقة بخصوص النجوم الثابتة والكواكب السيارة وقام برصد حركاتها الكهنة بالاعتماد على مراصد فلكية يستخدمها[5]، منها "مرصد أربيل"[6] في آشور وهو المرصد الرسمي لآل سرجون ومركز الإلهة "عشتار"، مع وجود كتب في علم الفلك لاستعمالها من طرف الطلبة[7].

أما فيما يخص علاقة علم الفلك بالتنجيم فيرى العديد من الباحثين أن منشأ علم الفلك أسطوري بحيث أن معارفهم في هذا المجال ناتجة عن التنجيم لكن في المقابل بينت البحوث الحديثة أن التطور الكبير للفلك نتج عنه التنجيم فاستعمال علم الفلك غرضه التقويم الذي ساعدهم على تفعيل معارفهم التجريبية الفلكية وتطويرها لبلوغ مرحلة علمية منتظمة [8].

ومن أشهر علماء الفلك المذكورين في المدونات الرافدية القديمة شخصية "نبو-ريماني Nabu-Rumani" الكلداني الذي رسم جداول الأقمار وخسوفاتها بشكل صحيح في القرن الرابع ق.م [9]، وهو

---

(1)- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 121.

(2)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 145.

(3)- **الزهرة**: اسم كوكب مشتق من "زهر" بمعنى الإضاءة، اسمه في اللغة السومرية "زب" وفي الأكدية "دلبت" وسماه المصريون القدامى "بونو" أي الطائر، كما يطلقون عليه بوصفه نجم الصباح اسم "نيور- نوتيري". ينظر: عبد الحميد يونس، **معجم الفلكلور**، ط1، مكتبة لبنان، 1983م، ص 137.

(4)- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 152.

(5)- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 122.

(6)- **أربيل**: الاسم الحالي للمدينة الآشورية "أربا-إلو". ينظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص 64.

(7)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 145.

(8)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، ج1، ص 316.

(9)- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 123.

حفيد أحد كهنة "إله القمر"، كما وضع جداول خاصة بتحركات الشمس والقمر وهي أقدم تسجيلات لحساب دوراتها واستطاع تزمين الخسوف والكسوف معا وتعد حساباته أقدم بحث علمي في هذا المجال[1]، وكذلك العالم "كدينو Kidinnu" البابلي الذي بدأ نشاطه حوالي 375 ق.م[2]، وعرف عند اليونان باسم "كيدناس Kidenas" وأرخت طريقته ما بين عامي 379-373 ق.م[3].

وفيما يخص التنجيم رأى الكهنة أن الكواكب أرباب عظيمة ولكل فرد يولد طالع كوكب معين فتأتي عملية التنبؤ بمستقبله ومن هنا نشأ علم التنجيم، وبروز النجمة المذنبة عندهم دليل على حدوث ثورة[4]، وتهدف العرافة إلى استكشاف نيات الآلهة والسعي لإرضائها لذلك يعيش الإنسان في خوف دائم من الظروف المحيطة به ولحماية نفسه يستعين بجملة من الوسائل التي يقوم بتنفيذها خبراء يمتلكون مخطوطات عملية دونت فيها قواعد وأساليب سجلت بعناية فائقة، وتعتمد العرافة على تفسير الأحلام التي هي في نظرهم عبارة عن رسائل إلهية غرضها التحذير أو الإرشاد، ومن الضروري أيضا تتبع حركات الحيوانات التي لها معاني واضحة[5].

ووجدت طائفة من الكهنة يسمى الواحد منهم "بارو Baru"[6] وعليهم تفسير إرادة الآلهة والتنبؤ بها وتلك الإرادة هي التي تقرر مصير الأمور في العالم، وتعد هذه الوظيفة الأهم من بين وظائف الكهنة التي تدل على التطور الذي بلغه النظام الكهنوتي والتأثير الكبير الذي لعبه هذا السلك في التحكم بحياة الرافديين، وكان التنبؤ يتم بفحص كبد الحيوان وهي ميزة خاصة لدى البابليين والآشوريين الذين خصصوا له

---

(1)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 196، 197.

(2)- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 123.

(3)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 197.

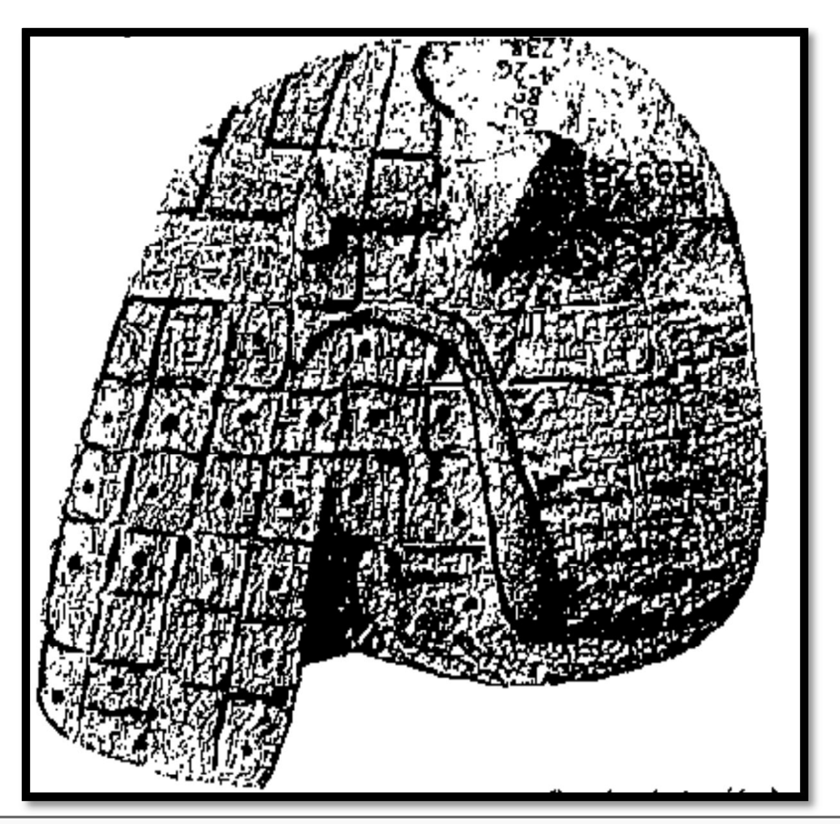
(4)- شارل سنيوبوس، **تاريخ حضارات العالم**، تر:محمد كرد علي، ط 1، الدار العالمية للكتب، مصر، (د.ت)، ص 29.

(5)- أندريه أيمار وجانين أبواييه، المرجع السابق، ص ص 169، 170.

(6)- **البارو**: أو الباروم وهو نوع من الأطباء الكهنة يطلق عليه اسم العراف، يتولى هذا الصنف مهمة الكشف عن الطالع باستخارة الفال بأنواعه المختلفة بالإضافة إلى ذلك يقوم بمهمة تفسير الأحلام. ينظر: خزعل الماجدي، (**بخور الآلهة دراسة في الطب**...)، ص 143.

فرعا كاملا لدراسته بحيث وجدت نماذج من الصلصال عليها بيانات مفصلة لجميع مناطق الكبد[1] (ينظر الملحق رقم **05**)، وملاحظات مدونة لكل جزء منه وكان الكاهن العراف مسؤولا عن عملية التنبؤ باستعمال القربان[2] من خلال دراسة كبده[3].

الملحق رقم 05



نموذج طيني لكبد استعملت في العرافة وقد ظهرت عليها نصوص الفأل[4]

كما أن حركة الأجرام وتجمعها اتخذ أساسا لعملية التنبؤ بالحوادث المستقبلية التي ارتبطت عند الرافديين بالظواهر السماوية، وأدت ملاحظة الأفلاك إلى تطور هذا العلم فقد عثر على جداول فلكية تدل على معرفة واسعة بهذه الظواهر واشتهر البابليون منذ القديم بمراصد أقيمت على أبراج المعابد وأطلقوا على الكواكب ألقابا ورثها عنهم الإغريق فيما بعد[5]،

---

[1]- **الكبد:** اعتبر الكبد عند العراقيين القدامى مركز الجسم الإنساني وفيه تكمن الروح لذلك فالأضاحي استعملت للتنبؤ عن الأحوال الاجتماعية والسياسية، وقد كشف الباحث "أندريه بارو" من الفترة السابقة للسلالة البابلية الأولى رقما طينية يستدل منها على أن أي تشويه في الكبد إنما يعني حدثا سياسيا هاما بالنسبة لسكان تلك العصور. ينظر: خزعل الماجدي، (**بخور الآلهة دراسة في الطب...**)، ص 143.

[2]- **القربان:** كان تقديم القربان على المذبح يحتل مكانا محوريا ضمن الطقوس الدينية، حتى أن اللفظين اليوناني والروماني Sacrificium يشيران في الأصل إلى أي فعل يتم في نطاق الأشياء المقدسة بالنسبة للآلهة وبالتالي يغطي مجال الطقوس، كان يستخدم بمعنى قربان الذي يقدم للمذبح وتؤدى حوله بقية الشعائر، بل كان هذا اللفظ يزداد تحديدا ليدل على الأضحية وفي النسخة المعتمدة من العهد القديم نجد أن القربان والتقدم يقابلهما في العبرية "زيبح ومينحا" أي ذبيحة وتقدمة دون دماء. ينظر: روبرتسن سميث، **محاضرات في ديانة الساميين**، تر: عبد الوهاب علوب، مر: محمد خليفة حسن، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، 1997م، ص ص 233، 234.

[3]- سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص ص 78، 79.

[4]- خزعل الماجدي، (**بخور الآلهة دراسة في الطب...**)، ص 274.

[5]- نفسه، ص 79.

ولا يعد اهتمام الرافديين بالفلك هو رغبتهم في التنبؤ وإنما من أجل معرفة مواسم الزراعة وقياس الزمن ومعرفة مواعيد الفيضانات، والتنجيم نوعان: الأول يهتم برصد حركة الأجرام لمعرفة المستقبل، أما النوع الثاني فيختص بمعرفة طالع الإنسان تبعا لبرجه ولم يعرف هذا النوع إلا خلال الحقبة الأخيرة من تاريخ بلاد الرافدين القديم (300 ق.م)[1].

أما بالنسبة للظواهر الطبيعية فاعتبر الخسوف تهديدا لذا كان إلزاميا تحديد زمن وقوعه للتخفيف من نتائجه السلبية قدر المستطاع، واعتبرت الفيضانات، الانتصارات والهزائم الحربية والأمراض تعابيرا مادية عن رضا الآلهة أو غضبها، وأصبحت عملية مراقبة الأفلاك مهمة بالنسبة للكاهن لتفادي المصائب وكان المنجمون يدونون ملاحظاتهم ضمن مخطوطات مهيكلة، وتقدم عملية مراقبة الطوالع والأدلة السماوية موادً كتابية لا تحصى عن علم الفلك الأولي[2]، فتشاءم الرافديون من خسوف القمر وكسوف الشمس وعدوها من فعل الشياطين نتيجة قتالها مع الآلهة، وراقبوا كوكب الزهرة الذي كان يمثل الإلهة "عشتار" واستخدموها في التنجيم وكذلك كوكب المشتري الذي كان يمثل الإله "مردوخ"[3]، إضافة إلى ظواهر طبيعية أخرى تستخدم في التنجيم والفأل كالمطر والرياح والصواعق[4].

هذا وقسم الباحثون النصوص الفلكية إلى نوعين الأول يشتمل على المسائل الفلكية والثاني يضم الجداول الخاصة بهذه المسائل، بالنسبة للنوع الأول هي "نصوص التنجيم لأغراض الفأل" ويعود تأريخ البعض منها إلى الفترة الأكدية ورتبت في شكل سلاسل أشهرها "Enuma Anu Enlil"؛ أي "عندما كان آنو إنليل"، أما النوع الثاني فيخص "التنجيم للنبوءات" ويعتمد العارف به على الأرصاد الفلكية أو الجداول الرياضية الخاصة بحركة الأفلاك، وتقوم على أساس التكهن بأمور الحصاد، الغزو والفيضانات[5]،

---

[1]- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 101.

[2]- أندريه أيمار وجانين أبوابيه، المرجع السابق، ص ص 170، 171.

[3]- **مردوخ**: أو مردوك، في الأصل هو "ماردوكو"؛ أي سيد البيت الطاهر معبود بابلي/أكادي، كبير الآلهة البابلية يقابله "إنليل" لدى السومريين، ويعرف عندهم بصيغة "أمار-أوتوك" بمعنى "عجل إله الشمس الفتي"، وفيما بعد عرف بمردوخ. ينظر: حسن نعمة، المرجع السابق، ص ص 269، 270.

[4]- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 101.

[5]- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، ج1، ص ص 316، 317.

وكان كهنة بابل يجتهدون في تفسير المستقبل استنادا إلى الظواهر الفلكية بحيث تعتمد التفاسير على تطابق النبوءات الأرصادية-الفلكية والمناخية[1].

وأقدم النصوص الرافدية الخاصة بالعرافة تعود إلى العصر السومري منها (إذا كانت مدينة في ارتفاع معين)، فالعرافة معروفة منذ زمن "أوركاجينا" والفأل معروف على حد رأي الباحثين منذ فترة ملوك ما قبل الطوفان، أما علم التنجيم فإن المقالة السابقة (عندما الإله آنو وأنليل) جاءت في أربعة فصول خصصت للحركات الفلكية الشمس والزهرة وتشرح معنى حركة النجوم ومواضعها في السماء، وقد احتوت المعابد على غرفة خاصة لهذا الغرض تسمى "بيت تامارتي" أي بيت المراقبة[2].

وقد عثر على كتاب أطلق عليه اسم "كتاب التنجيم الأكدي" وهو مدون كبير يعود إلى الألف الثاني ق.م يحتوي على 70 لوحة فخارية تتضمن حوالي 8000 رصد سموي، إضافة إلى التنبؤات والتكهنات المرافقة لها، وتشمل هذه اللوحات على أرصاد القمر والشمس وبقية الكواكب السيارة[3]، كما اهتم بكتابة التنبؤات المتعلقة بعلم الفلك والتنجيم صنف من الكتبة كانوا يرفعون تقاريرهم ورسائلهم إلى الملك في شكل تنبؤات تتضمن نتائج ملاحظاتهم للأبراج ومطالع القمر عند بداية الشهر، ومن أهم مضامين الرسائل التي وصلت إلينا "قمت بالمراقبة في اليوم التاسع والعشرين وعما إذا كانت هناك غيوم أم لا" وينتهي مضمونها بتحديد "رؤية القمر أو انعدام ذلك" وتبعا لهذه الملاحظات الدقيقة كان الملك يستعين بهم لتثبيت اليوم الأول من الشهر[4].

4. الطـــب:

معرفة طبيعة ومدى اتساع مجال الطب مرهون بالنصوص الطبية التي عثر عليها في بلاد الرافدين والتي تتألف من كتيبات مختصرة ومجموعات من الوصفات الطبية التي ألحقت برسائل وإشارات جاء ذكرها

---

[1]- ف. دياكوف و س.كوفاليف، المرجع السابق، ص 114.

[2]- سامي سعيد الأحمد، **معتقدات العراقيين القدامى في السحر والعرافة والأحلام والشرور**، قسم التاريخ، جامعة بغداد، (د.ت)، ص ص 74-82.

[3]- أدونيس، **ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور)**، تر: قاسم الشواف، ط 1، دار الساقي، بيروت، 1997م، ص 78.

[4]- عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 787.

ضمن الشرائع مع بروز بعضها في النصوص الأدبية التي تبين العلاقة القائمة بين الطبيب والمريض ومكانته الاجتماعية المرموقة[1]، وفي هذا الإطار عثرت بعثة أمريكية تابعة لجامعة "فيلادلفيا" على لوح فخاري يعود تاريخه إلى نهاية الألف الثالث ق.م، وهو ملخص لبحوث طبية يعتبر أقدم نموذج لكتاب موجز في الطب وكان ضمن خرائب مدينة "نفر"[2]، وتبين هذه الكتب طرق علاج الأمراض المختلفة ومنها: جذور، زيوت ومساحيق ومجموعة تعاويذ للرقى لطرد الأرواح الشريرة التي تعد السبب الرئيسي للأمراض والاضطرابات[3]، وامتاز الأطباء البابليون بمعرفة الكثير من الأمراض والأوبئة كالسرطان والجذام، وكانت أدويتهم بشكل عام تتكون من مستخرجات المواد النباتية أو من أصول حيوانية ومعدنية[4].

ومن بين الأدوية النباتية المستعملة: البذور "زيرو" والجذور "شورشو"، الساق "جذرو"، الأوراق" أرتو"، الخشب "ايصو"، الشعير "شيئو"، القمح "قيمو"، البصل "بصرو"، الثوم "شومو" والحمص "خللو"، ومن المصادر الحيوانية: صدفة السلحفاة "خاصاب شيليبي" ودم القنفد "دمي شيككي"، جلد الماعز "ماشاك انزي" وقد بلغ عدد هذه المواد الحيوانية حوالي 180 مادة، ومن المصادر المعدنية المستخدمة: البيرة "شيكارو" والخمر "كارانو"، الخل "طاباتو"، ودهن الخنزير"ناخو"، البول والدم، وبلغ عدد موادهم المعدنية 120 مادة[5].

وامتزج الطب عند البابليين بالدين إذ كان يعتقد أن المرض هو بمثابة عقوبة إلهية على البشر بسبب معاصيهم لهذا كان علاج المرضى من اختصاص الكهنة وذو طابع سحري-ديني، يعتمد الكاهن على تشخيص المرض بمعرفة الأسباب ثم يقوم بطرد الأرواح باستخدام الطقوس والتعازيم السحرية لاسترضاء الآلهة فيما بعد بالصلوات والقرابين[6].

---

(1)- حلمي إسماعيل محروس، المرجع السابق، ص 123.

(2)- مفيد عرنوق، المرجع السابق، ص 17.

(3)- ديلا بورت، المرجع السابق، ص 357.

(4)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 196.

(5)- سامي سعيد الأحمد، **الطب العراقي القديم**، مجلة سومر، مج30، ج1+2، مديرية الآثار العامة، العراق، 1974م، ص ص 119، 120.

(6)- حلمي إسماعيل محروس، المرجع السابق، ص ص 123، 124.

هذا واعتبر الإله "إيا"[1] بأنه إله الطب لكثرة استعمال المياه في الطب، ومن أهم الرموز التي استخدمها الأطباء العصا الملفوفة بحية[2] والتي ترمز للشباب والتجدد[3]، وخلال عهد "حمورابي" أصبح الطب مهنة مستقلة بفضل تعديلاته، فكان الأطباء يتحصلون على أجورهم من عائدات المرضى مع وجود عقوبات صارمة بخصوص الأخطاء في تقدير العلاج وتكون ببتر أيدي الطبيب أو الموت في حالة الأخطاء الجسيمة ذات الأضرار البالغة[4]، وتفيد النصوص المسمارية منذ السلالة البابلية القديمة بوجود قواعد خاصة بالطب، ويميز قانون "حمورابي" بين الطبيب والجراح والبيطري مع تحديد أجورهم وفق حالة المريض الاجتماعية[5]، وتعتبر شريعته من بين أصدق الوثائق التي أمدتنا بمعلومات طبية خاصة بقوانين الجراحة، فقد وجد رقمين طينيين يتعلقان بالجراحة فقد خصصت مجموعة المواد من 215 إلى 223 لتحديد الأجور والقصاص في حالة الإخفاق، وفيما يلي نص المادتين 218 و225.

المادة 218: إذا أجرى الطبيب عملية جراحية بسكين من البرونز لرجل وسبب له ذلك الموت وفتح شقا بسكين برونزية لرجل وخرب عينه فعقوبته بتر يده.

المادة: 225: إذا أجرى عملية جراحية لثور أو بغل وسبب موته فعليه أن يعطي صاحبها ربع الثمن[6].

وكان الطبيب يمضي أعواما كثيرة في المدارس لتعلم العلوم الأساسية الخاصة بميدانه ثم يخضع بعد ذلك إلى التدريب لفترة معتبرة مع زميل أقدم منه مع العلم أن الأطباء تمتعوا بمكانة عالية وكانت مشورتهم

---

(1)- **إيا**: إله بابلي يقابله "أنكي" عند السومريين وهو إله المياه العذبة، كما كان أيضا إله الحكمة والسحر وخالق البشرية، أما "أنكي" فهو سيد الأرض وخالق الإنسان...، احتل الصدارة في العهد البابلي وهو والد الإله "مردوخ" وورد ذكره ضمن ملحمة التكوين، زوجته الإله "ننكي" ومدينته المقدسة هي "أريدو". ينظر: حسن نعمة، المرجع السابق، ص ص 167، 168.

(2)- **العصا الملفوفة بحية**: هو شعار الطب السومري يمثلان ثعبانيين يمثلان الإله "ننكشريدا" إله الطب السومري وهما ملتفان حول عصا، ويعتبر هذا الرمز في الهند قادرا على إعطاء الخصوبة للنساء العاقرات، وارتبط عند الرومان بالسنابل والخصوبة، وترتبط تاريخيا بحكاية "حية النحاس" التي رفعها النبي موسى عليه السلام لشفاء العبرانيين. ينظر: خزعل الماجدي، (**بخور الآلهة دراسة في الطب...**)، ص ص 144، 145.

(3)- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ص 253.

(4)- حلمي إسماعيل محروس، المرجع السابق، ص ص 124.

(5)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 146.

(6)- توفيق سليمان، المرجع السابق، ص ص 219، 220.

أمرا إلزاميا لذلك كان معظم الملوك يتبادلون الأطباء فيما بينهم[1]، وكان الكثير منهم يؤدون عملهم كموظفين رسميين عندهم، وانقسم الأطباء إلى نوعين الجراحين والمعالجين بالعقاقير الذين قسموا الأدوية بدورها إلى قسمين تبعا لمستلزمات الاستعمال منها الأدوية على شكل دهون والأخرى تستعمل داخليا، إلى جانب ذلك استعملت الأدوات الجراحية للأماكن الدقيقة في الجسم[2].

واعتمد السومريون في تنظيم مهنة الطب على فصله عن السحر وكانت المعلومات الخاصة بميدان الطب محدودة جدا خلال الفترات السومرية الأولى وهذا لتداخله بميدان السحر والدين، وقد خص الرافديون هذا المجال ببعض الآلهة أهمها "كولا"[3] والإله "ننازو"[4]، كما أمدتنا الفترة ما بين الأكدية إلى غاية سلالة بابل الأولى بمعارف ضئيلة من حيث النصوص المعثور عليها وأشارت النصوص القانونية والمعجمية التي ترجع إلى العهد البابلي القديم إلى رقي مهنة الطب والعلوم المتعلقة به[5].

ومن بين الأدوية المعروفة فقد ذكرت وصفات طبية من عهد سلالة "أور الثالثة" طرق تحضير الدهون باستعمال المواد المعدنية والنباتية وتتكون المادة الطبية من أعشاب متعددة الأنواع ومن منتجات حيوانية، وفي قائمة طويلة مدونة تدعى"ماشتاكال Mastakal"[6] جاء ذكر مئات الأعشاب وأجزاء جسم الحيوان

---

(1)- حلمي إسماعيل محروس، المرجع السابق، ص 124.

(2)- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ص 254.

(3)- **كولا**: معبود سامي وكيل الإله "أنكي" خلقه من طين الإله "أبسو"، وأوكلت إليه مهمة صناعة الآجر، يطلق اسمه على كل بناء قديم ومتين يوصف ب"كيلين"؛ أي بناء إلهي وفق المفهوم القديم للألوهة. ينظر: حسن نعمة، المرجع السابق، ص 261.

(4)- **ننازو**: السيد الطبيب، ذكر بأنه ابن "إنليل" و"ننليل"، من بين آلهة العالم السفلي وإله مدينة "اينجر" الواقعة بين "لارسا" و"أور" وأيضا إله مدينة "أشنونا"، ومعنى اسمه "العارف بالماء" أو "سيد العارفين بالماء" وهو إله الطب يأتي في المرتبة الثانية بعد الإله "أنكي". ينظر: خزعل الماجدي، **متون سومر (التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس)**، ط1، الأهلية للنشر، الأردن، 1998م ، ص131.

(5)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، ج2، ص 327.

(6)- **ماشتاكال**: مقالة طويلة تتألف من ثلاث رقم تحتوي على أسماء المئات من الأعشاب والأعضاء الحيوانية والكثير من الأمور التي لم تعرف ماهيتها، وقد كتبها الطبيب "نابو-ليئو" وهي مقسمة إلى عمودين تعطى أسماء النباتات وكيفية استعمالها في عمود وأسماء الأمراض التي تعالجها (يحتوي هذا العمود على 150 مادة طبية)، وفي العمود الثاني يذكر اسم المرض وكيفية استعمال الدواء المعد له وتذكر حتى درجة الحرارة التي يعمل بها هذا الدواء. ينظر: سامي سعيد الأحمد، (**الطب العراقي**...)، ص 120.

وكذا أوراق النباتات وجذورها، ووردت أيضا أسماء بعض المعادن أهمها الملح[1].

وارتبط الطب في علاج المرضى بطرد الشياطين وتتم في البداية بمعرفة نوع الشيطان المسبب للأمراض وأبرزها "أشكو Ashakku" الشيطان المسبب للصداع ويتم التخلص منه عن طريق الاعتراف بالذنوب وهذا الجانب من التداوي يستعمل فيه الكاهن مجموعة من الرقى والأعمال السحرية اللازمة[2].

وفيما يخص علم الصيدلة فقد احتوت الوثائق معلومات أهم من نظيرتها المصرية لأنها حفظت بشكل جيد ضمن الألواح الطينية التي تقاوم عوامل الزمن، والكثير من الألواح السومرية والأكدية التي عثر عليها المنقبون غنية بالمعلومات المتعلقة بميلاد علم الطب وهي في مجملها نصوص مسمارية وبعد معاينتها بينت أنه خلال الألف الثالث ق.م وجد الأطباء الأكفاء الذين كانوا على علم ببعض الأدوية والتي هي من مصادر نباتية، مواد معدنية وحيوانية، وقد أمدنا علماء الآشوريات بمعلومات وافية عن مكونات هذه الوصفات وطريقة العلاج الخاصة بالمرضى[3]، وقد دلت ألواح الطين المعثور عليها أن أطباء وصيادلة بابل نظموا طريقة مبتكرة لدراسة الأعشاب إذ خصصوا عمودا لاسم العشب وعمودا لاسم المرض، وخصصوا عمودا لشرح طرق تحضير الدواء أما العمود الأخير فقد احتوى على جملة الإرشادات المتعلقة بكيفية استعمال الدواء[4]، فقد ارتأى طبيب سومري (اسمه مجهول) عاش في نهاية الألف الثالث ق.م أن يجمع ويدون أثمن وصفاته الطبية بغرض أن يستفيد منها زملاؤه وكتبت ضمن لوح طيني بالمسمارية وصاغ أكثر من اثني عشر وصفة طبية تضم الأدوية الأكثر استخداما عنده، وأول من نشر هذا اللوح "ليون ليجران Léon Le grain" أمين المتحف البابلي في مقال بعنوان "صيدلية نفر القديمة" حيث قام بمحاولة مهمة لترجمة مضمون هذه الوثيقة[5].

---

(1)- حلمي إسماعيل محروس، المرجع السابق، ص ص 127.

(2)- سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص ص 77، 78.

(3)- Guy Mazars, **Pharmacopée de Proche-Orient Antique**, institut d'histoire des sciences, université louis pasteur, France, (s.d), p 56.

(4)- رياض رمضان علي، **الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم**، عالم المعرفة، الكويت، (د.ت)، ص 20.

(5)- صمويل كريمر، المرجع السابق، ص ص 129، 130.

ويسمى هذا النوع من الأطباء المدون للوصفات بـ"الطبيب السريري" الذي يمثل الأهمية الكبرى في الحياة السومرية، ووصلت إلينا أقدم لوحتين طينيتين من سومر والتي تؤكدان على أهمية هذا الفرع الطبي الخالي من السحر حيث كان الطبيب السومري كالطبيب الحديث يلجأ إلى المصادر النباتية والحيوانية والمعدنية لتحضير وصفاته الطبية القيمة ومن المواد المعدنية: ملح الطعام والزيت، أما الحيوانية: الحليب والصوف، أما النباتية فتضم النباتات كالزعتر، الخردل، التين والصفصاف[1]، ومن العقاقير النباتية أيضا: الصنوبر، الخروع، النعناع، الأفيون، عرق السوس، القنب الهندي، الزعفران وكانت هذه المصادر تستخدم بعدة طرق أهمها الجرعات، المراهم، الغسول والبخور [2]، أما عند البابليين فكانت الأدوية عبارة عن أخلاط من العناصر المكروهة كلحم الثعابين، اللحوم النيئة، نشارة الخشب الممزوجة بالنبيذ والشحم، وكثيرا ما يستخدم كبديل لهذا العلاج اللبن والعسل لاسترضاء للشيطان وإن لم تفلح العملية فيحمل المريض إلى السوق كي يصف له عامة الناس العلاج الملائم له تبعا لأعراض المرض الظاهر عليه[3]؛ أي تبعا للتجارب الذاتية[4].

وتميزت بعض المراكز في مجال العلوم الطبية منها : سيبار، آشور، نينوى وبورسيبا، ونتيجة لهذه المكانة أرسل العديد من الملوك الرسائل طلبا لهذه الخبرة للاستفادة منها في بلادهم، وعلى سبيل المثال الرسائل المرسلة من مملكة ماري إلى آشور والتي تعود إلى القرن الرابع عشر ق.م وسهلت هذه الرسائل عملية الإطلاع على طبيعة تنظيم مهنة الطب وتصنيف الأطباء تبعا لمراتبهم العلمية، مثل: "رئيس الأطباء Rab Asi" كما كان إلزاميا على الطبيب أداء القسم، وأمدتنا النصوص المسمارية الحثية بمعلومات توحي بوجود الأطباء والمعزمين الرافديين في البلاط الحثي في حدود القرن الثالث عشر ق.م، كما أمدتنا رسائل "تل

---

(1)- خزعل الماجدي، (**بخور الآلهة...**)، ص 142.

(2)- محمد نزار حوام، **تاريخ العلاج والدواء في العصور القديمة (العصر الإسلامي وعصر النهضة في أوربا)**، دار المريخ للنشر، الرياض، 1990م، ص 22.

(3)- يؤيد "هيرودوت" هذا الطرح حيث يقول: "هؤلاء القوم لا يعرفون الأطباء، فإذا مرض أحدهم حمله أهله إلى الشارع فيتلقى النصيحة في العلاج من كل من كانت له خبرة بأصل شكواه أو ملاحظة والعرف عندهم أن ليس لامرئ أن يمر بمريض ولا يقف على حاله وإنما عليه أن يتوقف ويسأله شكواه. ينظر: أ.ج. إيفانز، المرجع السابق، ص 123.

(4)- حربي عباس عطيتو، **في الفكر الشرقي القديم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005م، ص 239.

العمارنة" بمعلومات عن تواجد الأطباء الرافديين كذلك في البلاط المصري[1].

5. الرياضيـــات:

بعد فك رموز الخط المسماري وترجمة العديد من المدونات بعد عام 1850م دخلت الآلاف من الرقم إلى المتاحف الأوربية إلا أن الباحثين في علم الآشوريات لم يشخصوا أي نص رياضي باستثناء النص السومري المتضمن قائمة بأعداد[2]، وتستنبط الكثير من المعلومات الهامة عن علم الرياضيات والتي تميزها نوعين من النصوص فالأولى عبارة عن جداول رياضية، أما الثانية فتضم نصوص علمية، وقد رتبت الجداول العلمية لعمليتي الضرب والقسمة وشملت أيضا المربعات، المكعبات، الجذور الأساسية وقوائم الأعداد، ووردت كذلك مسائل رياضية معدة للطلاب المتقدمين وتتعلق بمسائل مساحية والتي تدل على مدى الاهتمام بالميدان الرياضي، أما النوع الثاني فيشتمل على المعادلات الجبرية التربيعية وعمليات أخرى تمت صياغتها بتعابير هندسية وقد برع البابليون بشكل كبير في معرفة الجذور التربيعية وكذا الجذور التكعيبية[3].

وكان نبوغ الرافديين في هذا المجال واضحا فعرفوا في البداية العمليات الحسابية البسيطة كالجمع والطرح ثم قاموا بعد ذلك بوضع جداول مطولة للضرب، ومن المرجح أن معرفتهم للأرقام والحساب تعود إلى حوالي 3500 ق.م بسبب حاجتهم الملحة إلى التقويم لضبط الفصول ثم ظهرت بعد ذلك الموازين، المكاييل والمعاملات التجارية في عهد الأكديين، وفيما بعد تجسدت الرياضيات ضمن الأعمال الهندسية العمرانية وتميز العهد البابلي القديم بنضج العلوم والتدوين مع طغيان المعارف الجبرية على الهندسية[4]، وحتمت الحاجة لضبط حسابات المعابد معرفة الأعداد ثم تدوينها ومما ساعد على تقدم الرياضيات في بلاد الرافدين نشاطها التجاري مع البلدان المجاورة لها، كما استخدمتها لتنظيم شؤون الري وشق الطرق لتيسير عملية سير القوافل، ووجدت لديهم المصنفات الرياضية كجداول الضرب واستعمال الجذور بالإضافة إلى وجود بعض المسائل المرفوقة بالحلول وتوصلوا إلى حساب مساحات وأحجام بعض الأشكال وعرفوا خواص

---

(1)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، ج2، ص ص 336، 337.

(2)- نفسه، ص 294.

(3)- حلمي إسماعيل محروس، المرجع السابق، ص 120.

(4)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 195.

الدوائر والعديد من المسائل الرياضية[1]

واتسمت عملية دراسة النصوص الرياضية لدى الباحثين بالصعوبة وذلك لندرة الوثائق فبالرغم من وجود مئات الآلاف من الوثائق والنصوص إلا أن حصة الرياضيات منها لا تتجاوز أربع مائة وثيقة، ولكن أعمال التنقيب الحديثة في موقع "سيبار" بينت وجود نصوص جديدة[2]، وفيما يخص المعارف الرياضية فكان البابليون السباقون إلى هذا الميدان حيث قسموا الدائرة إلى 360 درجة وقياس الزوايا، ونسب اختراع النظام الستيني إلى السومريين، وتوصل البابليون إلى معرفة الجداول المطولة وجداول لرفع الأعداد إلى قوى مختلفة وجداول خاصة بالجذور، وبلغ الجبر مرحلة متقدمة عندهم ويرجح أن العرب قد استقوا معارفهم من البابليين أكثر من اعتمادهم على الإغريق، وعرفوا المعادلات الجبرية الأساسية من الدرجة الأولى، الثانية والثالثة، ويوجد في المتحف البريطاني لوح يتضمن معادلة من الدرجة الثانية[3].

ويبلغ عدد الألواح الرياضية التي حلها الباحثون حوالي ستين لوحا بالإضافة إلى مائتي لوح يحتوي على جداول، ويعود هذا التخلف في تحليل معاني الألواح إلى تبعثرها والتي تؤلف سلسلة واحدة مترابطة تعرضت معظمها إلى التلف أو التكسر الجزئي، وابتدأ نظام العدد السومري بالاعتماد على النظامين العشريني والستيني، مع أن الأسبقية كانت للعشريني ليتبين لهم فيما بعد أن النظام الثاني أصلح للاستعمال[4]، وكانت وحدة قياسهم الأساسية هي "المينا" وتنقسم إلى ستين شكل وكل ستين "مينا" تزن "تالنت"، وظلت هذه الأوزان سائدة في العالم القديم حتى بروز الإغريق، وتزن "المينا" رطلا من أوزاننا الحالية وقد وصلت وحدة القياس هذه إلى الغرب بعد وجود صلات وثيقة بينه وبين الشرق[5].

---

(1)- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ص 249، 250.

(2)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**) ج2، ص 295.

(3)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص ص 143، 144.

(4)- جورج سارتون، المرجع السابق، ص ص 163، 164.

(5)- جيمس هنري برستد، المرجع السابق، ص 164.

6. المدونات الاقتصادية (السجلات):

تعود أقدم الوثائق الاقتصادية إلى فترة الوركاء والتي كانت محفوظة في معبد الإلهة "إنانا" وضمت الألواح صورا لعمليتي الحرث والزرع، لكن لسوء الحظ كانت هذه الألواح مختصرة بحيث لم يستطع الباحثون استخلاص الكثير من المعلومات المتعلقة بتنظيم الزراعة، وبظهور الصناعات والحرف ظهرت إدارة المعبد من أجل التدقيق في الحسابات الخاصة بالاقتصاد الملكي وتحديد المستندات الاقتصادية التي كانت بدائية لأن الكتابة ظلت رمزية لذلك كانت سجلات الوركاء صغيرة حيث كانت تستخدم كمذكرات فقط[1]، وعلى سبيل المثال فقد ذكرت ألواح "معبد لجش" أن من بين موظفيها: 18 خبازا، 7 من العبيد، 31 شخصا مختص في صناعة الخمور، وكذلك بعض الحرفيين ومنهم الخياطين والحدادين، ولم يكن ابتكار السومريين للمسكوكات من أجل المبادلات فقط بل لاستعمالها في المديونية مقابل الفوائد، وضمت العديد من ألواح المعابد المعثور عليها معاملات بالضمان وحسابات دقيقة ومشروعة[2].

أما الوثائق الخاصة بتاريخ الزراعة فقد ورد الكثير منها ضمن الشرائع القديمة، فقد خصص الملك "حمورابي" الكثير من مواد شريعته لتنظيم الزراعة والري وتوضيح حقوق الفلاحين في علاقتهم مع ملاك الأراضي، وذكرت القصص الأدبية معلومات هامة عن الجانب الزراعي واشتهر من الملوك البابليين بتنظيم البساتين الملك "سنحاريب"[3] في بابل ونينوى، وقام الرافديون بتنظيم شؤون الري بإقامة السدود وحفر القنوات باستعمال وسائل بدائية مستغلين في ذلك ارتفاع نهر الفرات عن دجلة، وقام الكثير من الملوك بشق الجداول لتعميم الري وخصصت شريعة حمورابي لهذا المجال الكثير من قوانينها التنظيمية[4] حيث فرضت قوانينه العديد من العقوبات على مهملي قطاع الري أو المتعدين على مزارع جيراهم[5].

---

[1]- جماعة من علماء الآثار السوفييت، **العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية**، تر: سليم طه التكريتي، منشورات وزارة الإعلام، العراق، (د.ت)، ص ص 99-104.

[2]- Donald Jachson, **Histoire de L'Ecriture,** trad: Guy Durand, édit Denoel, Paris, 1982, p16.

[3]- **سنحاريب**: ملك آشور ما بين (705-681 ق.م) ابن الملك "سرجون الثاني"، من أهم أعماله حصار أورشليم عام 701 ق.م وقمع تحالف المدن الفينيقية والفلسطينية، ينسب إليه تشييد القصور والحدائق في نينوى. ينظر: سعد صائب، المرجع السابق، ص 54.

[4]- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 107، 108.

[5]- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 103.

وقد برع السومريون بالزراعة بدءا من الألف السابع ق.م، وعثر علماء الآثار على لوح فخاري بمثابة دليل زراعي يشرح فيه واضعه الطريقة المثلى لزراعة الشعير بدءا من نوع الأعشاب، البذور إلى الحصاد ويعتبر هذا اللوح أول تقويم وأقدم نموذج زراعي عرفته البشرية[1]، كما لا تتيح معظم النصوص السومرية إمكانية تقديم صورة كاملة عن النظام الزراعي في سومر بما في ذلك مدى اتساع الملكيات الزراعية مع وجود صعوبات في تحديد طريقة توزيع أراضي المعابد باستثناء نصوص معبد "باوا (بابا)" في "لجش" وتعادل مساحته 4465 هكتار خصص الربع منها للملك والمعبد أما الباقي فقسم إلى حقول للتموين، إضافة إلى الأراضي الموزعة على الفلاحين والتي تؤمن سبع المحصول العام[2].

وعثر على نصوص عديدة رسمية في أرشيفات "شروباك ولجش" تشرح بالتفصيل قوام الاقتصاد خلال منتصف الألف الثالث ق.م، واعتمدت الزراعة على تشكيل شبكة واسعة من القنوات والسدود، ومن أهم المحاصيل الوارد ذكرها ضمن النصوص: الكتان والسمسم لاستخراج الزيوت واعتماد زراعة النخيل بالدرجة الأولى كما تذكر النصوص نشاط تربية المواشي في المراعي المستنقعية والجبلية[3]، والأدلة الوثائقية على مشاريع الري واردة في رسائل كثيرة بعثها الملك "حمورابي" إلى ولاة الأقاليم، ولم يكن حفر القنوات كل شيء بل كان من الضروري صيانتها بشكل جيد وتطهيرها في مواسم منتظمة وفي كثير من الحالات اقتضت الضرورة رفع القنوات ويطلق على تلك الطريقة "الشادوف" والذي يستعمل في مناطق مصر الزراعية بكثرة[4]، وقد دعا "حمورابي" إلى سن قوانين تعالج أمور الري" أهمها:

المادة 53: إذا أهمل رجل دعم السيد في حقله وانهار نتيجة إهماله وغرقت الأراضي المزروعة فعلى عاتق هذا الرجل تعويض الحبوب التي تلفت بسببه.

المادة 54: إذا عجز الرجل عن تعويض الخسائر يباع هو وأرضه لقاء فضة ويتقاسم المتضررون الفضة

---

(1)- مفيد عرنوق، المرجع السابق، ص 18.

(2)- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص ص 91، 92.

(3)- ف. دياكوف وس. كوفاليف، المرجع السابق، ص ص 84، 85.

(4)- جورج سارتون، المرجع السابق، ص ص 84، 85.

بينهم تعويضا عن خسارتهم للحبوب التي أتلفها الفيضان[1].

وفيما يخص المجال المادي ضمت الرقم ذات المضامين الاقتصادية غالبا علامات تمثل الأشياء المراد الإشارة إليها وإلى جانبها علامات تدل على الكميات، وغدت الرقم وكأنها سجلات تثبت ما يدخل المعبد وما يخرج منه، وتشير دراسة الأرقام المكتوبة على هذه الرقم أن الكتبة استخدموا كلا النظامين العشري والستيني في الحساب[2].

وبخصوص الميدان الزراعي يعد كتاب "مبادئ الزراعة" السومري أوضح وثيقة يستند إليها في هذا المجال وتتناول مقدمته الفكرة التالية: "في الأزمان القديمة زود فلاح ابنه بهذه الإرشادات"[3] وتتمحور هذه النصائح حول الأعمال الزراعية اليومية المهمة التي ينبغي على الفلاح إتباعها لضمان المحاصيل الوفيرة فتبدأ هذه الإرشادات بتنظيم أعمال الري بما في ذلك الحفاظ على معدل منسوب المياه الملائم إلى جانب ذلك تنقية التربة من جذور النباتات وتتضمن جملة النصائح توفير الوسائل اللازمة للقيام بالعمل الفلاحي والتي يهيئها المساعدون الأجراء وهي الأدوات الضرورية والسلال والأوعية، إلى جانب ذكر التوصيات الخاصة بأعمال الحرث وكيفية التعامل مع الأراضي القابلة للزراعة[4].

(1)- هورست كلينكل، **حمورابي البابلي وعصره**، تع: محمد وحيد خياطة، ط 1، دار المنارة، دمشق، 1990م، ص ص 153، 154.

(2)- عامر عبد الله جميلي، المرجع السابق، ص 14.

(3)- **مبادئ الزراعة**: عثر على رقيم طيني من طرف بعثة أمريكية في بلاد الرافدين والتي جعلت من الممكن ترميم الوثائق التي يزيد عمرها عن 3500 سنة وهي مهمة في تاريخ الزراعة وتقنياتها، وهذه البعثة ممولة من طرف الجمعية الشرقية لجامعة شيكاغو ومتحف جامعة بنسلفانيا والتي قامت بمعاينة موقع "نيبور"، وكانت اللوحة المعثور عليها في حالة يرثى لها لكن بعد تنظيفها ومعالجتها في المخبر أصبحت قابلة للقراءة، وقبل هذا الاكتشاف فقد تم العثور على ثماني لوحات ومكسرات مدونة بمختلف المعارف الزراعية الأولية والنص المرمم والذي يتألف من حوالي 108 سطرا فهو يضم الإرشادات المقدمة من طرف فلاح لابنه. ينظر: Samuel Noah Kramer, **History Begins at Sumer,** University of Pennsylvania Press, USA, 1981, p 65.

(4)- صمويل كريمر، المرجع السابق، ص 139.

7. المعارف الطبيعية:

دون الرافديون القدامى أسماء مئات الأنواع من الحيوانات المدجنة والطيور على الرقم المعجمية بحيث وردت قوائم مطولة منذ سلالة "أور الثالثة" وازداد عددها خلال العهد الأشوري الحديث، كما بينت النصوص الإدارية والكتابات الملكية والرسائل وجود عدد كبير من أسماء الحيوانات التي جلبها الملوك كغنائم حرب أو تحصلوا عليها في شكل هدايا، كما أن النقوش والأعمال الفنية حفظت العديد من تلك الأنواع الحيوانية[1] وأكثر الأنواع شيوعا ضمن النصوص المسمارية: الأسود، الخيول والغزلان أما الطيور فقد ذكرت في القوائم المعجمية والتعليمية وأهمها: النسر، الصقر والعقاب وأبرز هذه النصوص نص "تل حرمل" الذي ذكر أكثر من 270 نوعا من الطيور بالإضافة إلى نص مدينة "سيبار" يذكر فيه 70 نوع ورغم هذه المعارف المقدمة إلا أن العديد من أسماء هذه الأنواع بقي مجهولا[2].

ووضع الكتبة السومريون، البابليون ثم الآشوريون قوائم تعليمية تحتوي أسماء للنباتات والحيوانات والمعادن وقاموا بتبويبها ضمن مجموعات وخلال الألف الثالث ق.م وضع بحث باللغة السومرية في علم الزراعة درست فيه خصائص التربة، النباتات ووصفات مدونة بالمسمارية تبين كيفية تشكيل الأحجار الاصطناعية (اللازورد) وارتبطت هذه العلوم فيما بعد بالسحر كما استخدمت لأهداف اقتصادية[3].

وقد عثر الباحث "طه باقر" من دائرة الآثار العراقية في "تل حرمل" على لوح منقوش بمئات أسماء النباتات، المواد والأدوات المصنوعة من الخشب وأسماء الطيور التي تزيد عن المائة مدونة في الحقول الثلاثة الأخيرة من جهة اليمين بالنسبة للنقش وتنتهي أسماؤها بعلامة مسمارية مميزة يطلق عليها (مشين Mushen) بمعنى الطائر ووجد أسفل الحقل الخاص بهذا اللوح اسم (أرا -إيمتي) الذي يرجح أن يكون مؤلف هذا الكتاب مع فرضيــة أن لا يكون المؤلف وإنما أحد النساخ ويعد توقيعه أقـدم مثال على أسماء

---

(1)- **الأنواع الحيوانية:** ضمن هذا الإطار يزخر المتحف البريطاني بروائع صادرة عن قصر الملك "آشور بانيبال" منها النحت البارز للبؤة الجريحة ويشكل هذا النموذج أروع وأشهر وحدات هذه المجموعة المعثور عليها. ينظر: أندريه أيمار وجانين أبوايه، المرجع السابق، ص 197.

(2)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، ج2، ص ص 355، 356.

(3)- نعيم فرح، المرجع السابق، ص ص 54، 55.

المؤلفين في تاريخ الكتابة[1].

أما المعادن فيعد استخدامها أحد العوامل المساهمة في بروز الكيمياء وتطورها فقد صنع البرونز منذ عصر "جمدة نصر" وتشير مخلفات مقابر "أور" إلى معرفتهم مزج الذهب[2] والفضة[3] وكذلك النحاس[4] بالقصدير[5] وبالرصاص[6]، أما الحديد فلم يكن استعماله إلا منذ الألف الأول ق.م وكان شيوعه خلال العهد الآشوري الحديث ووصلوا بمحاولاتهم إلى معلومات هامة عن خصائص المعادن وبعض الطرق الكيميائية ومعرفة كيفية صنع الأصبغة، العقاقير وبعض المشروبات[7]، وقد ذكرت العديد من النصوص أسماء المعادن والأحجار والأملاح وبينت البحوث الأثرية والنصوص المعجمية معرفة الرافديين بمئات الأنواع من المعادن أهمها: الشب الأبيض والأسود وحجر الزجاج البركاني المستعمل في عملية صقل الآلات والأدوات وكذلك الفضة، الذهب، النحاس، البرونز، الحديد والرصاص وكذا من الأملاح: ملح الطعام، الكبريت وعرفوا أيضا القار[8].

---

(1)- صمويل كريمر، المرجع السابق، ص ص 411، 412.

(2)- **الذهب**: تعادل قيمته ست مرات ثمن الفضة خلال الألف الثانية، وقد جلب من المناطق الجبلية وكذا من الهند، طوروس ومصر. ينظر: جان كلود مارغون، المرجع السابق، ص 202.

(3)- **الفضة**: أكثر رواجا من الذهب لأنها تتخذ كمعيار للمعاملات اليومية، لم يعثر عليها إلا نادرا كعنصر صافي لأنها كثيرا ما تكون ممزوجة بالرصاص ومصدرها المناطق الجبلية لكن لم تذكر النصوص سوى منطقتي "عيلام" و"كابادوك". ينظر: نفسه.

(4)- **النحاس**: أكثر المعادن أهمية يأتي به من منطقة الخليج الفارسي "ديلمون" وكذا منطقتي "زاجروس" شرق بلاد الرافدين و"طوروس" إضافة إلى جزيرة "قبرص" التي اشتهرت بإنتاج هذه المادة. ينظر: نفسه، ص 204.

(5)- **القصدير**: احتل مركزا كبيرا منذ بداية عصر البرونز نظرا لاستعماله في صناعة السبائك، وخلال عصر الملك "زمري- ليم" كان يستورد من منطقة عيلام وخلال الألف الأولى اشتهرت اسبانيا بتصديره إلى منطقة وادي الرافدين. ينظر: نفسه.

(6)- **الرصاص**: عرف منذ العصر الحجري القديم، وظهر في النصوص خلال الألف الثالثة يعادل ثمنه سعر النحاس، وإن استمرار وجوده يتمثل بدوام تموضعه في مناجم الفضة. ينظر: نفسه.

(7)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 147.

(8)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، ج2، ص ص 361، 362.

8. الأدب وتدوينـــــه:

يشمل الأدب القديم في بلاد الرافدين قسمين أساسيين: القصة وهي عبارة عن وقائع كتبت بأسلوب خيالي ممزوج بالواقع منها الملاحم الكبرى مثل: "ملحمة جلجامش"، والأسطورة التي تشمل الأدب الخيالي المتعلق بتفسير ظواهر الكون وطبيعة الخليقة الأولية لذا فتفكير الرافديين أسطوري باستثناء بعض المواضيع الفلسفية ومعظم هذه الأساطير تعبر عن الحقائق مع وجود بعض التناقضات في الآراء فيها يخص الأدب القديم، فقد تصوروا سيرورة الكون تبعا لتجاربهم التي عاشوها في فترتهم القديمة[1].

وفي الأساس تميز الأدب السومري بغزارة مادته ويبرز ضمن النماذج التي عثر عليها الباحثون وهي قليلة الجودة من الناحية الإنتاجية بالمقارنة مع نظيرتها البابلية في الفترة اللاحقة لها، ويتضمن هذا الأدب الشعر الذي يختلف مضمونه بين العنصر السومري والأكدي وأهمها "ملحمة جلجامش"، أما عن النماذج النثرية فقد شملت النصوص الملكية المنتمية للفترة البابلية والأشورية والتي تتناول وصف الإنجازات البطولية لبعض الملوك،كما تناول النثر مواضيع ذات بعد فلسفي وأهمها قصة "بدء الخليقة"[2].

وعثر في بعض المناطق الأثرية مثل: "شروباك" على نصوص حكمية وقطع من أناشيد وقصائد غنائية بالإضافة إلى قوائم معجمية هي أقدم تراث ثقافي في تاريخ الإنسانية، كما عثر على نصوص ملحمية وأسطورية قديمة تتضمن أفكار وأساليب أصلية تندرج ضمن مفهوم التراث القديم[3].

وامتاز الأدب الرافدي بخاصية التكرار ويبرز ذلك جليا في "ملحمة جلجامش" ويعد صيغة إيجابية في حالة ضياع بعض أجزاء الملاحم أو القصص، وامتاز أيضا باستباق النتائج كما هو بارز في "ملحمة الخليقة"، بحيث تكون البداية التي يدونها المؤلف هي التعريف بصاحب الملحمة ثم التطرق إلى موضوع الرواية مع بلوغ نتائجها ضمن المرحلة النهائية، كما لوحظ ضمن هذه النماذج الأدبية وجود نسخ عن ملاحم وقصص كتبت بالبابلية ذات أصول سومرية مع وجود محاولة التغيير في بعض مضامينها ومن بين المجاميع الأدبية

---

[1]- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 171.

[2]- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص ص 115، 116.

[3]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 99.

المشهورة: "قصة الطوفان"، "قصة نزول عشتار" إلى العالم السفلي[1]، والملاحم الدينية الكبيرة التي تدل على الاهتمام بالأصول الأولى للإنسان وتتعلق أيضا بتكوين وخلق الكون[2].

أ. ملحمة الخليقة:

لا شك أن جوهر الأسطورة تكمن في أساطير الخليقة والنشوء لأنها تشير إلى الآلهة والبشر الأوائل ولذلك تحفز هذه الأساطير الرغبة في معرفة الأصول وهو عامل قوي في جوهر النزعات الإنسانية التي تحتوي على المستوى الضمني الذي يتناول الأسطورة والكون بشكل عام، وأساطير النشوء لم تكن تسير وفق القصص الاعتباطية والرؤى والخيال الخصب بالرغم من تداولها من طرف أجيال متعاقبة، بل هي مبنية بتكوين محكم والأصل فيها أن نظام الكون يدور حول الصراع بين القوى الإيجابية والسلبية[3].

ففي جميع الكونيات الأسطورية كانت كلمة أصل (Origine) تعني الحالة البدائية التي اتصف بها الماضي الأسطوري السحيق الذي زال وحلت مكانه أشياء أخرى، لهذا تعددت الأسئلة عن البدء وتمحور السؤال الرئيسي حول علم الكونيات (Cosmologie)، ويشمل هذا الجانب أصل الإنسان ويشير مصطلح الخلق (Création) إلى ظهور العالم على يد الرّب وإلى التفاعلات التي ظهر من خلالها الوجود سواء كانت تلك البداية متعلقة بإرادة إلهية أو عن طريق الانبثاق من بعض المصادر الأولية أو بالأحرى بأية طريقة أخرى (مجموعة من الفرضيات والتصورات)[4].

تمجد هذه القصة بداية الخليقة "مردوخ Mardukh " والإلهة "تيامات"[5]، وبينت الدراسات أنها تعود إلى أوائل الألف الثاني ق.م لكن جذورها تعود إلى الفكر السومري وتعرف في الأكدية باسم "إينوما–

---

(1)– عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 172، 173.

(2)– سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص 84.

(3)– خزعل الماجدي، (**متون سومر**...)، ص ص 65، 66.

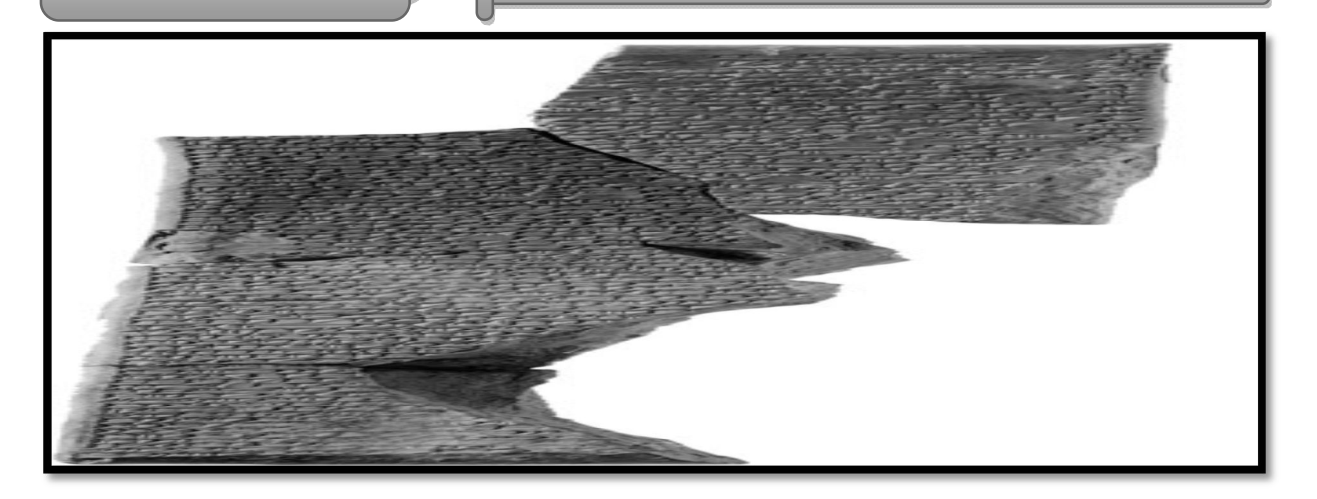
(4)–كارم محمود عزيز، **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**، ط 1، مكتبة النافذة، مصر، 2006م، ص 27.

(5)– **تيامات**: إلهة بدئية، إلهة العماء، تمثل المياه المالحة في نشيد الخليقة البابلية (إينوما–ايليش)، و"تيامات" اسم أكدي يعني "البحر"، وحسب الرواية الأكدية كونت "تيامات" مع زوجها "أبسو" قبل الخليقة محيط الماء الأول واختلطت المياه مع بعضها فيما بعد، وترسم "تيامات" على هيئة تنين. ينظر: نفسه، ص 191.

إيليش"[1]، وتبرز أفكار البابليين حول التكوين بشكلها الكامل ولقيت اهتماما كبيرا من طرف علماء المسماريات، الأنتروبولوجيا[2]، الميثولوجيا، التيولوجيا وهي نموذج أدبي متطور تبرز معتقدات البابليين ونشأة آلهتهم ووظائفها وتعني الكلمة "عندما في الأعالي"[3]، وتتكون من حوالي 1100 سطر جمعت من حوالي ستين نسخة لأجزاء منها تم الكشف عنها في أماكن متفرقة وخلال فترات متباعدة، نشرت سنة 1875م على أنها نص بابلي يحتوي على قصة التكوين والخلق، وأكمل نسخة نشرت بلغتها الأكدية ومقاطعها المسمارية تمت عام 1966م، هذا وترجمت إلى العديد من اللغات[4] (ينظر الملحق رقم **06**).

الملحق رقم 06

لوحة مسمارية تمثل ملحمة الخليقة محفوظة بالمتحف البريطاني[3]



[1]- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 119.

[2]- **الأنتروبولوجيا**: تعرف بأنها علم الإنسان، وهي كلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين هما "أنثروبوس" (Anthropos) بمعنى "الإنسان"، و"لوجوس"(Logos) بمعنى "العلم"، وهي كلمة تثير في الذهن معاني متعددة وخاصة فيما يتعلق بتطور الحياة العضوية في مراحلها المتأخرة لدى القدرة العليا (Anthropoid apes) بصورها في الأسلاف الغابرة للنوع الإنساني، كما قد تثير لدى البعض معاني تدور حول الشعائر الغريبة والخرافات التي تمارسها الشعوب المتوحشة (Savage Peoples) في المجتمعات الإفريقية وغيرها، وكلمة الأنثروبولوجيا تشترك في الاشتقاق مع كلمات أخرى تعني تسلسل الإنسان أو الإشارة إلى مرتبة معينة من مراتب الحياة العضوية، وتعني مرتبات البشريات (Anthropoids) التي تشمل الإنسان والقرود معا، كما أنها تشترك مع كلمات تعني دراسة مقاييس الجسم الإنساني، وتشبه الإنسان بالله، والإشارة إلى آكلة لحوم البشر (anthropophagg) وكل ذلك يفسر تلك الظلال العديدة التي تحيط بهذه الكلمة حين يقصد بها معناها الفني لعلم يعني بدراسة الجوانب المتنوعة في الإنسان. ينظر: يحي مرسي عيد بدر، **أصول علم الإنسان الأنثروبولوجيا**، تق: محمد عباس إبراهيم، ج1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007م، ص 10.

[3]- فراس السواح، **مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة (سوريا، ارض الرافدين)**، ط 1، دار علاء الدين، دمشق، 1988م، ص ص 51، 52.

[4]- أدونيس، المرجع السابق، ص 114.

[5]- Bill T. Arnaud, **Who Were the Babylonians**, edit Brill, Boston, 2005, p 84.

تشير الملحمة في مضمونها أن أصل الكون في البداية لم يكن من العدم ويميز تلك الفترة عدم وجود السماء والأرض وأن سمة البدء كانت المياه الأزلية فكان المزج بين عنصرين أساسيين لتحقيق النظام في الكون وهما الماء العذب "أبسو Apsu"[(1)] والماء المالح "تيامات"، وتعبر هذه الملحمة عن مدى تأثير البيئة على فكر الإنسان وتنقسم إلى قسمين: قسم خاص بأصل الكون، وقسم يعالج كيفية نشأة العالم، ومن خلال هذه التصورات تجسدت الأفكار الأولى التي بداية الفكر الديمقراطي المتحرر[(2)].

وضمت هذه الملحمة أفكارا عن خلق الإنسان لخدمة للآلهة ولكن بطريقة مختلفة عما ورد ذكره في الأسطورة السومرية، فهي تذكر أنه بعد انتصار الإله "مردوخ" وقتله "تيامات" قام ببناء وتنظيم الكون فنصفها كون السماء والنصف الآخر كون الأرض وخلق فيما بعد باقي مظاهر الكون[(3)]، وذكرت الملحمة الجيل الأول ويضم الإله "أبسو"، و"تيامات"، و"ممو"[(4)]، أما الجيل الثاني فهو ميلاد الآلهة الشباب من تزاوج "أبسو" و"تيامات"، وكذلك الجيل الثالث ويضم الإله "مردوخ" صانع الكون وخالق البشر وهو المسؤول عن تنظيم مهام الآلهة وكانت مدينة "بابل" المقر الرسمي المقدس له[(5)]، ففي منظور الفكر الرافدي أن أسطورة الأصول ترتكز على "المحيط الأولي" الذي يضم أولى الآلهة وهو "الفضاء الكوني" الذي أنشأته الإلهة "نمو" والتي ستقوم بإنشاء إلهين أوليين: "أنو" و"كي"[(6)] وأصلهما من عنصر المياه ويطلق عليهما أيضا اسمي "عشتار" و"كنشار" ومن اتحادهما تولد الآلهة الكبرى، "إنليل" و"أنكي" بجانبهم "نانا"[(7)]

[(1)]- **أبسو**: تطلق هذه الكلمة على مياه المحيطات العذبة في جوف الأرض واللفظة سومرية الأصل، وعرف عند الأكاديين بـ "أبزو" ينظر على أنه مقر الآلهة، وكان معبده الرئيسي في مدينة "أريدو". ينظر: حسن نعمة، المرجع السابق، ص 129.

[(2)]- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص ص 119، 120.

[(3)]- عمر محمد صبحي عبد الحي، المرجع السابق، ص 163.

[(4)]- **ممو**: معبود سومري/بابلي، إله بدئي وهو العنصر الثالث بين الإلهين "أبسو" و"تيامات"، ويمثل الضباب المنتشر بينهما. ينظر: حسن نعمة، المرجع السابق، ص 272.

[(5)]- روبير بندكتي، **التراث الإنساني في التراث الكتابي (إشكالية الأساطير الشرقية القديمة في العهد القديم)**، ط 2، دار المشرق، بيروت، 1990م، ص 57.

[(6)]- **كي**: إلهة الأرض لدى السومريين ابنة الإلهة الأم "نمو"، زوجها "آنو" وابنها "أنليل"، يقابل "كي" لدى البابليين "ننخرساج" و"ننماخ"، ولدى الساميين "غاية"، أما عند الإغريق فهي "جيا". ينظر: حسن نعمة، المرجع السابق، ص 262.

[(7)]- **نانا**: معبود سومري إله القمر وابن "إنليل" وأمه "ننليل"، سمي لدى سكان الجزيرة العربية "سين" وسماه الآراميون "سهر أو شهر"،

و"أوتو"[1] و"إنانا" ، وقد ورث البابليون فيما بعد النظرية السومرية المتعلقة بأصول الخلق والتكوين[2]، وكان مطلع قصيدة الخليقة "إينوما-إيليش":

عندما في الأعالي

لم تكن السماء قد سميت بعد

والأرض اليابسة في الأسفل

لم يكن أطلق عليها أي اسم

وحدهما "أبسو" الأول والدهم

والأم "تيامات" والدتهم جميعا

كانا يمزجان مياههما معا[3].

وأطلق على هذه الأسطورة اسم "رقم الخليقة السبعة" لأنها جاءت مدونة بالشعر البابلي على سبعة ألواح يحتوي كل منها ما بين (115 و170 سطر أو بيت شعري)[4]، ويتمثل مضمونها فيما يلي:

اللوحة الأولى: العماء البدئي وولادة الآلهة، نشوب الأزمة الأولى وتدخل الإله "أيا".

اللوحة الثانية: الآلهة المهددون يفتشون عن منقذ، وتوجهت الأنظار نحو الإله "مردوخ".

اللوحة الثالثة: "مردوخ" يمنح جميع الصلاحيات بناء على طلبه.

أطلق عليه العبرانيون اسم "يهوه" وهو الحارس لمدينة "أور" الكلدانية، ووالد الإلهة "إنانا". ينظر: حسن نعمة، المرجع السابق، ص ص 277، 278.

(1)- **أوتو**: معبود سومري، إله الشمس يقابله "شمش" لدى الساميين و"شاماش" لدى الأكاديين، أخته "إنانا" وحفيد الإله "إنليل". ينظر: نفسه، ص 162.

(2)- Sabine Jourdain, **Les Mythologies**, groupes Eyrolles, (s.p), 2007, p 22.

(3)- عبد الرحمان العابو، **البطولي في أساطير الشرق القديم وملاحمه**، أطروحة دكتوراه، جامعة سانت كليمانت، (د.م)، 2010م، ص 41.

(4)- طه باقر، **ملحمة جلجامش (أوديسة العراق الخالدة)**، (د.م)، (د.ت)، ص 72.

اللوحة الرابعة: المعركة والانتصار، "مردوخ" يكون وينظم.

اللوحة الخامسة: متابعة التنظيم ومبايعة "مردوخ".

اللوحة السادسة: خلق البشر، إقامة بابل، تنصيب "مردوخ" وتعديد أسمائه.

اللوحة السابعة: متابعة تعداد أسمائه الخمسين وتمجيده الأخير[1].

ووجدت العديد من أجزاء هذه الملحمة في مدينتي آشور ونينوى مع ورود نسخ لها ضمن المدن القديمة في بابل، ويرقى آخر جمع وتدوين لها إلى أواخر العصر البابلي القديم وأوائل العصر الكاشي أي في حدود 1400-1500 ق.م، وكانت تتلى أثناء أعياد رأس السنة البابلية "أكيتو[2]Akitu"[3].

كما يوجد تشابه واضح بين هذه الأسطورة وما جاء في سفر التكوين بحيث أنه في البداية لم يكن سوى هيول مظلم من الماء، وتختلف هذه الأسطورة عن الكتب السماوية عموما في أنها جعلت المادة الأزلية الأصل قبل كل شيء، وهي تعكس كذلك صورة الأحداث البيئية في بلاد الرافدين والصراع القائم بين الإنسان ومحيطه[4]، كما ورد في مضمون العهد القديم فقرات كاملة عن بداية الخلق والتكوين والتي تمثل ماهية البدء: «**1فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ.2وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً،وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ...6وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ.وَلْيَكُنْ فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ».7فَعَمِلَ اللهُ الْجَلَدَ،وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ.وَكَانَ كَذلِكَ.8وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً.وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا**»[5].

---

[1]- أدونيس، المرجع السابق، ص 115.

[2]- **أكيتو**: هو العيد الرئيسي في بلاد الرافدين، وهو عيد السنة الجديدة يحتفل به في بابل، أوروك، آشور بدعوة جميع آلهة المناطق المحيطة للحضور، أهم مراسمه أنه في الأيام الخمسة الأولى من الاحتفال تجري التطهيرات الدينية في معبد الإله "مردوخ" في بابل كل صباح قبل شروق الشمس، ويشرف على هذه المراسيم الكاهن الأعلى للمعبد. ينظر: كامل سعفان، المرجع السابق، ص 67.

[3]- طه باقر، المرجع السابق، ص 72.

[4]- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 219.

[5]- سفر التكوين (1: 1-8).

أما عن أصل الأجرام فلا توجد تفاسير مباشرة لظهورها، لكن يؤخذ من المعتقدات السومرية المدونة أنهم تصوروا إله القمر "سين" أنه جرم مشرق تكوّن تلقائيا وأشير إلى الإله "أوتو" والإلهة الزهرة "إنانا" في النصوص على أنهما ولدي الإله "سين"، ووصفت الكواكب في الشعر بأنها "الكبار التي تسير حول القمر كالثيران الوحشية"، والنجوم بأنها "الصغار المنتشرة حول القمر كالحبوب"[1].

ب. الطـــــوفان:

شغلت حادثة الطوفان ساحة واسعة من الدراسات المختلفة، وقد اعتمد دارسو العهد القديم في دراستهم للحادثة على ما أوردته التوراة باعتباره الكتاب الأقدم بين المدونات التاريخية، بينما راح بعض العلماء المتخصصين في الآثار والجيولوجيا والجغرافيا يبحثون عن معطيات علهم يجدون إثباتا على صحة وقوع الطوفان بيد أن بعض الدارسين وجدوا في الحادثة أسطورة تتكرر لدى الكثير من الشعوب، ولم يجدوا أي دليل علمي يثبت ذلك وراحوا يدرسونها في التوراة وضمن أساطير الشعوب القديمة على أنها ملاحم من صنع الخيال[2].

وتتناول الأسطورة السومرية أقاصيص الطوفان التي شاعت في المنطقة كما تناولت سابقا الأساطير المتعلقة بالخلق، فنص الطوفان الذي تم العثور عليه في خرائب مدينة "نفر" السومرية يجمع في محتواه كل أساطير الطوفان اللاحقة في بابل وبلاد الإغريق وفي كتاب التوراة، وذلك رغم الحالة السيئة التي وجد عليها اللوح الفخاري المتضمن لهذه الأسطورة[3]، وتم العثور على هذا النص عام 1895م وأول نشرة له كانت عام 1914م، كما عثر على نسختين أخريين الأولى في حفريات مدينة "أور" والثانية مجهولة المصدر ومحفوظة في المتحف البريطاني، وتعد نسخة "نفر" النسخة الأساسية المعتمدة للطوفان السومري[4]، وكانت رواية الطوفان من الأحداث التي شغلت مكانا بارزا في أدب الرافدين ومآثرها التاريخية، وقد اكتشفت جملة من النصوص الأدبية في السجلات القديمة منها نصوص سومرية وبابلية ويكاد يكون مؤكدا أن الطوفان

---

(1)- صمويل كريمر، المرجع السابق، ص 163.

(2)- حسن الباش، **القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان**، ج1، دار قتيبة، (د.ت)، ص 113.

(3)- فراس السواح، المرجع السابق، ص 157.

(4)- أدونيس، المرجع السابق، ص 277.

المذكور في النصوص المسمارية في كلتا الحضارتين كان حدثا تاريخيا حدث ما بين أواخر عصور ما قبل التاريخ وبداية العصور التاريخية؛ أي في نهاية الألف الرابع ق.م[1].

إن الكلمتين السومرية "Urn-Ma-a" والبابلية "Abubu" تعنيان الطوفان وحسب تصورات البشر الأقدمين فهو طوفان كوني لم يقتصر على وادي الرافدين فقط، وصارت كلمة "abubu" في اللغة الأكدية مرادفة للدمار استعملها البابليون كحدث فاصل في تحديد الحوادث ووفقا للمفهوم التاريخي للكلمة فإن الطوفان كان فاصلا بين عهدين فالأول العهد الأسطوري والثاني هو العهد التاريخي[2].

وعثر على ألواح طينية تدل على وجود تشابه بين رواية العهد القديم والرواية البابلية واتفقت جميع الروايات عن الطوفان أنه وقع في بلاد الرافدين خلال موسم الفيضان الذي غمر دلتا دجلة والفرات مع تخريبه للمنشآت، وتتفق الروايات السومرية-البابلية مع ما ورد في العهد القديم، وامتازت الوثائق السومرية-البابلية عن التوراة في وصفها للظواهر الطبيعية، ولا شك أن طوفان "نوح عليه السلام" هو نفسه المذكور ضمن النصوص السومرية وأن مكان حدوثه واحد وهي الأراضي الواقعة عند دلتا النهرين شمال مدينة "أور"، وما تجدر الإشارة إليه أن الشعب العبراني قد أخذ هذه الرواية فيما بعد[3].

وبالرغم من عدم العثور على جميع اللوحات الطينية المسجلة عليها أسطورة الطوفان إلا أن اللوحة الوحيدة التي تصف أحداثه عثر عليها ضمن حفائر "نيبور" وهي منقوشة على ثلثها السفلي ويوضح هذا اللوح مدى تأثير الطوفان في دجلة والفرات على مشاعر الإنسان الرافدي القديم[4].

ووجدت العديد من الأماكن في مدينة "بابل" تحمل آثارا واضحة للفيضانات التي حدثت قديما والتي تعود إلى فترة الطوفان الأصلي فهذه الآثار تثبت الحقيقة التاريخية لهذا الحدث البارز[5]، ومن جهة أخرى فإن نقص الألواح الأصلية المتناولة للطوفان أبقتها غامضة باستثناء اللوح الحادي عشر من "ملحمة

---

(1)- طه باقر، المرجع السابق، ص 173.

(2)-كارم محمود عزيز، المرجع السابق، ص 199.

(3)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 08-11.

(4)- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 76.

(5)-شارل فيروللو، **أساطير بابل وكنعان**، تر: ماجد بك، مؤسسة الشرق القديم، (د.م)، 1990م، ص 27.

جلجامش"، وهذا فضلا عن الأسطر المفقودة من الرقم التي تقطع التسلسل، بحيث تفسح هذه النقائص المجال أمام اجتهادات وإضافات مترجمي المعلومات المدونة حسب ثقافاتهم واعتقاداتهم[1].

وقد شاع الاعتقاد بأن أسطورة الطوفان السومرية التي تسلسلت عنها قصة الطوفان العبرية[2] لا تعتمد على سند تاريخي لكن بعد ذلك تغيرت المعطيات بعد اكتشاف "ليونارد وولي"[3] في مدينة "أور" طبقة من الطين سمكها 2.5 م وتعود إلى حوالي 4000 ق.م، وذكر في كتابه "أور الكلدانيين" (عام 1929م): «أن الطوفان لم يكن عاما بل اقتصر على المجرى الأسفل للنهرين وشمل منطقة طولها 400 ميل وعرضها 100 ميل[4]، باعتبار أن هذه المنطقة كانت حسب منظور سكانها بمثابة العالم كله»[5].

ويبقى النص المعثور عليه في "نفر" الأكثر مصداقية لما فيه من العبارات المهمة والمتضمنة لعقائد السومريين عن أصل الكون والآلهة وخلق الإنسان وكذا أصل "الملكية" وتعدادا خمسة مدن في عصر ما قبل

---

[1]- قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، **طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**، ط 1، كيوان للطباعة، دمشق، 2009م، ص ص 25، 26.

[2]- **الطوفان العبري**: يجمع نقاد التوراة أن أسطورة الطوفان العبرية كما هي مدونة في سفر التكوين تجمع بين قصتين متميزتين في أصلهما ومتناقضتين جزئيا، وقد مزجا المؤلف بينهما لكي تكونا قصة واحدة متجانسة من ناحية الشكل وهي تتميز بالتكرار والتناقض، أما المصدران اللذان أخذ سفر التكوين قصة الطوفان عنهما فأولهما المصدر اليهوي "Jahvistic Document " والذي ألف حوالي 850 ق.م في يهوذا، أما الثاني فهو المصدر الكهنوتي "Priestly Document" وهي حواشي الكهنة التي أضافوها إلى نص التوراة على عهد عزرا ونحميا، ومن بين الاختلافات الواردة ومنها الشكلية فإن اسم الرب في كلا المصدرين مختلف ففي المصدر اليهوي يدعى "يهوه" أما المصدر الكهنوتي فيسمى "إلوهيم". ينظر: محمد بيومي مهران، **دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1988م، ص ص 53، 54.

[3]- **ليونارد وولي**: بدأ حياته العلمية كعالم آثار ومؤلف لأعمال التنقيب في "كوربريدج" عندما كان أمين مساعد في متحف أوكسفورد 1905-1907م ، قام بالتنقيب في مدينة "كركميش" وفي "أور" أين كشف عن العديد من الزاقورات والمقابر الملكية. ينظر: حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص ص 671، 672.

[4]- **شمولية الطوفان**: إن قصة الطوفان الواردة في القرآن الكريم وردت بشكل مختلف عن أساطير الطوفان الواردة في التوراة وفي العديد من ثقافات الأقوام الأخرى، فحسب أسفار موسى الخمسة فإن الطوفان كان عالميا إلا أن القرآن الكريم لم يشر إلى شيء كهذا بل على العكس فالآيات التي تتحدث عنه تدل أنه كان طوفانا غطى منطقة معينة ولم يشمل كل العالم، وأن هذا الطوفان أغرق فقط قوم نوح الذين أنذرهم نبيهم فعصوه فاستحقوا عقاب الله. ينظر: هارون يحي، **الأمم البائدة**، تر: ميسون نهلاوي، (د.د)، (د.ت)، ص 21.

[5]- نخبة من العلماء، (**الموسوعة الأثرية العالمية**)، ص 289.

الطوفان[1]، وعم الطوفان العديد من المدن أهمها "كيش" وحسب المصادر كانت هذه المدينة المنطقة الأولى لاستقرار أول الأسر الحاكمة وكذلك بالنسبة لمدينة "شروباك" والتي أظهرت الحفريات أن طوفانا كبيرا قد وقع فيها ما بين (3000 -2900 ق.م)، وآخر المدن التي مسها الطوفان هي مدينة "أوروك" التي ظهرت فيها طبقة طينية والتي هي من مخلفات الطوفان وفي نفس الفترة مع مدينة "شروباك"[2].

وكان مبعث أسطورة الطوفان الاختبارات المريرة التي جربها الرافديون من فيضانات النهرين، ورويت هذه الملحمة ضمن قالب شعري يعبر عن سخط الآلهة، ويقول بطل ملحمة الطوفان في قصته: «أدخلت إلى الفلك أسرتي وأهل بيتي ومواشي الحقل والوحوش وعددا من الصناع المهرة، ولما أنزل رب الظلمة مطرا غزيرا أغلقت باب الفلك فقصفت الرعود وبدأ البرق وأظلم الأفق بغمامات سوداء واستمر هطول الأمطار حتى غطى وجه الأرض فخافت الآلهة وتسلقت الجبال وصرخت عشتار كامرأة تعاني المخاض...» [3]. كما ورد في هذه الحادثة تعابير عن أهوال الطوفان: «وحتى الآلهة ذعروا من عباب الطوفان فهربوا وعرجوا إلى سماء آخر، لقد استكان الآلهة وربطوا كالكلاب حذاء الجدار»، فهذه العبارات هي رموز تعكس بلغة الأسطورة عن قوى الطبيعة[4].

ج. ملحمة جلجامش:

هي أولى ملاحم بلاد الرافدين المدونة باللغة الأكدية خلال الألف الثاني ق.م، وهي عبارة عن قصيدة طويلة تتكون من أكثر من 3000 سطر مدونة على اثني عشر لوحا، عثر على ترجمتها الأصلية في مكتبة قصر "آشور بانيبال" وهي قطعة أدبية مزيج بين الأدب الآشوري والبابلي[5]، تتناول هذه الملحمة بعض الظواهر الإنسانية والطبيعية عنوانها الأصلي بالأكدية "ذلك الذي شهد كل شيء"، أطول ألواحها

---

(1)- صمويل كريمر، المرجع السابق، ص 252.

(2)- هارون يحي، المرجع السابق، ص 31.

(3)- سعيد حبيب، **أديان العالم**، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، (د.ت)، ص 49.

(4)- قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، المرجع السابق، ص 26.

(5)- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 116.

اللوح الحادي عشر (ملحمة الفيضان) أما باقي الألواح فمعظمها عبارة عن قطع ومكسرات[1]، وجلجامش ضمن هذه الأسطورة عارف الأسرار الخفية ومكتشف سر الحكمة[2] (ينظر الملحق رقم **07**).

الملحق رقم 07



اللوح الخاص بملحمة الطوفان (جلجامش)[3]

(1)- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 121.

(2)- سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص ص 86، 87.

(3)-Bill T. Arnaud, Op.cit, p 70.

تعتبر هذه الملحمة مثالا أدبيا واضحا لاختلاط المادة التاريخية بالمادة الأسطورية في عمل واحد[1]، فهي عمل تاريخي يمجد شخصية هامة فالبطل هو أحد الملوك السومريين وليس شخصية خيالية أسطورية، وقد أثبتت الحفريات وجود ملك لمدينة "أوروك" يدعى "جلجامش" عاش في منتصف الألف الثالث ق.م، وذكر في قائمة ملوك سومر بعد سابقيه مثل "دموزي" ونظمت القصائد والملاحم عن هذه الشخصية المميزة، وعثر الباحثون على نص قصير في مدينة "الوركاء" يذكر شخصيته وشخصية أخرى معاصرة له وهو الملك "أجا" ملك "كيش" والمنافس لـ"جلجامش" على سيادة سومر[2].

وافترض الباحثون أن هذا الملك الأسطوري قد عاش ما بين القرنين 28 و27 ق.م وأقدم ذكر له ورد ضمن ألواح مدينة "شروباك" لذلك اعتبر أحد كحام دويلات المدن السومرية خلال عصر فجر السلالات (3000-2400 ق.م)، وكان ورود اسمه في عدة صيغ في السومرية (Gish-bil.Ga-mesh)، وفي الأكادية (Gi-il-Ga-mesh)، أما في ألواح العهد البابلي القديم فكتب اسمه مختصرا (Gish)، وفي اللغة الحيثية (Gish-Gim-mash)، وذكر عند الرومان بصيغة (Gilgamos)[3].

والهدف الرئيسي من مشهد الصراع في الملحمة الغنية بالمشاهد المتميزة هي إيضاح علاقة التنافس والبقاء في الوجود وكذا إحداث التطور كما تبين نقاط التوازن بين الحياة والموت[4]، وجاءت أهميتها باعتبارها الصورة الأولى المعبرة عن وعي الإنسان بوجوده ومصيره[5].

---

[1]- **أصول الملحمة**: بخصوص البحث عن الأصول الميثولوجية للملحمة خاض في هذا الميدان (ب يانسن P.Jensen) في كتابه "ملحمة جلجامش في الأدب العالمي" بالألمانية عام 1902م، وحاول أن يثبت بالأدلة أن كل أساطير الشعوب السامية، الهند، الإغريق والرومان كلها مقتبسة عن النموذج الرافدي. ينظر: محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 38.

[2]- محمد خليفة حسن أحمد، **الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم**، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1988م، ص 22.

[3]- حسن نعمة، المرجع السابق، ص 60.

[4]- مصطفى الشمالي وعبد الله السيد، **تمثيل شخصيات ملحمة جلجامش الرافدية في النحت البارز القديم**، مج 29، العدد 1، جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، 2013م، ص ص 712، 713.

[5]- حامد سرمك، **ملحمة جلجامش دراسة في القضايا والأصول**، جامعة القادسية، العراق، (د.ت)، ص 01.

ووضعت فيما بعد ملحمة بابلية حول جلجامش معتمدة على عناصر سومرية وانتشرت في معظم أقطار الشرق الأدنى القديم، وتعد هذه الملحمة أطول وأكمل ملحمة عالجت مسألة الموت والحياة بعدها والصراع القائم، لذلك فهي تمثل الأحداث الإنسانية المتكررة(1)، وفي سياق هذا الحديث يقول الأستاذ "طه باقر" في كتابه "ملحمة جلجامش": «إن ملحمة جلجامش التي يصح أن نسميها أوديسة العراق القديم، يضعها الباحثون ضمن شوامخ الأدب العالمي وفي ظل مقارنة أقدم النماذج الأدبية العالمية ندرك أن هذه الملحمة أقدم نوع أدبي من الملاحم البطولية في تاريخ جميع الحضارات لذلك تعد الأكمل وليس ما يضاهيها من آداب تلك الحضارات قبل الإلياذة والأوديسة ضمن الأدب اليوناني»(2).

لذلك فقد كان لهذه الملحمة بحكم الهجرات والاتصالات العسكرية، السياسية والثقافية أثرها الخاص في العمل الملحمي اليوناني، إذ أن أسس قصص "هرقل" تستند بالدرجة الأولى إلى الأصول المستقاة من "ملحمة جلجامش" والتي وصلت إلى بلاد الإغريق عن طريق الفينيقيين(3).

ثانيا: تدويــن التشريعــات:

لم تكن القوانين والشرائع القديمة واضحة عند أي شعب من الشعوب، كما كانت واضحة عند الرافديين الذين اعتبروا أن مصدرها من وحي الآلهة التي وكلت الحكام مهام إصدارها وتطبيقها، فمجموعة القوانين التنظيمية للمجتمع لم تكتب على هيئة قوانين وضعية ذلك أن القضاة خلال تلك الفترة القديمة سيروا الأوضاع حسب مقتضيات العرف السائد وكانت القضايا المفصول فيها من ضمن السندات القانونية المعتمد عليها فيما بعد في القانون المكتوب، وكان أساس التشريعات الأولى المواد القانونية لأن فكرة القانون اكتملت في منتصف الألف الثالث ق.م(4).

(1)- حسن نعمة، المرجع السابق، ص 62.

(2)- نجم الدين السهرودي، **ملحمة جلجامش والفكر الرياضي**، مر: طه باقر، بغداد، 1977م، ص 19؛ طه باقر، المرجع السابق، ص 10.

(3)- كامل سعفان، المرجع السابق، ص 47.

(4)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 177.

وأقدم إشارة موثقة تشير إلى وجود القضاء تعود إلى حوالي سنة 2370 ق.م حيث وردت في أحد النصوص المسمارية كلمة (Di.Bi.Jkus)، بمعنى "قضيته القضائية قد حسمت"[1]، ولم يطلق على القانون بلفظة محددة بل بمجموعة من المفاهيم المختلفة، منها الكلمة السومرية (Di) ومرادفتها بالأكدية (dinu) وتعني مسألة قانونية أو قضية قانونية واصطلح حمورابي على القوانين تسمية أحكام العدالة (dimat misarim) وأطلق البابليون على عملية إصدار مرسوم قانوني بغير قواعد تنظيمية قديمة مصطلح "إقامة العدالة" (misaru sakanum)[2].

وقد لجأت الشعوب الرافدية إلى تدوين قوانينها ونشرها إما في صورة مدونات قانونية (Code) يصدرها المشرع خلال مرحلة القوة وتتضمن جميع التقاليد العرفية وما استحدثه من تعديلات، فأصبح التشريع مصدرا للقانون وإما في صورة سجلات عرفية تصدر عن أفراد متخصصين، والتدوين رغم أهميته البالغة فهو لا يمثل مرحلة جديدة في نشأة القاعدة القانونية لأنه يقتصر على ما هو قائم، فمرحلة التدوين هو استمرارية لمرحلة سابقة هي التقاليد الدينية أو العرفية[3]، ومن خلال سلطة الملوك والكهنة فرضت الآلهة عدا العبادات والطقوس أن يتمسكوا بالشرائع السماوية وحتى تحترم هذه التشريعات وتكون ملزمة تظاهر الملوك بالحرص على تطبيقها ليتجلى فيها مبدأ الطاعة لذلك فهذه القوانين سواء كانت صادرة عن العرف أو العادة أم مبنية على مجموعة الأحكام الصادرة إنما هي أحكام إلهية والاعتقاد بمصدرها السماوي جعلها تتصف بالاستمرارية[4].

---

[1]- فوزي رشيد، **القوانين في العراق القديم**، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988م، ص 08.

[2]- ف. فون زودن، **مدخل إلى حضارات الشرق القديم**، تر: فاروق إسماعيل، ط 1، دار المدى، دمشق، 2003م، ص ص 149، 150.

[3]- صوفي حسن أبو طالب، **تاريخ النظم القانونية والاجتماعية**، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، (د.ت)، ص 24.

[4]- كامل سعفان، المرجع السابق، ص 70.

1. إصلاحات أوركاجينا:

أول إصلاح اجتماعي مدون في مدينة "لجش" والذي كان على يد الملك "أوركاجينا"[1] وأن الظروف التي أدت به إلى الحكم هي ازدياد الضرائب لصالح القصر ومؤسساته ورجال المعابد، وشملت حركته الإصلاحية عملية توزيع أراضي المعبد التي صودرت سابقا من الفلاحين وإلغاء الضرائب وصيانة حق المواطنين والحفاظ على مصالح الأيتام، كما أنه أعلن ولأول مرة في تاريخ البشرية حرية المواطنة[2]،كما التزم تشريعه بمعالجة الوضع الضريبي وأبرز المبادئ التي ركز عليها في إصلاحاته هو التأكيد على فكرة "الحرية في حدود القانون" وأن المناصب الوظيفية العالية في الحكومة والإدارة لا تعفي صاحبها من الحدود القانونية لذلك أعلنها هذا المشرع حرب ضد الموظفين وجامعي الضرائب ممن خرقوا التقاليد وتجاوزوا على ممتلكات المواطنين[3].

وكان إعلانه لبرنامجه السياسي يعد كأول إصلاح معروف في التاريخ[4] ويضمن النقاط التالية: تقليص نفوذ الأقوياء، إنصاف الفقراء وإحقاق العدل، ولم تغير هذه الإصلاحات من طبيعة تركيب المجتمع وإنما برزت كضرورة لإجراء تغييرات جذرية في نظام توزيع الأراضي وإعادة توزيع الأطر الإدارية ووظائفها[5]، ولم يعثر في العهود التي تلت عهده على إصلاحات اجتماعية مماثلة لإصلاحاته أو مقاربة لها ولذلك يعد

---

(1)- **أوركاجينا**: حاكم مدينة "لجش" حوالي 2375 ق.م، وردت أخباره ضمن نصوص اقتصادية دونت على لوحات فخارية بالخط المسماري. ينظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص ص 109، 110.

(2)- مفيد عرنوق، المرجع السابق، ص 16.

(3)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، **ج2**، ص 72.

(4)- **البيان السياسي**: يعلن أوركاجينا فيه ما يلي: "عندما قام أوركاجينا في لجش بمساعدة 32000 من الرجال بتأسيس حكمه أعاد العمل بالمراسيم القديمة فأعاد الأمور إلى نصابها، وعمل على تنفيذ إرادة الإلهة "نينجرسو" من جديد، فعن المراكب أبعد المراقبين وعن الحمير والأغنام أبعد الحراس، وفي البلاد التي يرويها الإله نينجرسو (إله الماء) وإلى هناك حتى البحر لن يوجد بعد الآن جباة الضرائب، أما إن وجد بيت لأحد الأقوياء بجانب بيت لأحد أفراد رعية الملك وأن قال القوي: أنا أريد أن أشتريه عندئذ يكون عليه إذا ما اشتراه أن يدفع الثمن الذي يطلبه البائع، والملك سيحمي الأم التي تجد نفسها في عوز، ولن يقسو القوي على الأرامل والثكالى بعد اليوم، هذا ما أقره أوركاجينا مع نينجرسو". ينظر: محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص ص 87-89.

(5)- نفسه.

آخر تقويم أنتجته بلاد الرافدين القديمة قبل ظهور القوانين[1]، لكن لم يدم حكم هذا الملك طويلا بسبب تواطؤ طبقة الأغنياء والكهنة مع حاكم مدينة "أوما" "لوجال زاجيزي" والذي قام باغتياله واستولى على مدينة "لجش"، ولا ترقى إصلاحاته إلى مستوى القانون حسب تخمينات بعض الباحثين وذلك لخلوها من المقدمة والخاتمة واقتصارها على معالجة قضية الضرائب فقط[2].

2. قانون أورنمو:

تمثل أسرة أور الثالثة (2112-2004 ق.م) المرحلة الأخيرة للسيادة السومرية سياسيا وحضاريا في بلاد الرافدين، ويعود الفضل في تحقيق النهضة الحضارية التي عرفتها هذه الأسرة إلى مؤسسها "أورنمو"[3] والذي أطلق على نفسه تسمية "ملك الجهات الأربع"[4] و"ملك سومر وأكد"[5]، وأعيد تنظيم جهاز الدولة في بلاد الرافدين بصورة تدريجية بعد انتصار الملك "أورنمو" على الجوتيين بقيادة "أوتوخيجال" وقد قام ببناء معبد أو المدرج المرتفع لمدينة "أور" (الزاقورة) وأعاد حفر القنوات المهملة[6]، وكان تشييد هذا البناء على شرف الإله "نانا" في عاصمته وقد سجل هذا البناء على إحدى لوحاته التي عثر عليها[7].

---

(1)- فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 10.

(2)- ف. دياكوف وس.كوفاليف، المرجع السابق، ص 89.

(3)- **أورنمو**: مؤسس السلالة الملكية الثالثة في أور، وأول أمير اتخذ لقب "ملك سومر وأكد" (2110-2094 ق.م)، اهتم بزخرفة وتحسين المعابد، صاحب أقدم تشريع في التاريخ ويقرأ اسم هذا الملك قديما "أور أنجور". ينظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص ص 101، 102.

(4)- **ملك الجهات الأربع**: لقب إلهي كانت تختص به بعض الآلهة الكبرى مثل: آنو، أنليل وأوتو تعبيرا عن سيطرتهم على الكون، تسمى باللغة الأكدية "كبرات- أربعيم" أما بالسومرية فتدعى "آن- أوب- دا- لو- با" بمعنى الكون المكون من أربع جهات أو زوايا، ويقصد به انتخاب الآلهة للملك الذي سيحكم الكون بالنيابة عنها. ينظر: نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص ص 114، 115.

(5)- سعيدي سليم، **القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر (2050-332 ق.م) دراسة تاريخية مقارنة**، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009م، ص 11.

(6)- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص ص 123، 124.

(7)- أحمد أمين سليم، (**دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**...)، ص 290.

ويشهد على أحقيته بهذا اللقب الجديد النشاط العمراني الواسع الذي قام به في المدن السومرية والأكدية مثل: أور، لارسا، لجش، نيبور وحتى في أوروك، كما ينسب إليه تجديد سور هذه المدينة[1]، وقد عثر على هذه الشريعة غير كاملة ورغم ذلك فإنها تعد أقدم شريعة صدرت قبل شريعة حمورابي بحوالي 300 سنة، ويمكن الإشارة إلى أن هذه الشريعة تشابه إلى حد بعيد شريعة "لبت عشتار" وشريعة "أشنونا" وذلك من خلال مبدأ القصاص، الدية والتعويض[2].

وكان سبب إصداره هذه القوانين هو حفظ النظام والأمن في البلاد ومن إصلاحاته تطهير الأرض قطاع الطرق والمتمردين، وتختلف تشريعاته عن قوانين حمورابي من حيث العقوبات الجنائية بخصوص بعض الجرائم حيث يتم التعويض نقدا بالفضة وتكون الكمية متناسبة مع خطورة الفعل المقترف واهتم هذا المشرع بالأعمال الزراعية عن طريق شق القنوات وإصلاح الطرق لتسهيل التجارة مع إقامة التحصينات للمدن بتجديد أسوارها، وعثر على عدد من النصب التذكارية من عهده تضم نقوش ومشاهد تبرز تشييده للمعابد ودعمه للسلام وهذا النصب محفوظ حاليا بمتحف جامعة "فيلادلفيا"[3].

وعثر كذلك على جزء من صورة متأخرة لتشريعه نسخت على وجهي لوحة طينية بعد وفاته بحوالي ثلاثة قرون (ينظر الملحق رقم **08**)، ويستدل مما جاء فيها على أنه عمل على تحديد الديات وكذا تحديد الأوزان والمكاييل[4]، وقد ضمت تشريعاته وثائق قانونية متنوعة لكنها غير كاملة من الناحية التشريعية إذ لم يرد منها إلا المقدمة وبعض المواد القانونية، وتحتوي بدايتها على التفويض الإلهي بمزاولة السلطة ونشر الشريعة إلى جانب الخاتمة[5]، ولم يصل هذا القانون كاملا بحيث كان على شكل كسر وأولها كانت عام 1952م والتي اكتشفها الباحث "ص.ن كريمر" عالم المسماريات، وبعد مدة وبمساعدة "كورني" استطاعا التعرف على كسرتين عثر عليهما في مدينة "أور" وهي تحتوي على أجزاء أخرى من القانون، هذا

---

[1]- توفيق سليمان، المرجع السابق، ص 144.

[2]- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 187.

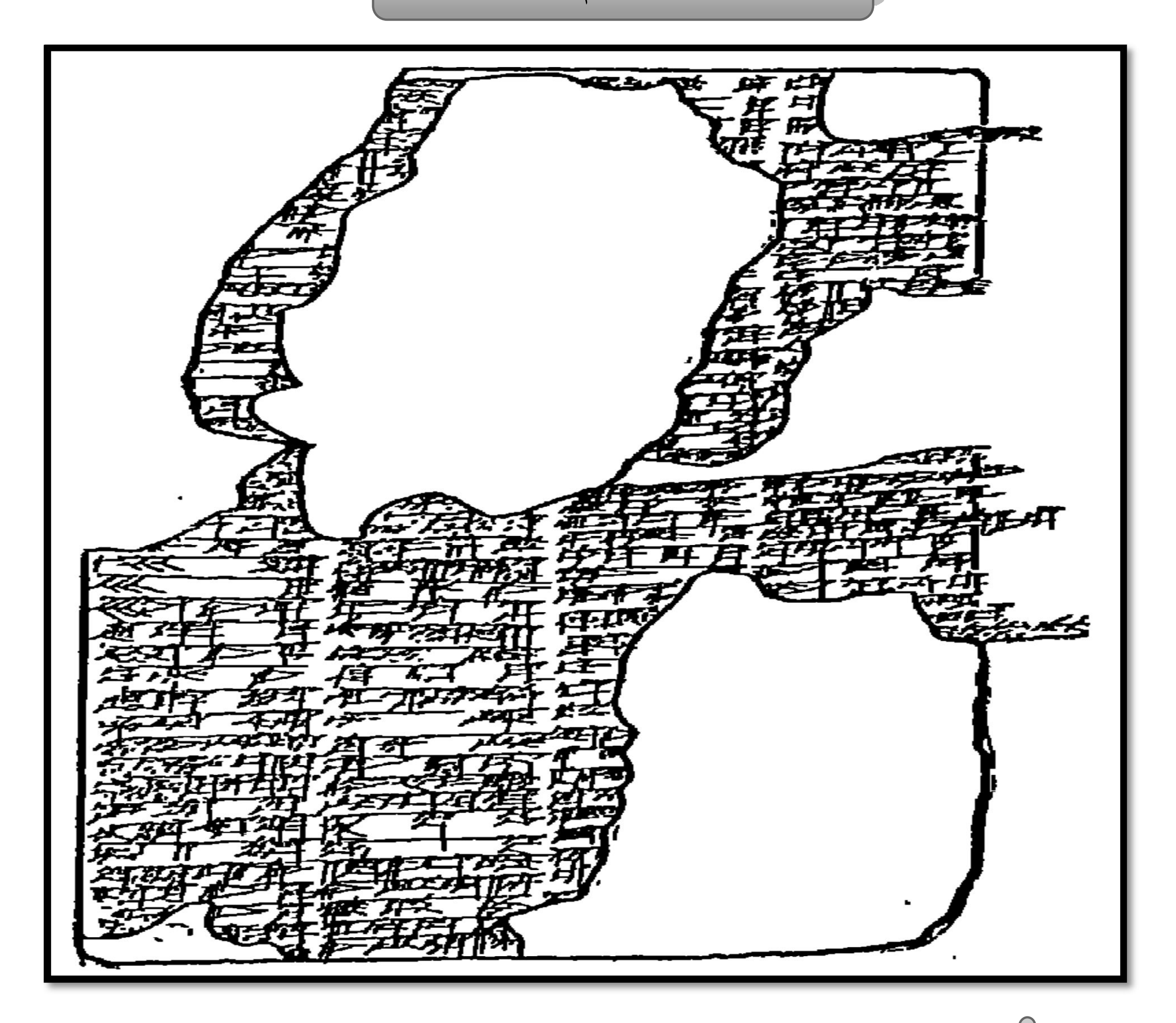
[3]- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 31.

[4]- أحمد أمين سليم، (**دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم...**)، ص 290.

[5]- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 224.

الاكتشاف دفع بعلماء المسماريات إلى تقديم ترجماتهم وملاحظاتهم المختلفة حول ما تبقى من الرقم الطينية التي تخص قانون "أورنمو" وجملة هذه الترجمات مكنت عالم المسماريات "فنكلشتاين" من تقديم دراسة متكاملة لمجموع هذه الكسر وبذلك أعطى صورة واضحة عن هذا القانون[1].

الملحق رقم 08



نسخة يدوية لمقدمة قانون أورنمو محفوظة بمتحف الشرق بإسطنبول[2]

[1]- فوزي رشيد، المرجع السابق، ص ص 36، 37.

[2]- صمويل كريمر، المرجع السابق، ص 118.

3. قانون أشنونا (Eshnunna):

تعتبر مملكة أشنونا (2000-1761 ق.م) من أهم دويلات المدن التي قامت على أنقاض سلالة أور الثالثة شملت محافظتي بغداد وديالي ومن أشهر مدنها: تل حرمل وخفاجي و"تل الضباعي" وتسمى حاليا (تل أسمر)، وتدل المخلفات الأثرية التي عثر عليها في هذه المملكة على قيام دولة منذ عصر فجر السلالات ثم خضعت لمملكة "سرجون الأكدي" ثم فيما بعد لحكم أسرة أور الثالثة.

ظهر هذا القانون خلال العهد البابلي القديم أيام حكم الملك "بلالاما Bilalama"[1] حوالي 980 ق.م والسابق لحمورابي ووجد مدونا على لوحين طينيين باللغة الأكدية، وبلغ عدد مواده المتحصل عليها 61 مادة قانونية وحسب الافتراض فهذه الشريعة منقولة عن أخرى أقدم منها من حيث النشأة[2]، بدأ هذا القانون بمقدمة تعتمد اسم الملك المشرع وتاريخ إصدار القانون وذكر فيما بعد المواد المحددة بالأسعار والبالغ عددها 12 مادة، كما تطرق هذا التشريع إلى ذكر القوانين والأحكام الخاصة بميدان المعاملات منها العقوبات المفروضة ضد المعتدين على أملاك الغير والأحكام المختلفة والمتعلقة بميدان المعاملات التجارية وكذا المسائل الخاصة بالأحوال الشخصية[3].

ومن المسائل الهامة التي تطرق إليها كذلك هذا التشريع تحديد أجور العربات والقوارب والعمال المتحكمين فيها وكذلك أجور المزارعين وجمعت العقوبات في هذا القانون بين القصاص والدية فالقصاص يخص بالقتل العمدي والقصاص في الجروح، إلى جانب ذلك حددت هذه القوانين العقوبات الزوجية وعقود الزواج كما أقرت بمبدأ الشفعة بحيث يحق للفرد شراء حق أخيه من الإرث إذا رغب في ذلك، وحرصت كذلك على تأكيد حقوق القصور الملكية والمعابد والسادة وما يمتلكونه من عبيد وعقارات[4].

---

(1)- **بلالاما:** ملك أشنونا (مطلع الألف الثالث والألف الثاني ق.م)، عثر في "تل أسمر" شرقي دجلة على قصره الذي يحتوي على معبدين، وعثر في "تل حرمل"على تشريع قانوني ينسب إلى هذا الملك. ينظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 237.

(2)- سعيدي سليم، المرجع السابق، ص 19.

(3)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 178.

(4)- أحمد أمين سليم، (**حضارة العراق القديم**)، ص 246.

4. قانون لبت عشتار Lipitishar 1934-1924 ق.م:

قام بتشريعه الملك الخامس من أسرة "إيسن"[1] في بداية الحكم البابلي القديم وكتب باللغة السومرية يتكون من مقدمة وخاتمة كتبت على أجزاء من ألواح طينية عثر عليها في مدينة "نفر" ومن المفترض أنه سجل على مسلة مثله مثل قانون حمورابي لأنه لم يعثر على إشارات تثبت قيام الملك "لبت عشتار" بكتابة قانونه على أثر شبيه بأثر الملك حمورابي، ولم يعثر عليه كاملا حيث تم الحصول على 35 مادة من 100 مادة كانت الأصل لهذه الشريعة، ويجدر الإشارة أن مجموعات صغيرة من المواد القانونية وجدت مدونة على ألواح طينية وضمت 26 مادة وأرخت بفترة وجيزة بعد أسرة أور الثالثة[2].

ويختلف قانون "لبت عشتار" عن قانون "أورنمو" في نقطتين أساسيتين الأولى أن عدد مواده تزيد على قانون "أورنمو" بستة مواد أو أكثر، أما الثانية فهي اشتماله على خاتمة لا يحتويها الثاني، ويبدو أن الخاتمة قد دونت على مسلة حجرية ويعود السبب المباشر لإضافتها هو وجود تحريف للقوانين قبله وذلك بإضافة بعض المواد خدمة لمصالحهم، وتضم الخاتمة اللعنات بخصوص تغيير النصوص ومحو الكتابات[3].

وجدت قوانين هذا التشريع مدونة على كسر مكون من سبعة ألواح وجدت ستة منها في "نيبور" أما القطعة السابعة فمصدرها مجهول ويبدو أن هذه الكسرة الطينية هي نسخة القانون الأصلي وذلك لكثرة الأخطاء النحوية وسوء ترتيب المواد لأن العادة تنص على قيام التلاميذ باستنساخ القوانين بهدف التدرب ومن ثم فإن المرجح أن تكون هذه النصوص تعليمية، أما الأصل فقد دون على نصب لم يتم العثور عليه وهو الأمر الذي تشير إليه مقدمة القانون: "عندما وفرت الرفاهية لبلاد سومر أقيمت هذه المسلة"، وقد أكد هذا القانون بامتياز مواده أنه مشتق بالدرجة الأولى من تراث السومريين الحضاري[4].

---

(1)- **إيسن**: مدينة تقع جنوب بلاد الرافدين، كانت عاصمة سلالة العمورية حكمت ما بين 2017-1794 ق.م، ضمت فيما بعد إلى أملاك حمورابي وأصبحت مهدا للسلالة البابلية الرابعة المسماة "سلالة باشي" التي حكمت ما بين 1170-1039 ق.م. ينظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 179.

(2)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 179.

(3)- فوزي رشيد، المرجع السابق، ص ص 62-64.

(4)- سعيدي سليم، المرجع السابق، ص 25.

5. شريعة حمورابي:

يعد الملك حمورابي أشهر ملوك الأسرة البابلية وأعظمهم وقد اختلف المؤرخون حول فترة توليه العهد وكان أصحاب التاريخ المطول يرون أن حكم هذا الملك ما بين (2003-1961 ق.م)[1]، ويمكن التعرف على سياسته الداخلية عن طريق مراسلاته مع الأمراء والموظفين وخاصة من مجموعة القوانين التي أصدرها[2] والتي كانت خلاصة القوانين السابقة له، وتعتبر قوانينه أتم شريعة في تاريخ الحضارات القديمة وتشير مقدمته إلى أنه أصدره بشكل كلي بعد القضاء على أعداءه وتحسن الأمور في البلاد وكان إصداره خلال السنوات الأخيرة من حكمه[3]، وتعتبر أعظم إنجازاته انتصاره على الملوك الأقوياء وتوحيد وادي الرافدين ومد حدود دولته جنوبا إلى الخليج العربي ولم يحاول الانشغال بالحرب في السنوات الأولى من حكمه بل قضاها في الإصلاحات الداخلية وفي تقوية وسائل الدفاع حول المدن الهامة في دولته[4]، وقد أطلق على نفسه بعد انتصاره على "ريم-سن"[5] لقب "حاكم سومر وأكد" وجهات العالم الأربع التي أهداها له الربان "آنو وأنليل" وكان بعد الانتصار على أعدائه يتفرغ للمشاريع الاقتصادية كصيانة قنوات الري المدمرة خلال الحروب[6].

وفيما يخص قانونه فقد دون على كتلة من الديوريت ارتفاعها 2.25 متر ومحيطها 1.9 متر عند القاعدة وعثر عليها مكسورة ومجزأة إلى ثلاثة قطع بين خرائب سوسة[7]، (ينظر الملحق رقم **09**) وقد نقله ملك عيلام بعد غزوه لمدينة بابل وهو مكتوب على نصب كبير، ويتضمن في مقدمته المهمة التي ألقتها الآلهة على عاتقه لنشر العدالة في الأرض[8]، وفي الأصل هذه القوانين محفورة على نصب مصنوع من

---

(1)- أحمد أمين سليم، (**دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر، العراق...**)، ص300.

(2)- نعيم فرح، المرجع السابق، ص 33.

(3)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 179.

(4)- حلمي إسماعيل محروس، المرجع السابق، ص 39.

(5)- **ريم- سن**: آخر ملوك "لارسا" (1822-1763 ق.م)، انتصر على آخر ملوك "إيسن" واستولى على أراضيه وانتصر عليه فيما بعد الملك حمورابي. ينظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 436.

(6)- توفيق سليمان، المرجع السابق، ص ص 171، 172.

(7)- ديلا بورت، المرجع السابق، ص 95.

(8)- سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص 95.

البازلت (النسخة الأصلية محفوظة بمتحف اللوفر مع وجود نسخة طبق الأصل لها بمتحف بوشكين بموسكو)، وتمثل فيها حمورابي واقفا أمام عرش الإله شمش[1] ويستلم منه شعارات السلطة القضائية العليا[2] (ينظر الملحق رقم **10**).

الملحق رقم 09



قانون حمورابي مدون على كتلة الديوريت [3]

---

(1)- **شمش:** معبود سامي، اسم معبود الشمس لدى الساميين أقيمت له معابد في بابل، آشور، عيلام، ميتاني وفي شبه الجزيرة العربية ولدى الكنعانيين، كان يؤلف مع "سن" إله القمر و"عشتار" مثلثا كوكبيا وهو الصيغة الأكدية لإله الشمس السومري "أوتو" وهو إله العدل وحافظ الحق. ينظر: حسن نعمة، المرجع السابق، ص 235.

(2)- نعيم فرح، المرجع السابق، ص 33.

(3)- Barbara A.Somevill, **Empire of Ancient Mesopotamia,** edit Chelsea House, USA, 2010, p 42.

الملحق رقم 10



الجزء العلوي من مسلة حمورابي يظهر فيه واقفا أما الإله شمش وهو يتسلم ملف العدالة منه [1]

[1]- توفيق سليمان، المرجع السابق، ص 423.

وكان الكشف عن هذا النصب بمعبد (Inshushinak)، وكان العيلاميون قد استولوا عليه من مدينة "سيبار" التي كانت مقاما لمعبد الإله شمش وقام بالكشف عنه بعثة فرنسية بين عامي (1901-1902م)، واحتل الإله شمش الجزء العلوي من المسلة التي تمثل حمورابي جالسا على عرشه الذي وضع على جبل واقفا يتلقى الأوامر منه وتغطي المسلة بكتابه مسمارية على شكل حقل (44 حقلا)[1].

وتتمثل أهمية قانونه في كونه النسخة الأصلية عكس القوانين الأخرى ويحتوي على 282 مادة قانونية تطرقت بشكل خاص إلى الجانب الاجتماعي بالإضافة إلى القوانين السابقة له ومختلف المصادر المتعلقة بدراسة القانون فهو يعطينا صورة كاملة للأبعاد التاريخية للتشريع في بلاد الرافدين القديمة[2]، وتناولت هذه المواد أمور القضاء والأمن وحقوق المحاربين ومسؤولياتهم، عقود الزراعة، شروط القروض، الأحوال الشخصية بما فيها الزواج، المواريث، التعويضات، القصاص وتحديد أجور أصحاب المهن ومسؤولياتهم[3]، وكان إصدار هذا القانون نتاج سياسة حمورابي بحيث عرفت في فترته أول عصر ذهبي من عصورها التاريخية الطويلة، فقد وسع حدود مملكته حتى الخابور وحوض البليخ وشملت حوض الديالي وواد دجلة الأعلى وحل اسم بابل مكان سومر وأكد ومنذ أيام "سرجون" و"نرام سين"[4] و"شولجي"[5] لم تعرف المنطقة شخصية مماثلة له والذي نجح في توحيد المنطقة[6]، وتمكن من تأسيس إمبراطورية واسعة امتدت من "لجش" و"أوريدو" بالقرب من الخليج الفارسي حتى آشور ونينوى وقام بتنشيط التجارة مع أقاليم البحر المتوسط، كما تشير الأدلة الأثرية إلى اهتمامه بتخطيط مدينة بابل[7].

---

[1]- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 179، 180.

[2]- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، **ج2**، ص 77.

[3]- أحمد أمين سليم، (**دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**...)، ص 302.

[4]- **نرام سين**: ملك أكد (2254-2218 ق.م)، حفيد سرجون الأكدي لقب بملك المناطق الأربعة، امتدت سلطته من الخليج الفارسي إلى آسية الصغرى، دمر مدينة "إيبلا" وانتصر على العيلاميين والجوتيين والأراميين. ينظر: نفسه، ص 843.

[5]- **شولجي**: (2090- 2048 ق.م) ابن الملك "أورنمو" وخليفته، تنسب إليه قائمة الملوك السومرية 48 عاما من الحكم، أمضى النصف الأول من عهده في أعمال البناء وينسب إليه إكمال بناء زاقورة أور وإعادة بناء معبد "إنانا" بنيبور، كما انتحل لقب "ملك الجهات الأربع الذي استحدثه الملك "نرام سين". ينظر: محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص ص 212-214.

[6]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 139.

[7]- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص ص 179، 180.

ولا يمكن اعتباره قانونا بالمعنى الأصلي أي مجموعة من القوانين التي تتضمن نظاما كاملا للتشريع وإنما هو مجموعة من القرارات الملكية والدساتير الخاصة بعدة موضوعات يمكن مقارنته بالعقود المحررة في نفس العصر حتى يمكن الوصول إلى فكرة أكثر دقة عن هذا المفهوم[1]، ولكن هذه المجموعة من القرارات التي يمكن أن تعد مرجعا استوحيت من النصوص القديمة منها "أورنمو" و"لبت عشتار"، وكان التشريع يصدر عادة عن الملوك دون الهيئات التشريعية فالملك حمورابي يعدد في مقدمة قانونه كل إنجازاته في مدن مملكته وإكرامه للآلهة، ويظهر في نص القانون الأولي الطابع الملحمي وأسلوب الخطاب الغنائي خدمة للأهداف الدعائية للحكم البابلي[2].

أما عن المواد القانونية المحددة فهي القضايا المشهورة، أما باقي القضايا الأخرى الغير مذكورة فكانت معروفة عند عامة الناس ومدونة على ألواح طينية وقد قسمت هذه المواد إلى ثلاثة أبواب أولها: النظام بالتقاضي (المرافعات) والذي يختص بالتهم وشهادات الزور ونقض حكم القضاة، أما الباب الثاني: فاختص بالجانب المالي بما فيها المعاملات كالسرقة، والأحكام الخاصة بالأراضي والزراعة، المبادلات التجارية، أما الباب الثالث: فقد عني بالأحوال الشخصية والتي مفادها تنظيم العلاقات الزوجية والمسؤوليات المحددة التبني وكذا تحدد الأطر الخاصة بالمهن خاصة فيما يتعلق بتحديد الأجور[3].

وكان تحديد العقوبات من طرف القضاة الذين يوقعونها في حالات معينة، أما إذا لم يذكر نص يختص بجريمة محددة فإن الحكم النهائي يكون حسب العرف السائد في المنطقة وقد مثل هذا القانون اتجاها لمبدأ "المعاملة بالمثل" وهو التقليد الشائع بين الشعوب السامية[4]، والحقيقة أن قوانين حمورابي لم تغطي جميع الحالات الممكنة فالكثير من الحالات المحذوفة ذات أهمية كبيرة، ومحاولات تنظيمها قليلة جدا وقد كانت مهمة هذا المشرع إصلاح القوانين الموجودة وهذا ما قام بتجسيده من خلال سلسلة التعديلات ولا يمكن اعتبار هذه القرارات كحجج قانونية ملزمة لأحكام تالية وهي في نفس الوقت ليست شريعة للمملكة بل

(1)- ديلا بورت، المرجع السابق، ص 95.

(2)- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 140.

(3)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 181، 182.

(4)- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 368.

هو قانون أرضي خاص بالمشرع حمورابي، ولم يكن النص المكتوب للقانون ملزما وإنما كان مذكرة تسجل قرارا يعتمد على المفاهيم البابلية للعدل، فلا يحتوي على سجل لأية أحكام قائمة على أوصاف تطبيقية مكتوبة أو مسائل إجرائية[1].

وإذا قارننا بين شريعة حمورابي بباقي التشريعات الرافدية لوجدنا أنها الأرقى رغم أنها لا تعد الأسبق زمنيا وذلك نظرا لمعالجته الكثير من القضايا التي أغفلتها القوانين السالفة، ويمتاز بكتابة أدبية راقية[2]، ومما لاشك فيه أنه جمع شرائعه من مصادر رافدية قديمة كانت مدونة على ألواح من الطين المفخور جمعها بعناية ودقة وتنسيقها بإضافة العديد من المسائل المتعلقة بظروف عصره وإلزام الناس العمل بموجب المواد المحددة ضمن الإطار العام لقانونه، كما أحصت الأبحاث وجود 55 رسالة بالمتحف البريطاني أملاها حمورابي على حكام الأقاليم في الإمبراطورية البابلية القديمة وكانت تخص شؤون التقويم ومراقبة واردات المعابد والأوامر العسكرية والشؤون الزراعية بما في ذلك تنظيم الري، لذلك تعد شريعته من المصادر المهمة للقانون والتنظيم الإداري على مر العصور اقتبست منه الشعوب القديمة الكثير من الأحكام واعتمدتها في تدوين تشريعاتها الوضعية[3].

وتبرز أهمية تشريعه في النسخ العديدة التي وجدت في مختلف العصور والمتضمنة نقلا كاملا لقوانينه بلغة كل عصر مما يدل على الاستمرارية في تطبيق أحكامه بعد وفاته، وأهم المناطق المتأثرة بهذه الشريعة عيلام ومصر وقد عرفت المدونات القانونية بعده تطورا ملحوظا من حيث الوثائق القانونية لكن تبقى في جوهرها مستمدة من هذا التشريع[4].

وارتكز قانونه على عدة مبادئ دقيقة وهي: تطبيق القرارات الملكية، تحديد دور الموظفين الإداريين، تنظيم القوانين وضبط الحدود والعقوبات والأهم هو معالجة المشاكل الأسرية (الزواج، الإرث والطلاق)،

(1)- مجموعة من المؤلفين، **شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم**، تر: أسامة سراس، ط 2، دار علاء الدين، دمشق، 1994م، ص ص 10، 11.

(2)- سعيدي سليم، المرجع السابق، ص 38.

(3)- عبد الحكيم الذنون، **التشريعات البابلية**، ط 1، دار علاء الدين، دمشق، 1992م، ص 38.

(4)- صوفي حسن أبو طالب، المرجع السابق، ص 126.

بالإضافة إلى ذلك الصرامة في تطبيق قانون "المعاملة بالمثل" فيما يخص الجرائم المرتكبة بما في ذلك: قطع اللسان، التعذيب باستعمال النار[1].

ثالثا: مدرسة بلاد الرافدين القديمة:

نشأت المدرسة السومرية مباشرة بعد اختراع الكتابة المسمارية وتطورها التدريجي، وتميز القرن الثالث ق.م بتطور نظامها فمن خلال النصوص المعثور عليها تبين العدد الهائل للطلبة الممارسين لمهنة الكتابة والذي قدر ببضعة آلاف، وتم تصنيف هؤلاء بالاعتماد على جملة من المعايير وتبعا للمراتب منهم الكتبة المبتدئون، الكتبة المتقدمون، الكتبة الملكيون، كتبة المعابد، كتبة من ذوي التخصص العالي والمختصين بتنظيم الشؤون الإدارية والكتبة المصنفين ضمن خانة كبار موظفي الدولة[2].

وكان الهدف الأساسي للمدرسة السومرية التدريب المهني لسد الحاجات الاقتصادية والإدارية الملحة للبلاد وعلى وجه الخصوص القصر والمعبد وتبعا للتوسع الكبير في مناهجها فقد صارت مركزا للعلم والثقافة في بلاد سومر والتي توفر بدورها الظروف الملائمة للعالم الدارس لجميع فروع المعرفة، واهتمت المدرسة بالتأليف الإبداعي فكانت المؤلفات الأدبية القديمة تدرس وتستنسخ بعناية مع وجود إضافات أدبية جديدة، وكان الطالب المتمرس يخصص جزءا معتبرا من مدة دراسته وتكوينه لمادة القانون بممارسة منهجية ضبط العبارات باستمرار مع تحديد المصطلحات القانونية وكذلك استنساخ النصوص القانونية والقرارات النهائية للمحاكم[3].

أما عن المنهج الدراسي المتبع في المدرسة السومرية ففي متناول الباحثين مادة غزيرة عثر عليها في إطار البحوث الأثرية وتضم النصوص الأصلية للمدرسة التي تبرز إنتاجات الطلاب وكتاباتهم الشخصية بدءا من المحاولات الأولى للمبتدئين ووصولا إلى مرحلة النسخ بالنسبة للطالب المتقدم المتحكم في عمله لدرجة الإتقان إذ استعصى على الباحثين الفصل في العديد من المواقع بين كتابات التلميذ عن الأستاذ

---

(1)– Eliane Lopez, **L'Histoire Des Civilisations,** édit Eyrolles, Paris, (s.d) p 42.

(2)– سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 128.

(3)– نفسه، ص ص 128، 129.

نفسه، ومن هذا الإنتاج المدرسي المدون يمكن تتبع منهج المدرسة السومرية الذي قسم إلى فرعين أساسين: الأول الفرع الشبيه بالعلمي والقائم على طريقة البحث والثاني القسم الخاص بالإبداع والإنتاج الأدبي[1].

وفيما يخص المجال اللغوي فتحتل دراسة اللغة السومرية أولى المراتب ضمن الألواح الطينية المدرسية المعثور عليها إلى جانب ذلك إبداع السومريين في تكوين المعاجم اللغوية وكذا استنساخ النصوص الكتابية واعتماد أسلوب المذاكرة، ويقوم المنهج الخاص بالإبداع والإنتاج الأدبي على أساس المعاينة والاستنساخ وتجميع المواضيع المرتبطة بالتآليف الأدبية التي عرفت ذروتها خلال النصف الأخير من الألف الثالث ق.م وذلك حسب تخمينات الباحثين والمتخصصين، وقد صنفت معظم هذه الإنتاجات الفكرية القديمة المقدرة بالآلاف ضمن الجانب الأدبي وبالتحديد القسم الخاص بالميدان الشعري[2].

ومن خلال التدقيق في معاينة النصوص تبين أن عملية النسخ تقوم مبدئيا على أساس الدقة المتناهية وتبرز هذه الأهمية والحرص الشديد على الإتقان في أن معظم النصوص المسمارية المدروسة تضم هوامش وتذييلات والتي تدل على عظمة مسؤولية النساخ فيما يخص نقل الموروث الحضاري، لذلك عملوا على تحديد ديباجة تنصب بالنقل الحرفي من النسخة الأصلية وفي هذا الإطار يشار إلى الناسخ وتاريخ الاستنساخ والهدف من وراء هذه الإجراءات هو منع تحريف النصوص أو إتلافها المتعمد[3].

ولم تحدد الألواح القديمة طبيعة النظام المتبع في منهج المدرسة السومرية خلال تلك الفترة، وكشفت عمليات التنقيب عن أعداد كبيرة من الألواح المتضمنة لمختلف التمارين المدرسية التي كانت تدرس للطلاب والمعدة كجزء من أعمالهم اليومية، والملاحظ في مضامينها الاختلاف الواضح في الخطوط الكتابية من حيث الدقة والإتقان فمنها الألواح الرديئة غير متقنة بالنسبة للطلبة المبتدئين عكس الألواح ذات الخطوط المنتظمة التي أتقن صياغتها الطلبة المتقدمون المشرفون على الانتهاء من دراستهم[4] (ينظر الملحق رقم **11**).

---

(1)- صمويل كريمر، المرجع السابق، ص 44.

(2)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 140.

(3)- نفسه.

(4)- نفسه، ص 128.

الملحق رقم 11



الألواح المدرسية البابلية التي استخدمت فيها القواعد السومرية لكتابة التمارين المدرسية(1)

(1)-Bill T. Arnaud, Op.cit, p 50.

وكان تأسيس المدارس الأولى بدءا من النصف الثاني من القرن الثالث ق.م بهدف تكوين الطلاب وإعدادهم لتولي المناصب الحساسة ضمن مؤسسات الدولة لضمان التسيير الحسن للأمور الاقتصادية والإدارية وقد اتصلت هذه الهياكل في أغلب الأحيان بحكام الأقاليم ففي عهد "سرجون الأول" وخلفاءه برزت الحاجة الملحة إلى أعداد هائلة من الموظفين الإداريين والكهنة لذلك كان إلزاميا على هذه المدارس الكهنوتية إعداد العناصر المناسبة للمراكز العليا، وكان التدرب على الوظائف الدينية والمدنية الرسمية متماثلا في تلك المدارس الأولى مما يؤكد على العلاقة الوثيقة بين هذه الوظائف[1].

وترد إشارات مهمة ضمن النصوص التي تبين طريقة تعليم الكتبة وتلقينهم لفنون التدوين ومبادئه إذ يفهم منها وجود نظام دقيق لتدريب الكتبة من أجل الحفاظ على ديمومة البنية الإدارية ضمن المؤسسات خاصة الدينية منها وذلك من خلال النقل المنتظم للعلوم والخبرات الكتابية باستمرار[2].

وإلى جانب المدارس الخاصة بالمعابد وجدت مدارس خاصة، ولعل أولى الأشياء التي كان يعنى بها الطالب هي تعلم الخط واكتساب أسس الكتابة المسمارية ليتدرج فيما بعد إلى مرحلة تعلم اللغة وقواعدها، وخلال العصر البابلي كان إلزاميا على الطالب تعلم اللغتين السومرية والبابلية وهذا ما جعل التعليم يستغرق مدة طويلة خاصة إذا أراد الطالب أن يكون من الطلبة المتميزين، وإلى جانب هذا النوع من التعليم وجدت تخصصات أخرى في مختلف فروع الثقافة العليا كالطب والفلك، القانون، الموسيقى، العلوم الرياضية والتي تلقن أصولها في معاهد خاصة[3].

وقد حظي المتعلمون لفنون الكتابة بمكانة رفيعة إذ كانت القصور الملكية تحوي المتميزين منهم وإلى جانب هذه الميزة فقد كانوا يعفون من بعض التكاليف الشاقة مع وجود تحسينات نوعية لمستواهم الاقتصادي، أما فيما يخص المعابد فهي بدورها سعت إلى تهيئة وإعداد أجيال من الكتبة لسد حاجاتها تبعا لمهاراتهم الاستثنائية إذ يتعلمون في هذه المؤسسة الدينية مختلف أنواع العلوم، الفنون، الآداب، هذا ما أطلق

---

[1]- ملكة أبيض، **التربية في الوطن العربي (منظور قومي، تاريخي)**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012م، ص 19.
[2]- عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 169.
[3]- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 244.

عليه السومريون اسم "الفن الكتابي" والذي كان يعد بالنسبة لهم أسمى درجات الوعي الثقافي ويعبر عنه المثل السومري القائل: "فن الكتابة أم الخطباء وأب الأساتذة"[1].

أما عن معلمي المدارس السومرية فهم من بين المتخرجين الذين وهبوا حياتهم لمهام التدريس وتحصيل العلم عن طريق البحث والكتابة، فبينما كانت ملحقة بالمعابد أصبحت مع مرور الوقت مؤسسة قائمة بذاتها، وفيما يخص رواتب المعلمين فكانت هذه الأخيرة تدفع من الأموال المتحصل عليها من الطلاب أنفسهم وباعتبار أن التعليم لم يكن مفروضا وعاما بل اقتصر مفهومه على الأسر الغنية، بالإضافة إلى ذلك طرح العديد من المؤرخين إشكالية جوهرية مفادها عدم ورود أسماء خاصة بالكاتبات[2] ضمن الوثائق المتحصل عليها لتكون فرضية استفحال "التعليم الذكوري" هي الأقرب إلى التأكيد[3]، لذلك فإن معرفة القراءة والكتابة في بلاد الرافدين كما في بلدان الشرق الأخرى اقتصرت على فئة محدودة فالبنات عامة لم يلتحقن بالمدارس (وجود استثناء بالنسبة لبنات الطبقة الراقية لكن دون وجود إيضاحات مباشرة لهذه النظرية المطروحة) واقتصر التعليم على الصبية من أبناء كبار الشخصيات المدنية والعسكرية، وكان مقرها كما ورد ذكرها سالفا القصور والمعابد الرئيسية التي كانت تدفع أجور ومستحقات المعلمين فضلا عن الهدايا الممنوحة لهم، وكان للطلبة امتياز خاص يتمثل في استلام وظائف ذات دخل معتبر بعد الانتهاء من عملية التحصيل العلمي[4]، ويكاد يكون اتفاق تام بين الباحثين أن التعليم ومعرفة فنون الكتابة في بلاد الرافدين كانت حكرا على الطبقة الأرسطوقراطية ولم يكن متاحا لباقي فئات المجتمع كالفقراء والعبيد إلا في القليل النادر[5].

---

[1]- عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 40.

[2]- **الكاتبات**: ينافي الباحث "عامر عبد الله الجميلي" هذا الطرح حيث يقول: "إن أقدم الإشارات الواردة عن وجود الكاتبات تعود إلى العصر الأكدي إذ برزت "انخيدوانا Enheduanna" أشهر كاتبة آنذاك وهي إبنة الملك "سرجون الأكدي"، وقد تولت هذه الكاتبة وظيفة "الكاهنة العظمى Entu" للإله "سين" في مدينة أور ثم أصبحت كاهنة للإله آنو في مدينة الوركاء، كما برزت هذه الكاتبة في مجال الأدب كمؤلفة قصائد مدح للإلهة عشتار". ينظر: نفسه، ص ص 87، 88.

[3]- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 129.

[4]- نعيم فرح، المرجع السابق، ص 42.

[5]- عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 40.

ومن الناحية التاريخية والأثرية كشف عن عدد كبير من الألواح التي ترقى إلى عصر الملك "حمورابي" تضم نماذج عن طرق التعليم، تعتمد في إطارها العام على ترجمة العلامات البسيطة كمرحلة أولى ثم دراسة قيمتها الصوتية بتعليم الطلبة كيفية استعمال مجاميع العلامات والإشارات ثم الصيغ المتداولة، وتثبت نجاعة هذه الطرق في كيفية تكوين التلميذ بإعطائه دروسا حول طرق الصياغة ثم يختم تعليمه بمعرفة الرياضيات وقواعدها[1].

ونفس الصيغة أثبتت في "نفر"[2] والتي كانت ألواح مكتبتها منظمة بشكل عام ضمن رفوف مصنوعة من الطين، ولم يقتصر الأمر على المكتبة أو دائرة السجلات الملحقين بالمعبد بل أقيمت مدرسة ملحقة بها، وقد عثر ضمن خرائبها على نماذج من الدروس التي هيأها المعلمون وأيضا التمارين التي بفضلها يستطيع الباحث معرفة كيفية تدريس الخط لمسماري والقواعد السومرية بالنسبة للمبتدئين، لكنه بالرغم من قيمة ألواحها ذات الصيغة العلمية فهي لا تضاهي نظيرتها مدرسة "حمورابي" التي تعد أقدم مدرسة في الوجود، ويمكن اعتبار هذا القول صحيح بالمعنى الاصطلاحي إذا كان مفهومه العام يقصد به البيت المخصص لتلقين العلوم[3].

أما عن هيكلة المدرسة فقد كانت منظمة بشكل متناسق، ويعرف المعلم باسم "أميا"[4] وتعني الخبير أو "أب المدرسة" بينما يدعـى الطالب "ابن المدرسة"[5] بالإضافة إلـى المساعد الذي أطلقت عليـه تسمية

---

(1)- ديلا بورت، المرجع السابق، ص 198.

(2)- **نفر**: من بين مكتشفاتها "فهرس الكتب"، وهو مدون صغير الحجم عثر عليه في حالة سليمة من طرف الباحث" صمويل كريمر" الذي أقر أن مؤلف هذا الفهرس تمكن من فهرسة 62 عنوانا من التآليف الأدبية نقشت على وجهي اللوح المتضمن لمواضيع متنوعة. ينظر: صمويل كريمر، المرجع السابق، ص ص 371، 372.

(3)- جورج سارتون، المرجع السابق، ص 160.

(4)- **أميا**: يقابله في الأكدية (أمان Ummenu) ويماثلها في الوقت الحاضر مصطلح "المشرف التربوي" ينظر: عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 47.

(5)- **ابن المدرسة**: عرف بالسومرية (Damu.E.Duba.Ba) وبالأكدية (مار-بيت-طوبات Mar Bit Tuppati) وودت مصطلحات للإشارة إليه منها (طبشر صخر Tupsarru Sahru) التي تعني الكاتب المتدرب. ينظر: نفسه، ص 48.

"الأخ الأكبر[1]"[2]، وكان من بين واجباته كتابة الألواح الجديدة ليستنسخ منها الطلاب مع فحص النسخ والحرص على سير عملية المذاكرة بطريقة ايجابية، وكذلك وجود "المشرف على الرسم" و"المشرف على اللغة السومرية" والمسؤول عن حفظ النظام الداخلي، وهذا بشكل عام التقسيم المنطقي للمنظومة الداخلية للمدرسة[3]، واحتوت كذلك العديد من الأساتذة المختصين مثل: "طوبشارنشد" خبير الرياضيات و"طوبشارأشاكا" خبير المسائل الهندسية و"طوبشاركنكيرا" خبير اللغة السومرية وهي المادة الأكثر أهمية، وألف هؤلاء العديد من القواميس واعتبرت محاولاتهم الأولى في تاريخ المعرفة الإنسانية[4].

كما أمدتنا النصوص المكتشفة بمعلومات شاملة عن نظام التعليم وأمور خاصة متعلقة بالمدرسة وإدارتها وعن المناهج والأساليب التعليمية، وعثر في خضم تلك النصوص على مذكرات الطلبة التي تتحدث عن "الأيام الدراسية" وما يحتويه التعليم من أهمية، ووردت هذه المعلومات في شكل نصوص تعليمية بالسومرية[5].

وقد بين اللوح الحادي عشر المعثور عليه في "تل حرمل"[6] طريقة سير المنظومة التعليمية ويمثل هذا اللوح "أيام الدراسة وبركة المعلم" المحفوظ ضمن أربعة حقول بجامعة بغداد ويمثل رسالة خاصة عن حياة المدرسة، كما تضمن اللوح توقيعا لصاحبه ونصه كالآتي "نسخة نابي-إنليل" واللوح الثالث عشر المعثور عليه في "نفر" والذي يتضمن اقتباسا من أول معجم معروف لدى الإنسان، وتوجد يسار هذا اللوح الكلمات السومرية وما يقابلها في المعنى بالنسبة للأكدية، وتظهر على هذا اللوح الخدوش والمحو وهذا دليل على الاستنساخ الرديء للطالب دون وجـود مراقبة من "مساعد الأستـــاذ" ويعد هذا اللوح من بين آلاف

---

(1)- **الأخ الأكبر**: يطلق عليه في الأكدية (أخ-رآب Ahu Rabu) وبالسومرية (شيش-كال Ses Gal) ينظر: عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 47.

(2)- ملكة أبيض، المرجع السابق، ص 20.

(3)- صمويل كريمر، المرجع السابق، ص ص 47، 48.

(4)- سليم مطر، المرجع السابق، ص 361.

(5)- عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 46.

(6)- **تل حرمل**: كشفت التنقيبات بهذا الموقع عن حوالي 1500 لوحة طينية مختلفة الأنواع والأحجام، تدل على وجود "دور السجلات" في هذه المدينة واحتوت هذه الخزانة نصوصا قانونية وتجارية منها الصكوك والعقود، نصوص خاصة بالتبني والزواج بالإضافة إلى مدونات في اللغة موضوعة بأسلوب معجمي وألواح لغوية علمية تضم قوائم بأسماء الطيور والآلهة. ينظر: كوركيس عواد، المرجع السابق، ص 67.

الألواح اللغوية المعجمية الموجودة في متاحف العالم[1].

وفيما يخص "خزائن الكتب" يحتوي المعبد عادة حجرة تضم مجموعة من الألواح أو ما يطلق عليه اسم " خزانة الكتب المدرسية" ليستعملها الطلبة الكهان، وما عدا هذه الخزانة هناك حجرة أوسع تخزن فيها مجاميع الألواح المكتوبة التي تحتوي على مدونات الرقى، الكهانة، الفأل، ونصوص دينية وسحرية متنوعة، ومن لواحق المعبد "ديوان السجلات" الذي تجمع فيه الوثائق المتعلقة بعائدات المعبد، هذا إلى جانب نسخ ومناشير ملكية والمراسلات مع الملوك الأجانب والوثائق الرسمية من مختلف الأصناف[2].

ووجود المدارس وخزانات الكتب بشكل عام ليس هدفه الرئيسي تحقيق متطلبات الكتابة فقط وحفظ السجلات وإنما وجدت بغرض يفوق انتباه الكاتب العادي والذي يفوق كذلك عقول اللغويين الأوائل، وهذا الهدف بالتحديد هو حفظ اللغة نفسها وجعلها مادة قياسية لأنه ما دامت اللغة غير مكتوبة فمن المحتمل أن يطرأ عليها التغيير بسرعة والكتابة هي الأداة الهامة التي تساعد على تثبيتها[3].

وفيما يخص بيت الألواح (Eduba)[4] أو المدرسة فقد تحدثت عن يوميات طالب المدرسة أستاذ سومري قام بتدوين مذكراته عن أيام الدراسة وهي مكتوبة على ألواح طينية تعود إلى حوالي سنة 2000 ق.م وأهم ما جاء فيها: "أيها المتخرج القديم، إلى أين كنت تذهب عندما كنت صغيرا ؟ فيجيب المتخرج: كنت أذهب إلى المدرسة، فيسأله الأستاذ: وماذا كنت تفعل؟ فيجيبه: كنت أقرأ لوحي وأتناول غدائي ثم أحضر لوحي الجديد لأنتهي من كتابته[1] ثم يعينون لي الدرس الشفهي، وفي العصر يخصصون لي درسي المكتوب، وعندما أنتهي من الدراسة أعود إلى البيت أجد أبي جالسا هناك، فأطلعه على درسي المكتوب ثم

---

(1)- صمويل كريمر، المرجع السابق، ص ص 413-415.

(2)- كوركيس عواد، المرجع السابق، ص ص 42، 43.

(3)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 126.

(4)- **Eduba**: يطلق عليها في اللغة الأكدية اسم (بيت- طب Bit-tuppi) أي "بيت الألواح". ينظر: عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 44.

(1)- نخبة من الباحثين العراقيين، **(حضارة العراق)**، **ج2**، ص ص 380، 381.

أستظهر لوحي فيسر بذلك..."[1].

أما من الناحية التكوينية للمدارس فهي تمثل المعابد نفسها أو تكون ملحقة بها "هذا الطرح منطقي إذا أمعنا النظر إلى طبيعة الأمور لأن الفكر الرافدي مقرون مبدئيا بالفكر الديني الذي يستحوذ على مجمل أفكاره"، تتطلب المراحل الأولى فيها تعلم المبادئ الأساسية ثم إتقان العلامات البسيطة ثم التدرب على توظيف هذه العلامات حسب ما يتوافق مع الصيغ المتداولة ثم ينتقل الطالب إلى المرحلة النهائية أين يتوج عمله بتعلم العلوم الأساسية، وكانت تقام إلى جانب هذه المدارس دور العلم والحكمة وأهمها دور حفظ الوثائق الهامة وبيوت الألواح حيث يتلقى الطالب تكوينا عاليا ضمن إحدى العلوم المتخصصة: الطب، القانون والفلك[3].

ووجدت العديد من الأدلة التي تشير أن أغلب المدارس الملحقة بالمعابد كانت مكرسة لعبادة الإله "نبو" إله "الكتابة والقلم" (ينظر الملحق رقم **12**) وكذلك "الحكمة والمعرفة" وعلى سبيل

الملحق رقم 12

تمثال الإله نبو حوالي عام 800ق.م (المتحف البريطاني)[2]

[1]- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 132.

[2]- ديلا بورت، المرجع السابق، ص 318.

[3]- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 197.

المثال نجد معبد "أي-زيدا" المكرس لعبادة هذا الإله في "بورسيبا"، والذي عثر فيه على مجاميع من النصوص المدرسية والنصوص الخاصة بالترانيم والتراتيل الدينية وغيرها، وقد ضمت النصوص المدرسية مؤلفات أدبية ونصوص معجمية ورقم ذات مضامين مختلفة وأهمها فهرس للرقم المحفوظة دونت عليه جميع محتوياتها[1].

وقد أوجد معلمو المدرسة السومرية طريقة ميسرة تقوم على تبويب اللغة السومرية إلى مجموعة من الكلمات والعبارات ذات الصلة الوثيقة بينها والتي ضمت مجالات عديدة فاشتملت على تسميات خاصة بالنباتات، الطيور، أسماء المدن، وأسماء خاصة بالأحجار والمعادن وتشير هذه الكلمات في مضمونها عن وجود إلمام كبير بالمعارف العامة ووهي حقيقة بدأ الباحثون في إقرار مصداقيتها[2]، ومن بين هؤلاء الباحث "إدوارد كييرا" صاحب كتاب "الألواح البابلية"، و"ما كان يكتب على الطين" حيث جملة المدارس التي عثر عليها الأثريون وهي بكامل معداتها واشتملت اللقى الخاصة بهذه المدارس على كتابات التلاميذ وتصحيحات الأستاذ بين السطور[3].

وبعد دراستي لمضامين العلوم المدونة في بلاد الرافدين استخلصت العديد من النتائج فيما يخص مدى تحكم الرافديين في تصنيف المعارف والخبرات التي استقوها من تجاربهم عبر فترات حياتهم التاريخية، وتتفاوت هذه النتائج بين السلبية والإيجابية، لكن يبقى المؤرخ أو الباحث بعيد عن مبدأ إصدار الأحكام حول محصلات النتاج العلمي كونه خاضع للعديد من الاعتبارات والظروف التي تتحكم بشكل غير كلي في إبداعات الرافديين ومن بين النتائج نذكر:

1. لم تتعد تخمينات الرافديين حدود التجربة والعمل فلقد أجازوا المراقبة الدقيقة وسجلوا ملاحظاتهم بسداد وحكمة وقد صنفوها وقابلوا بعضها ببعض، لكنهم لم يستنتجوا من ذلك إلا سلسلة من السوابق الواقعية والنصائح العملية، ولم يرتقوا في أي مجال إلى الجانب النظري المجرد، ولم يكن هدفهم الأساسي سوى الرغبة والفضول في معرفة أسباب ما لاحظوه.

---

(1)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، **ج2**، ص 264.

(2)- صمويل كريمر، المرجع السابق، ص ص 48، 49.

(3)- حسن ظاظا، المرجع السابق، ص 27.

2. فيما يخص علم التاريخ فإن تدوين موضوعاته من طرف الرافديين لم يكن بهدف تكوين علم قائم بذاته أو تشكيل منهج تاريخي واضح المعالم وإنما كان تدوينهم لهذا الجانب بهدف تنظيم العلاقات السياسية الداخلية والخارجية وتخليد انتصارات الملوك الحربية وليس غرضه في الأساس حفظ الذاكرة الجماعية، ودليل ذلك قلة أسماء المؤرخين المذكورين وعدم تناول كتاباتهم تاريخا كاملا لمنطقة بلاد الرافدين، ورغم هذه النقائص إذا صحت تسميتها بذلك تبقى التقارير الحربية المدونة على المسلات والأسطوانات والحملات المنقوشة على الألواح الطينية المصدر المادي الأساسي في معرفة سيرورة التدوين التاريخي لهذه المنطقة.

3. ساهم الرافديون بقسط معتبر في تأسيس "علم الجغرافيا" وذلك من خلال تصميم أولى النماذج وتخطيط أقدم الخرائط للمدن والأقاليم، بالإضافة إلى ذلك تكوين أول فكرة عن مفهوم الحدود الجغرافية وحساب المسافات، كما أسهمت الجداول الجغرافية في تكوين صورة جلية لمفهوم الجغرافيا حسب المنظور الرافدي، لكن يبقى مفهوم "علم الجغرافيا" غير كامل الأوصاف باعتبار أن العديد من الخرائط تتميز بالبدائية والتعتيم (معظم الخرائط تعرضت للضياع والتلف)، كما أن معظمها خرائط محدودة لبعض المدن دون وجود خريطة كاملة لبلاد الرافدين القديمة، والملاحظ أن المعارف الجغرافية عندهم محصورة ضمن مجال طبيعي ضيق لا يتجاوز حدود النهرين في غالب الأحيان ودليل ذلك اعتبارهم بابل مركز العالم.

4. اعتبرت بلاد الرافدين منبع "علم الفلك" بفضل مبادرات أفرادها في تدوين جميع المعطيات الفلكية بالاعتماد على مبدأ الملاحظة وتوثيق المعلومات المستنبطة من عمليات الرصد، وكان للوازع الديني الدور الكبير في دعم هذا الجانب من خلال محاولة تتبع الأوامر والنواهي الإلهية، تبعا لحركات الأجرام السماوية إضافة إلى دور الهياكل والمنشآت الدينية في ترسيخ جذور هذا الفرع الهام من العلوم، ورغم هذه المواصفات الايجابية إلا أن علم الفلك بقي في شكله البدائي لدى الرافديين، إذ أن عمليات التنبؤ قائمة على أساس احتمالات تحتمل الصحة أو الخطأ، كما أنه ليس من وجه الصواب تثبيت أسس الممالك وربط مصائرها بمجموعة من الأرصاد المدونة تبعا لخبرات العرافين والكهان وهذا ما جعل علم الفلك قائما على أسس المتغيرات.

5. نبغ الرافديون بشكل واضح في ميدان الطب من خلال صياغتهم أثمن الوصفات الطبية، كما تعد تجاربهم واستنتاجاتهم من أصدق المعطيات المتوفرة عن "علم الطب" الأولي، وقد تمتع هذا الميدان عندهم

بجميع المواصفات من خلال تخصيص فرع كامل لدراسته ضمن المدارس بالإضافة إلى إرفاقه بجملة من التشريعات الصارمة لضبط وتحديد معايير مزاولته، كما تعد الخلطات العشبية والممزوجات المعدنية والحيوانية من بين أولى محاولات تشكيل الأدوية في العالم القديم.

لكن يبقى حقل الطب عندهم بعيد نوعا ما عن مبدأ التجريب كونهم لم يصلوا إلى مرحلة تعليل أسباب حدوث الأمراض، إضافة إلى ربط الطب بميدان السحر في العديد من الحالات مما يسبب في الكثير من الأحيان التأخر في اكتشاف العلل وفقدان المريض وهذا من بين النقائص التي اكتنفت هذا الميدان.

6. إن ظهور "الرياضيات" لم يكن القصد منه وضع الخطوط العريضة لهذا العلم الأساسي وإنما الحاجة الملحة لضبط الحسابات عجلت في بروزه، لذلك يمكن القول أن الضرورة الاقتصادية هي المحفز الرئيسي لهذا الفرع المعرفي، ويمكن اعتبار محاولات الرافديين الأقدم فيما يخص حل المعادلات الجبرية وتشكيل الأجسام الهندسية رغم ترجيح فرضية أسبقية وفضل الإغريق في هذا المجال.

لكن يبقى هذا العلم محصورا بالجانب الاقتصادي رغم وجود بعض الاستثناءات من خلال استعماله في علم الفلك والجغرافيا، كما أن هذا العلم بقي معتما نظرا لنقص المعثورات المتعلقة به أو ربما نقص الاجتهادات في تحليل محتوى النصوص الرياضية.

7. لعبت مؤسسة المعبد الدور الأساسي في ظهور الكتابة وقد جمعت في خضمها الآلاف من الوثائق الاقتصادية والخاصة بمجال المعاملات اليومية، حيث سعى هذا الهيكل إلى تنظيم ميزانيته بشكل عقلاني مع تدوين جميع المعطيات والحرص على ضبطها باعتبارها المورد الأساسي للحفاظ على استمراريته، كما أمدتنا الألواح الطينية المعثور عليها بمعلومات غزيرة عن مبادئ الزراعة ومقوماتها وكذا عن سعة الملكيات وطرق استغلالها من طرف العامة والخواص.

لكن تبقى الزراعة الخاصة بالعامة غير واضحة وذلك لاحتكار وثائق المعبد الاقتصادية معظم المعثورات، إلى جانب ذلك قلة الإحصائيات الخاصة بالأراضي الملكية وكذا تحديد وتقسيم المسؤوليات على الوكلاء والمستفيدين من الاقطاعات، كما أن أكثر المعارف المتعلقة بهذا المجال بالخصوص أعمال الري فقد ورد ذكرها فقط ضمن بعض النقوش محدودة العدد، وهذا ما يجعل معارفنا نوعا ما شحيحة.

8. بفضل تطور علم النحت وبالخصوص النقش على السطوح المختلفة تمكن الباحثون من معرفة الثروة الحيوانية والنباتية المتوفرة خلال الحقب الموغلة في القدم من تاريخ بلاد الرافدين، كما قدم الكتبة نماذج فريدة من الألواح الطينية التي تضم توضيحات وبيانات موسعة عن الأنواع المتوفرة كالطيور (الجوارح) وكذا السنوريات (الأسود)، إلى جانب ذلك فقد بينت العديد من النصوص أنواع المعادن المتوفرة في المنطقة والأنواع النادرة، وحسب إحصائيات الألواح تتمتع بلاد الرافدين بمخزون لا بأس به من جميع هذه الموارد وهذا ما يجعلها تنفرد بمجموعة من الخصائص ذات الدفع الايجابي لتشكيل أسس الحضارة.

لكن تبقى هذه المعلومات غامضة نوعا ما ذلك أنهم لم يحددوا بشكل مضبوط جميع الأنواع الحيوانية، وقاموا بتصنيف العديد منها ضمن مجموعة واحدة رغم اختلاف خصائصها الطبيعية، وهذا دليل على عدم تعمقهم في دراسة حقل العلوم الطبيعية في شكله التجريبي.

9. يمثل الأدب أخصب المجالات التي برع فيها الرافديون الأوائل الذين صاغوا أجمل وأرقى النماذج الأدبية التي عرفها العالم القديم، وصارت أساطيرهم منبع الإلهام للكثير من شعوب الشرق الأدنى القديم وقد ذاع صيتهم بشكل كبير لدى الفرس والإغريق، وكانت ملاحمهم التي تناولت الصراع بين الآلهة ومظاهر الكون هي أجدر المحاولات الفلسفية لفهم سيرورة المنظومة الكونية، كما يمكن اعتبارهم أول من خاض في ميدان المناظرات وأول من شكل معالم علم اللسان بفضل أدب المحاورات وكذا بلوغ أرقى معايير التمييز الذهني (الحكمة) وتمثيل تجارب الحياة بجملة من الأمثال الشعبية المتداولة.

لكن ما يعاب على الجانب الأدبي صيغة التكرار في الكثير من الملاحم وطغيان الطابع الأسطوري على الأعمال الأدبية ما يجعلها منمقة بشكل افتراضي وبعيدة نوعا ما عن وصف حياة الإنسان الرافدي في مظاهرها البسيطة، وما يجدر الإشارة إليه أن معظم النماذج الأدبية متأثرة بالطابع الديني وهذا الأمر يجعلها ذات توجه أحادي لا يخدم الفكر الرافدي الخصب والمتعدد الفروع.

10. عند نزول الملكية من السماء وتكوين أولى المدن السومرية منح حاكمها التفويض الإلهي لتطبيق العدل في الأرض، وباعتبار بلاد الرافدين أولى المراكز الحضارية المنشأة بعد الطوفان فمن الطبيعي أن يخولها هذا الأمر أن تسن أولى القوانين في العالم القديم، وتعد هذه الأخيرة أسمى الأوامر الملقاة على عاتق الملوك لفرضها على السكان في صيغة تتماشى مع متطلبات الأعراف السائدة مع استحداث مجموعة من

التعديلات التي توافق متطلبات المجتمع القائم، ودليل ذلك أن شريعة النبي "موسى" عليه السلام قد استقت تطبيقاتها من شريعة "حمورابي"، ويعد هذا الاستلهام منطقيا إذا نظرنا إلى محتويات التشريعات التي احتكمت إلى العقل في فرض الحدود.

لكن من جهة أخرى لا يمكن اعتمادها كمرجع أساسي في تحديد معايير القوانين كونها مجحفة في غالبيتها وأنها صارمة بشكل يتعدى طاقات المجتمع الرافدي، كما أن معظمها تفرض سيطرة الملوك دون أن تخدم القضية النبيلة للعدل الإلهي الذي هو في مضمونه ليس إلا شعارا للدعاية من أجل إضفاء صبغة الشرعية على الحكم.

11. تعد الكتابة من أهم إنتاجات العقل الرافدي الذي بلغ مرحلة النضج الفكري من خلال تشكيل أولى ملامح الاتصال الغوي، وباعتبار الرافديين السباقين إلى هذا النتاج الحضاري فمن البديهي جدا أن تكون المدرسة أو المنظومة التعليمية بشكل عام ضمن نطاقهم، وفي هذا الإطار فقد امتازت المدرسة السومرية والبابلية بالتطور والتنظيم المحكم من حيث المناهج، الإعدادات، الهياكل والتقسيم المنطقي لهيئتها الداخلية، وقد أمدتنا المدن الرافدية بأرقى نماذج المدارس التي عنيت بتدريس أمهات العلوم وكذا في صياغة أغنى القواميس والمعاجم، كما يعود لها الفضل في بروز أولى خطوات المزج اللغوي في طرق التعليم، بالإضافة إلى ذلك تعد وثائق حفظ وصيانة الوثائق وكذا المكتبات الملحقة بها أنجع الطرق لحفظ الموروث الثقافي.

لكن وبالرغم من هذه المميزات بقيت المدارس رهينة تحفظ المنظومة الكهنوتية، كما أن ضياع العديد من الألواح المدرسية وتبعثرها عرقل مهمة الباحثين في تكوين صورة كاملة عن هذه المؤسسة الهامة، ورغم العدد المعتبر من الألواح الذي أمدتنا به هذه المدارس إلا أن عمليات التنقيب أثبتت بساطتها ومحدودية تأثيراتها ويستند هذا الحكم في أساسه على الكم المعرفي المتحصل عليه ضمن معثوراتها التي تعد نوعا ما ساذجة (لأن أغلب النصوص تشمل مجموعة من التمارين المدرسية التي صيغت بهدف التدريب وبالتالي فهي بكل تأكيد غير علمية بالمعنى الاصطلاحي).

الفصل الثالث:

التنقيبات الأثرية ونتائجها

أولا: التنقيبات الأثرية في بلاد الرافدين

1. آشور بانيبال
2. التنقيبات في مدينة نينوى
   - أ. مدينة نينوى
   - ب. مكتبة نينوى
   - ج. مواضيع المكتبة

ثانيا: آثار التدوين الحضاري:

1. مملكة ماري
2. مملكة إيبلا
3. رسائل تل العمارنة
4. مملكة دلمون (البحرين)

أولا: التنقيبات الأثرية في بلاد الرافدين:

ارتبط التنقيب عن الآثار في بلاد الرافدين وبقية أقطار المنطقة العربية منذ بداياته الأولى بأطماع الدول الأوربية في الاستحواذ على ثروات المنطقة وموقعها الحيوي، كما ارتبط برغبة تلك الدول في إثراء متاحفها ومجاميعها الفنية بنتاج حضارة بلاد الرافدين والوطن العربي، لهذا فقد كان في بدايته ضررا جسيما أصاب أبرز مواطن الحضارة في المنطقة إذ نقل الكثير من نتاجاتها ورموزها الفنية إلى أمهات متاحف أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية والدولة العثمانية[1].

وقد بدأت ضرورة القيام بعمليات سبر واستكشاف المواقع الأثرية في الوقت نفسه الذي كانت تتقدم فيه الدراسات اللغوية للتعرف على أسرار اللغات القديمة في المنطقة، وحتى أواسط القرن التاسع عشر كان الرحالة الأوروبيون يكتفون بالتعرف على ما يجدونه على سطح الأرض وسفوح التلال من آثار العصور الغابرة ويجمعون ما يمكن جمعه من الأشياء والرقم، وكان الحديث عن تلك التلال يتردد في الغرب منذ رحلة الإسباني "بنيامين الطليطلي" خلال القرن الثاني عشر ثم رحلة النبيل الإيطالي "بترو دلافالي" والفرنسي "تكسييه" خلال القرن السابع عشر، وقد قام هؤلاء المستطلعون الأوائل بوصف المواقع الأثرية والآثار الظاهرة جغرافيا وطبوغرافيا ومعماريا مما مهد السبيل أمام مغامرين آخرين[2].

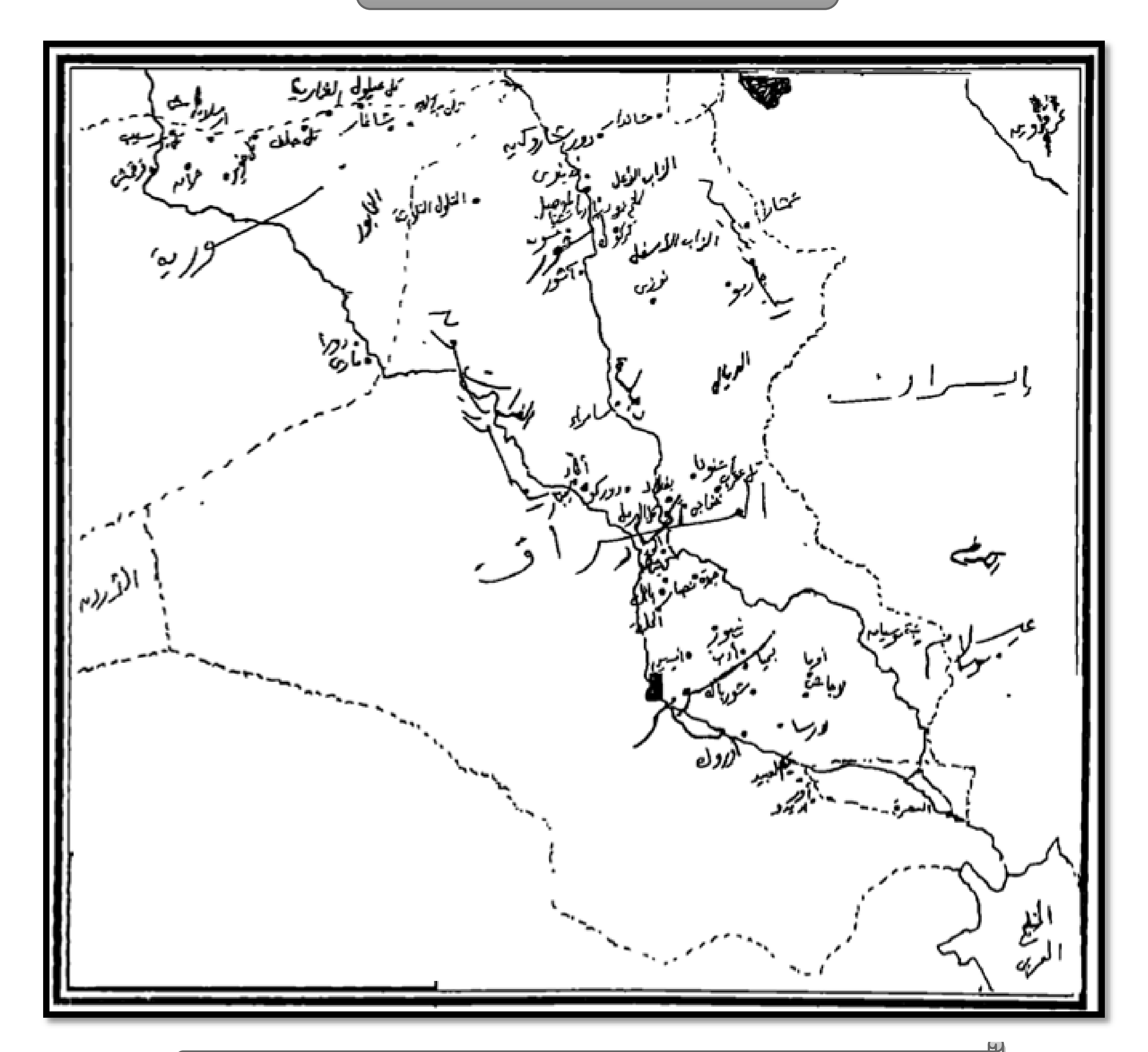
والمعارف المتعلقة ببلاد الرافدين القديمة حديثة نسبيا فحتى أواخر القرن الثامن عشر لم تتجاوز المعلومات عن هذه المنطقة سوى بعض المعطيات القليلة وتمثلت في بعض أسفار العهد القديم وروايات الكتاب الإغريق، وهو تاريخ يغلب عليه الطابع الأسطوري ولم تصل للباحثين سوى بعض الفقرات والتي لا يمكن الاعتماد عليها[3] (ينظر الملحق رقم **13**).

[1]- بهنام أبو صوف، المرجع السابق، ص 62.

[2]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص ص 31، 32.

[3]- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص03.

الملحق رقم 13



خريطة تبين المواقع الأثرية وأهم المدن في بلاد ما بين النهرين القديمة[1]

وكانت بداية التنقيب العالمي في المنطقة منذ أربعينيات القرن التاسع عشر عندما عهد بأعمال التنقيب إلى الدبلوماسيين من القناصل الذين كانوا أفضل المؤهلين للعمل في بلاد بعيدة في ظل أنظمة تمتع السلك الدبلوماسي فيها بنفوذ لا بأس به[2].

---

(1)- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 09.

(2)- أمل ميخائيل بشور، المرجع السابق، ص 45.

وكان أول المبادرين في هذا المجال الإيطالي (بيترو دلافال Pietro Dellavalle) حيث قام بإحضار قطع من الآجر المنقوش من مدينتي بابل وأور ونشر لأول مرة نسخا لنقوش أخرى من مدينة برسبوليس[1] في جنوب غرب إيران وأطلق على هذا النوع من الكتابات اسم "الكتابة الأسفينية"[2].

وقام الباحث الدانمركي نيبور (Nibhur)[3] رغم الصعاب التي واجهته من التعرف على النص المعثور عليه بحيث يتألف من ثلاثة نماذج من الكتابة المسمارية، وأسهلها يحتوي على اثنين وأربعين رمزا أبجديا، ووظف الباحثون خبرتهم في هذا الميدان فاكتشفوا أن الخط مائل في هذه الكتابة ويعني إشارة الفصل بين كلمات النص[4]، ويرجع إليه الفضل في تقديم أول وصف مفصل لموقع "نينوى" على إثر الرحلة العلمية التي قام بها إلى الشرق الأدنى ما بين (1761-1767) وقدم عن هذه الرحلة تقريرا شاملا أثار الاهتمام في الأوساط الأكاديمية وترجمت أعماله من الألمانية إلى عدة لغات[5].

وكان كذلك من أول المبادرين في عمليات التنقيب الأب "جوزيف بوشامب Beauchamb" عام 1789م وهو عالم فلكي قام ببعض السبور في موقع "باب عشتار"[6] ببابل ولخص بمخططه على مدى

---

(1)- **برسبوليس**: هي الموقع الرئيسي لفارس الأخمينية، لم يكن للإغريق معلومات عن هذه العاصمة الملكية حتى غزو الإسكندر الأكبر لها عام 330 ق.م، وقد صمم الملك " داريوس" هذه العاصمة مباشرة بعد توليه الحكم عام 522 ق.م. ينظر: نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، ص 67.

(2)- أحمد أمين سليم، (**دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**...)، ص 215.

(3)- **نيبور**: عالم رياضيات دانمركي ألماني المولد مساح وجغرافي كان له دور فعال في الاكتشاف الحديث وفهم الكتابة المسمارية في بلاد الرافدين، في عام 1761م أرسل وهو في سن الثامنة والعشرين مع بعثة علمية ممولة من طرف الملك الدنمركي، وكان هدفه استكشاف أماكن قديمة من بلاد العرب وبلاد الرافدين وأجزاء أخرى من الشرق الأدنى التي كانت مجهولة إلى غاية تلك الفترة من طرف الأوروبيين. ينظر: Don Nardo And Others, **Encyclopedia of Ancient Mesopotamia,** edit Gale Cengage Learning, USA , 2007, p 205.

(4)- توفيق سليمان، المرجع السابق، ص 25.

(5)- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 32.

(6)- **باب عشتار**: تعد من بين أجمل الأعمال الجدارية التي خلفتها الحضارة البابلية، والبوابة مؤلفة من ممر طويل مزين بالزخارف الآجرية النافرة والملونة بألوان غامقة تتألق تحت أشعة الشمس، وكانت الخلفية زرقاء عليها رسوم حيوانات نافرة متعددة الألوان يغلب عليها اللون الأصفر ومتدرجة في صفوف، وتمثل الرسوم الثور والتنين والأسد والنسر وهي رموز الإلهين "أدد" و"مردوخ" ومهمتهما حراسة البوابة بقواهما السحرية، والبوابة موجودة حاليا بمتحف برلين وهي ترجع إلى القرن السابع ق.م. ينظر: حلا الصابوني وعلي السرميني، **الفن الجداري الآشوري**، مج 25، العدد 01، جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، 2009م، (د.ص).

خمسين سنة أعمال التنقيب، متوخيا تطوره واتساعه وفائدته في المستقبل لزيادة معارفه عن الشرق غير أنه لم يتابع نشاطاته هذه، إلى جانب ذلك قيام المنقب "ر.ميغو R.Miguo" ببعض السبور البسيطة فقط[1].

وقبل ذلك فقد سبق الأب "بوشامب" عالم النبات "ميشو A.Michaud" الذي زار موقع بابل وحمل معه حجرا عليه نص مسماري بابلي هو "حجر ميشو" الذي أسرع الدارسون إلى العناية به وتقديم قراءة له ليس لها الآن أي اعتبار علمي[2].

أما القنصل الإنجليزي في بغداد (رولنسون H.C Rawlinson) فكان في بحث مستمر عن النصوص الفارسية والآشورية في أرض الرافدين وفوق هضبة إيران[3] واستطاع التعرف على الجزء الأكبر من الأبجدية الفارسية المسمارية القديمة التي أصبحت كتابة مجهولة وبالتالي أصبح من الضروري بدء الحفريات في التلال الأثرية نفسها[4]، وكانت بداية أعماله سنة 1835م حيث قام بنسخ نقش طويل للملك الفارسي "داريوس الأول" المنحوت في صخرة عالية عند بهيستون[5] في إيران، ويتضمن هذا النقش رسما للملك ونصا يقع ضمن ثلاثة عشر عمودا دونت بالكتابات المسمارية الثلاث التي كتبت بها نصوص مدينة "برسبوليس"[6].

ونقل خلال عام 1836م العديد من الكتابات الشهيرة ببلاد فارس[7] وقد مكنته هذه الكتابة التي تمثل مادة غنية لأبحاثه من فك رموز لغة أخرى وهي "العيلامية الحديثة" وبلغ عدد الرموز التي فكها بمساعدة

---

[1]- جون كلود مارغرون، المرجع السابق، ص 34.

[2]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 32.

[3]- سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص 63.

[4]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 32.

[5]- **بهيستون**: سميت هذه الصخرة باسم أقرب قرية لمكان وجوده وهي قرية بهيستون (تسمى أحيانا بيسستون Bisistun) التي تقع في منطقة شديدة الإنحدار في سلسلة جبال زاجروس بإيران، وتقع هذه الصخرة في الضفة اليسرى لنهر "ساماس- أب" والنطق الأصلي لهذا الاسم هو "باجيستانا" ويعني مكان الآلهة. ينظر: نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، ص 172.

[6]- أحمد أمين سليم، (**دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**...)، ص 215.

[7]- **الكتابات الفارسية**: في عام 1846م أصدر "رولنسون" مجلدين بعنوان "نقوش بهيستون المسمارية الفارسية" ويحويان الترجمة الكاملة، وفي العام نفسه أصدر الباحث "إدوارد هنكس Edward Hinks" ترجمة منفصلة للنقش. ينظر: غلين دانيال، **موجز تاريخ علم الآثار**، تر: عباس سيد أحمد محمد علي، ط1، دار الفيصل الثقافية، الرياض، 2000م، ص 100.

العالم (لورانس Lawrens) إلى حوالي المائتين[1].

واستطاع "رولنسون تعيين قيمة 246 علامة مسمارية وكشف عن مبدأ تعدد الأصوات أو وجود علامات مسمارية لكل منها عدة قيم أو معان، وتحقق الباحث "هنكس Hincks" من أن بعض العلامات تكون مقاطع مركبة، وكلما تعمق البحث في حل رموز هذه الكتابة وعلاماتها ازداد أمرها تعقيدا بتعدد التوجهات غير المتناسقة في عدد من العواصم الغربية، عندئذ رأت الجمعية العلمية الآسيوية في لندن أن تقترح على العلماء المهتمين بالموضوع أن يحل كل منهم على طريقته الخاصة رموز نص تزيد أسطره عن الثمانمائة ولم يسبق لأحد قراءته من قبل.

وأرسل "رولنسون" من إنجلترا و"هنكس" من أيرلندة وكذا "تالبوت" من اسكتلندة و"أوبرت" من باريس مخطوطاتهم ففتحت عم 1857م، وكانت النتيجة مرضية تماما بعد أن جرت مطابقة ترجمات النص الذي تبين أنه يتحدث عن أعمال الملك الآشوري "تغلات بلاصر الأول" وفتوحاته، وأصبح من المؤكد العثور على مفتاح الكتابة المسمارية التي كان قد توقف استخدامها في القرن الأول الميلادي بعد أن ظلت نظام الكتابة السائدة في بلاد الرافدين والشرق الأدنى مدة ثلاثة آلاف عام[2].

وكان أهم إنجاز علمي في ميدان التنقيب عن خبايا حضارة بلاد الرافدين القديمة هو فك رموز الكتابة المسمارية عن طريق استقراء الكتابة الفارسية المسمارية المستخدمة خلال العصر الأخميني[3] وذلك بفضل جهود علماء اللغات الشرقية في المجامع الأوروبية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر[4]، فابتداء من سنة 1850م أسفرت الحفائر عن نتائج باهرة، فكان بوتا (Paule Emile Botta) المنقب في منطقة خرسباد[5] ولايارد (Austen layard) المنقب في مدينتي نينوى وكالح وهم من بين الأثـــريين

---

[1]- توفيق سليمان، المرجع السابق، ص 26.

[2]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 34.

[3]- **العصر الأخميني**: نسبة إلى الأخمينيين وهي سلالة مالكة فارسية أسسها الملك "قورش الثاني" عام 550 ق.م، وسميوا كذلك نسبة إلى جدهم الأكبر "أخمينيس"، وحدوا القبائل الفارسية وهزموا الميديين، استولى قورش على أجزاء من آسية الصغرى وبابل، واحتل "قمبيز" مصر عام 525 ق.م. ينظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص 52.

[4]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 29.

[5]- **خرسباد**: هو الاسم الثاني لعاصمة الملك "سرجون الثاني" (721-705 ق.م) والمسماة "دور شروكين"، تقع آثارها على بعد

الأوائل الذين وفقوا إلى حد بعيد، بحيث تم الكشف عن كثير من التماثيل والأختام والنقوش[1].

وفي08 أوت 1851م قام "ليون فوتشر M.Léon Faucher" وزير الداخلية باقتراح مشروع على الجمعية العامة يسمح له قانون الحكومة من خلاله إرسال بعثة علمية لاستكشاف المناطق البعيدة في بلاد الرافدين، وقد خصص لهذا المشروع مبلغ 70000 فرنك من أجل توفير مستلزمات البعثة، وفي شهر أكتوبر من نفس السنة انطلقت البعثة المكونة من الباحثين "فولجانس Fresnel Fulgence" القنصل الفرنسي السابق في البصرة، إضافة إلى "فليكس توماس Félix Thomas" صاحب أعلى جائزة تخص فن العمارة الروماني و"جول أوبرت J. Oppert" العالم الألماني الذي منح الجنسية الفرنسية، وقاموا بدءا من عام 1852م بمعاينة موقع "الجمجمة" الأثري[2].

ونتيجة لأعمال المسح[3] والمجسات[4] والتنقيبات في أكثر من 6400 موقع أثري ببلاد الرافدين تقدمت المعارف فيما يخص تاريخها وحضارتها بصورة أفضل، بحيث تتميز كل مرحلة بطابع مميز من ناحية البنية المعمارية، الفخار، الأختام والكتابات[5].

عشرين كيلومترا شمال الموصل وكشف في هذه المدينة عن معبد واسع للإله الآشوري "سيبيتي Sibiti" الذي يرمز له بنجم الثريا. ينظر: عبد الرزاق الحسني، المرجع السابق، ص 76.

(1)- سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص 62.

(2)- H. Cavaniol, **Les Monuments en Chaldée, en Assyrie et a Babylone D'après Les Récentes Découvertes Archéologiques,** Libraires A. Durant et Pedone Lauriel, Paris, 1870, p p 275- 277.

(3)- **المسح الأثري**: هو ارتياد المواقع القديمة التي بقيت آثار الإنسان على سطحها لاختيار موقع الذي يمكن إجراء الحفائر فيه، وغالبا ما تكون هذه الآثار قد تأثرت بالكثير من العوامل المختلفة من مظاهر السطح والخطوط الكنتورية وتغيرات الطقس وتطور الزراعة وتوسع المستوطنات السكانية وما فرضته الأعمال التحصينية لهذه المستوطنات، وليس بالضرورة أن تكون استنباطات الأثريين صائبة لأن هذه المواقع الأثرية تعطي عند الحفر غالبا ظواهر جديدة معقدة أكثر مما تتيحه استقراءات سطح الموقع، ومن هنا فإن المسح الأثري أو بمعنى آخر التحقيقات المبدئية الخاصة بالموقع القديم قبل الحفر فيه لابد أن تكون كاملة وشاملة بحيث يدخل فيها ضرورة فحص هذا الموقع وكل ما يحيط به من ظواهر، وضرورة الوقوف على الأعمال التنقيبية التي أجريت فيه من قبل وكذلك الإحاطة بالظواهر التوثيقية من الناحية الجيولوجية طبيعة التربة ونوع النباتات . ينظر: عاصم محمد رزق، **علم الآثار بين النظرية والتطبيق**، مكتبة مدبولي، (د.م)، (د.ت)، ص ص 93، 94.

(4)- **المجسات**: تستخدم هذه الطريقة إذا كانت الآثار مطمورة ولكن على عمق صغير من السطح ويستعمل في ذلك أداة بشكل قضيب من الصلب قطره نصف بوصة وطوله 40 بوصة ويثبت بإحكام عند نهايته العليا مقبض خشبي متين وسميك بشكل حرف "T". ينظر: فوزي عبد الرحمن الفخراني، **الرائد في فن التنقيب عن الآثار**، ط2، جامعة قار يونس، ليبيا، 1993م، ص 155.

(5)- نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، ص 295.

وقد ساعد كذلك تفسير النصوص الكتابية من خلال الآثار المكتشفة في التعريف بالتاريخ القديم للمنطقة، ورغم ما تمثله هذه الكتابات القديمة من أهمية فقد ساهمت المادة الأثرية بشكل أكثر قيمة في تسليط الضوء على مختلف المراحل والحقب التاريخية التي مرت بها المنطقة، كما ساهمت في تقديم بيانات وافية من حيث التطرق إلى جميع التفاصيل، ومن هنا يتبين أن جملة الجهود المبذولة في التنقيب عن آثار المنطقة وما حققته من نتائج لا تقل أهمية عن تفسير رموز الكتابة المسمارية القديمة[1].

وقد أرسلت الكنوز الأدبية والفنية التي كشفت عنها الحفريات في أرض الرافدين إلى مختلف المتاحف الكبيرة وكان السباق في هذا الميدان "متحف اللوفر" بباريس والذي احتوى مجموعة مميزة تمثل جميع عهود الحضارة البابلية والآشورية، ومتحف لندن ببريطانيا الغني بالوثائق التي تعود إلى العصور المتأخرة من تاريخ بلاد الرافدين إضافة إلى الوثائق لمتوفرة في متحفي القسطنطينية وبغداد[2].

وعن عمليات التنقيب الكبرى فقد تم الكشف عن الحضارة السومرية والأكدية في جنوب بلاد الرافدين منذ أواخر القرن التاسع عشر فعثر الباحث (سارزاك Sarzec) في مدينة لجش عن الكثير من التحف الأثرية مثل: لوح النسور وتمثال الملك "جوديا"[3]، ثم تبع ذلك عملية الكشف عن مدينة "نيبور" و"لارسا"، كما عثر الباحث "صمويل كريمر" على لوح في هذا الموقع وتشير سجلاته إلى وجود عدد من الكتب والتي يبلغ عددها حوالي 62 كتاب، كما عثر على لوح آخر دونت فيه أسماء 68 كتابا آخر (محفوظ في اللوفر) وتتضمن تلك الكتب أو المدونات العديد من القصص الأسطورية مثل: أسطورة

---

(1)- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، 07.

(2)- سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص ص 62، 63.

(3)- **تمثال الملك جوديا**: يعود إلى المرحلة السومرية الأكدية (حوالي 2100 ق.م)، ارتفاعه نحو 24 بوصة وهذا النوع من التماثيل كان شائعا خلال هذه الفترة، إذ يوجد حوالي عشرين تمثالا منسوبا لهذا الملك في وضعيات الجلوس والوقوف، موزعة في متاحف عالمية، وقد نحت التمثال من أصلب أنواع الحجارة البركانية مما جعل النحات يبذل أقصى جهده ومهارته من أجل تنفيذها بهذا الشكل والتمثال في وضعية الوقوف والمواجهة وله غطاء على الرأس، ومن الواضح أن هذه الخصائص انحدرت من التقاليد النحتية من مرحلة "تل أسمر" فالعيون كبيرة وواسعة والحواجب غليظة وذات حواف، قد نفذت بنفس الطريقة ووفقا للتقاليد المعروفة في فن نحت التماثيل الشخصية المتعارف عليها في بلاد الرافدين، فلكتف والذراع الأيمن عاريين والملابس منسدلة عليه رأسيا إلى أسفل من الكتف الأيسر والصدر، وجاء تحديد الملابس الخارجية عبارة عن خط بسيط خال من النتوءات أو التعقيدات النحتية. ينظر: هاشم عبود الموسوي، **موسوعة الحضارات القديمة**، ط1، دار حامد، الأردن، 2013م، ص ص 116، 117.

"جلجامش" وأسطورة "الطوفان" وغير ذلك من الملاحم والأساطير والأناشيد[1].

1. آشور بانيبال Assurbanipal:

هو ملك آشور (668-626 ق.م) ابن الملك "أسرحدون"[2] وخليفته فضل توليته الحكم بدل أخيه "شمش شوم كين"، اسمه الآشوري "آشور بن أبلي" وأطلق الإغريق اسم "سردنابالوس" كان محنكا في أمور الدولة وامتدت سلطته من مصر السفلى إلى منطقة عيلام وغرب آسية الصغرى وبلغت الإمبراطورية في عهده أوج ازدهارها، واقترنت نهاية حكمه بفقدان مصر وتزايد خطر الميديين والسكيثيين من الشمال[3] (ينظر الملحق رقم **14**).

الملحق رقم 14

خريطة توضح إمبراطورية آشور بانيبال في القرن السابع ق.م[4]

---

[1]- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص ص 07، 08.

[2]- **أسرحدون:** من أعظم ملوك آشور ومعنى اسمه "المسرور الرابط" ومرادفه في الفارسية "أذردانة" بمعنى (هبة النار) وهو ابن الملك سنحاريب من زوجته الأرامية "ناكيا"، وحفيد الملك سرجون وخليفة الحاكم "شلمناصر" في السلطة. ينظر: سعد صائب، المرجع السابق، ص 53.

[3]- هنري عبودي، المرجع السابق، ص 103.

[4]- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 198.

ورغم كره أعضاء الحاشية الآشورية لهذا الملك إلا أنه يعتبر الحاكم العظيم الأخير للإمبراطورية، وعندما صار كذلك امتدت حدود إمبراطوريته من الأناضول إلى بلاد الفرس وغربا بعيدا إلى غاية حدود مصر، وقام كذلك باستبدال الزعماء المحليين بقادة آشوريين وأبقاهم في الأراضي التي احتلها ضمن مواقعهم من السلطة، وبعد ثورة مصر ضد القوانين الآشورية أرسل قوات إلى لاستعادة السيطرة عليها وكررت هذه الحالة مرة ثانية بعد مرور خمس سنوات حتى سنة 654 ق.م أين طرد الآشوريون نهائيا من مصر[1].

ومن أهم أعمال هذا الملك هو ضمه لمصر بعد تغلبه على الحاكم "طهرقة" شرق الدلتا، وتشير حوليات الملك "آشور بانيبال" إلى حملاته ضد مصر، سوريا وفلسطين[2]، ويعود سبب اختيار هذا الحاكم لتبوء هذا المنصب رجاحة عقله وتعمقه في شؤون المعرفة والأدب وحبه للفنون وتشجيعه لأصحابها، ويمكن اعتبار عصره أرقى عصور الدولة الآشورية وأنضجها في مختلف مظاهرها[3].

وأجمع المؤرخون على اعتباره أهم ملوك آشور بشكل كلي وقطعي، كونه قد كان عسكريا كفوءا وحاكما مصلحا وعمرانيا عظيما مع أنه لم يكن موجها لاستلام العرش نظرا لأنه قد تلقى ثقافة كهنوتية وأدبية وعلمية، ولابد من الإشارة أن هذا الملك قام بتجميع وتأسيس أضخم مكتبة في التاريخ القديم، وقد كتب على مدوناتها من الألواح الطينية عبارة "ممتلكات آشور بانيبال"[4]، وكانت نشأة هذا الحاكم أدبية علمية إلى جانب كونه محاربا من الطراز الأول وقد تعلم علاوة على ذلك طرق ممارسة السياسة والإدارة[5].

كما جمع هذا الملك بين مظاهر حضارية آشورية وبابلية انعكست في مفهومه للملكية وفي السياسة التي اتبعها، وكان شديد الحرص على صيانة المباني المقدسة في بابل وحفظها من الدمار بترميمها تأكيدا لاحترامه التراث البابلي ومدى تأثره بالأفكار الدينية البابلية، وكانت الملكية في نظره تجسيدا لفكرة الراعي الذي أسند إليه الإله مهمة قيادة البشر وإدارة شؤونهم، فمن واجبه الصراع من أجل إثبات حق الإله

---

[1]-Barbara A. Somevill, Op.cit, p 61.

[2]- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 228.

[3]- إبراهيم رزقانة وآخرون، الرجع السابق، ص 335.

[4]- أمل ميخائيل بشور، المرجع السابق، ص 181.

[5]- أحمد أمين سليم، (**دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**...)، ص 332.

"آشور" في هذا العالم ومحاربة قوى الشر تماما كما فعل "مردوخ"[1].

كما أنه خلال عام 626 ق.م شهدت الإمبراطورية الآشورية ارتقاءً كبيرا للفن لم يعرفه أي شعب من شعوب الشرق القديم، فخلال فترته عرفت الثقافة أزهى فترتها وعم الرخاء في جميع الأرجاء كما قام بتطهير الإمبراطورية بشكل كامل[2].

ومن أهم مميزات عهده أنه شهد ثورات عديدة من ناحية الجنوب في حين أن سورية كانت في حالة حرب وكان العيلاميون على استعداد لمواجهة الملك "آشور بانيبال" الغاضب والذي قام بتخريب "بابل" والاستيلاء على مدينة "سوزا" عاصمة الملك العيلامي والذي توفي بعد مدة وجيزة من خسارته، وتمكن كذلك هذا الحاكم من الاستحواذ على سورية وفينيقيا[4] (ينظر الملحق رقم **15**).

الملحق رقم 15



جدارية تمثل انتصار آشور بانيبال على العيلاميين[3]

---

[1]- محمود أمهز، المرجع السابق، ص 284.

[2]- Robert William Rogers, **Cuneiform Parallels to the Old Testament,** New York, 1912, p 353.

[3]- Barbara A. Somevill, op.cit, p 59.

[4]- Pierre Miquel, **L'Antiquité**: **L'orient de l'Égypte à Alexandre le Grand,** édit Fernand Nathan, France, 1983, p p 78, 79.

2. التنقيبات في مدينة نينوى:

أ. مدينة نينوى:

عاصمة الآشوريين وهي اليوم عبارة عن خرائب تتكون أطلالها من تلين رئيسيين: "تل قوينجق" في الشمال الغربي ويحتوي على مجموعة من القصور الملكية والمعابد و"تل النبي يونس" في الجنوب الشرقي، وقد كشفت أعمال التنقيب في "تل قوينجق" عن ثكنات موغلة في القدم تعود إلى عصور ما قبل التاريخ وسلسلة من أدلة الفخار التي تربط هذا الموقع بمواضع أخرى في بلاد الرافدين وسورية، وكانت نينوى عاصمة الملك "شمشي أدد"[(1)] صاحب الرسائل المعثور عليها في "ماري" ومعظمها مؤرخ في مدينة نينوى[(2)].

ويفصل بين هذين الرئيسيين نهر الخوصر، فتل "قوينجق" اسم لقرية ومعناها "الحمل الصغير" لأنه خلال فصل الربيع فهذه القرية بمنازلها المصنوعة من الطوب تظهر من بعيد في شكل حمل أبيض نائم في البراري، أما تل "النبي يونس" فسمي كذلك نسبة إلى هذا النبي الذي يوجد ضريحه بالمنطقة وهذين التلين محاطين بصفوف طويلة من الأراضي التي هي في الأصل عبارة عن بقايا الأسوار القديمة للمدينة، وحسب اتجاه هذه الجدران فيكون شكلها بالتالي مثلث[(3)].

وتولت هذه العاصمة زمام الأمور في منطقة الشرق الأدنى لمدة قرن من الزمن، وهي مدينة محصنة تحيط بها أسوار سميكة طولها حوالي 5 كم وعرضها في حدود 2 كم تتخللها 15 بوابة معلمية كما احتوت على قصور مذهلة[(4)]، وإذا أخذنا بعين الاعتبار قول المؤرخين فأسوارها قد حددت على ارتفاع 100 قدم ويتراوح محيطها ما بين 15 إلى 20 قدم، كما يرى البعض أنها تحتوي على 115 برج ارتفاع الواحد منها يفوق 200 قدم، ويخترقها نهر الدجلة عبر محطات مختلفة ونظرا لمتانة أسوارها فهذا الأمر جعلها غير قابلة

---

(1)- **شمشي أدد**: ملك آشور ما بين (1814-1782 ق.م) اغتال "يهدون- ليم" ملك مدينة ماري وعين مكانه ابنه "يمسح- أدو"، ويعتبر أول مؤسس للسلالة الآشورية العمورية. ينظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص 537.

(2)- نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، ص 404.

(3)- J. Walther, Op.cit, p 16.

(4)- Dominique Vallaud, **Nouveau Dictionnaire D'Histoire Universelle,** Librairie Arthéme Fayard, France, 2010, p 477.

للاختراق[1].

وقد أعد المؤرخون مدينة "نينوى" المشهورة عبر التاريخ العاصمة الثالثة والأخيرة للدولة الآشورية، وتقوم معالمها أساسا على الضفة اليسرى لنهر الدجلة مقابل مدينة الموصل حاليا، كانت هذه المدينة قوة صغيرة خلال الألف الرابع ق.م وبعد مجيء الآشوريين أصبحت مركزا للإمبراطورية في حدود عام 1080 ق.م حيث شيد فيها معبد للإلهة "عشتار"، وتوسعت خلال فترة حكم الملك "سنحاريب" إذ بنيت فيها القصور والمعابد وكذا الأسوار، الخنادق والقلاع التي شيدت بدافع التحصين[2] واستمرت هذه المدينة إلى غاية فترة زوال حكم الآشوريين[3] في حدود عام 612 ق.م[4].

وازدادت أهمية هذه المدينة من الوجهة السياسية بعد القرن الثامن ق.م حيث جعلها "سنحاريب" عاصمة آشورية ورفعها إلى مقام مركز الملك[5]، كما ذكر كاتب "سفر يونان" بأنها مدينة عظيمة في قوله: «قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها التي أنا مكلمك بها، فقام يونان وذهب إلى نينوى بحسب قول الرب، أما نينوى فكانت مدينة عظيمة لله مسيرة ثلاثة أيام»[6].

---

(1)- Jean Augustin Bost, **Dictionnaire de la Bible ou Concordance Raisonnée des Saints Ecritures,** Librairie Protestante, Paris, 1849, p p 884, 885.

(2)- **إنجازات سنحاريب**: في أحد النصوص الشهيرة يلوم "سنحاريب" أسلافه لإهمالهم أمور صيانة المدينة ثم يضيف شرحا مطولا للجهود التي بذلها لإصلاح "نينوى"، وتبرز عظمة إنجازه من خلال المنطقة الواسعة من المدينة التي تظهر آثارها من روابي الضفة الغربية لمدينة الموصل، تشكل أسوارها شبه مستطيل وعلى الجهة المقابلة للنهر تظهر هضبة قديمة تم تعديل شكلها وحجمها لبناء بدائل للقصور والمعابد، وخارج أسوار المدينة امتدت البساتين المغروسة بالأشجار النادرة المنقولة من مناطق بعيدة تابعة للإمبراطورية ينظر: سيتون لويد، المرجع السابق، ص 263.

(3)- **سقوط نينوى**: ما ميز هذه الفترة أن الملوك الآشوريين بقوا دون ردة فعل مباشرة على الأحداث الواقعة، وأن ورثة الملك "آشور بانيبال" تقاسموا السلطة، ففي الجنوب أصبح "نبوبلاصر" ملكا على بابل والذي شكل جيشا قويا للسيطرة على الشمال، لكن الآشوريين كانوا في مواجهة خطر أكثر شراسة وهو غزو قبائل السكيث والميديين لحدودهم الشمالية، فاحتلوا عام 615 ق.م إقليم "أرابا" وعام 614 ق.م آشور ليكون عام 612 ق.م دور نينوى التي غزاها الفرس والميديين بمعية البابليين، وفي حين أن الملك المصري "نخاو" كان يسترد المدن الفلسطينية والفينيقية فقد الآشوريون قوتهم بصفة نهائية. ينظر: Pierre Miquel, Op.Cit, p 79.

(4)- عبد الرزاق الحسني، (**العراق قديما وحديثا**)، ص ص 76، 77.

(5)- سهيل قاشا، **نينوى بين العظمة والرماد**، مجلة العدالة، العدد 2782، 2013م، ص 01.

(6)- سفر يونان (03: 01-03).

وورد اسم "نينوى" ضمن الوثائق المسمارية التي وجدت ألواحها في "كولتيب" في "كبدوكية[1] القديمة والتي ترجع إلى الألف الثانية ق.م، وكانت مركزا لعبادة "عشتار" ويؤيد ذلك وثيقة أخرى ترجع إلى زمن الملك "شمشي أدد" وتذكر أن معبد "عشتار" قد بناه "ماينشتوسو" (2295- 2281 ق.م) ابن "سرجون الأكدي"، وقد جذب انتباه الأثريين الأوائل معلم النبي "يونس" عليه السلام والتقاليد التي تدور حوله، وجاء بعد ذلك "جون كارتريت John Cartaright" خلال القرن السابع عشر وأعلن أنه في ذلك الموقع كانت تقوم مدينة "نينوى" القديمة[2].

وأول رحالة يعود له الفضل في القيام بأولى عمليات التنقيب جدية هو الباحث "م.ريتش M.Rich"[3] الذي استحوذ لسنوات عديدة على منصب مقيم سياسي لشركة الهند ببغداد، وتعد كشوفاته أولى القطع المحفوظة في المتحف البريطاني وخصصت له خزانة (طولها متر و32 سم) ليجمع فيها مخلفات الحضارة الآشورية القديمة[4].

وفيما يخص عمليات التنقيب فقد نشر في هذا الإطار أكثر من مليوني نص مسماري باللغتين السومرية والأكدية بعد اكتشاف كل من الباحثين "لايارد" و"جورج سميث" لمكتبة الملك "آشور بانيبال" التي تضم الآلاف من الألواح[5]، واستطاع "لايارد" خلال حملته الأولى إلى موقع "نمرود" أن يجد الوقت الكافي لمتابعة مشاريع المنقب "بوتا" في "تل قوينجق"، وعثر عام 1847م على خرائب جدران ثبت أنه قصر الملك "سنحاريب" وفي عام 1849م أصيب بخيبة أمل بعد العثور على أدلة تبين تخريبه بعد حرق "نينوى" عام 612 ق.م، وبالرغم من هذه الأضرار قام "لايارد" بمعاينة الغرف الإحدى والسبعين والتي

---

(1)- **كبدوكية**: منطقة في آسية الصغرى على نهر الهاليس الأعلى، شمالي قليقلة كانت عاصمتها "مازاقا" التي دعيت فيما بعد "قيصرية" واسمها الحالي "قيصري"، والمنطقة تقع غربي الفرات الأعلى. ينظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص ص 709، 710.

(2)- منيس عبد النور وآخرون، **دائرة المعارف الكتابية**، مج 08، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 2001م، ص 125.

(3)- **ريتش**: 1726- 1821م عالم لغات التحق بشركة الهند الشرقية عين في منصب الممثل البريطاني المقيم في المناطق العربية الخاضعة للدولة العثمانية، أمضى أوقات فراغه في زيارة المواقع الأثرية بوادي الرافدين وفي جمع التحف والمخطوطات، أجرى مسحا لمدينة بابل عام 1811م ونشر عما بعدها مذكرات عن خرائبها ثم ألحقها بمذكرات ثانية عام 1818م. ينظر: غلين دانيال، المرجع السابق، ص ص 91، 92.

(4)- Société des Livres religieux, **Ninive la Grande Ville Retrouvée au XIX siècle,** Toulouse, 1854, p 14.

(5)- أمل ميخائيل بشور، المرجع السابق، ص 52.

احتوت حوالي ألفي لوح حجري منحوت، كما عثر في غرفتين صغيرتين على كميات كبيرة من الألواح المكتوبة وتتضمن قسما من مكتبة الملك "سنحاريب" التي كانت مخزنا ضخما للمعارف، وقام كذلك بمعاينة القسم الخالي من "تل النبي يونس" حيث عثر على نقوش تضم أسماء للملوك "حدد نيراري" و"سنحاريب" و"أسرحدون" لكن سكان المنطقة قاموا بإيقاف حفرياته بشكل نهائي عام 1851م ليتحمل مساعده "هورموزد رسام"[1] مسؤولية متابعة عمليات التنقيب الأثري[2].

وقد تحدث "لايارد" في كتابه "نينوى وآثارها" عن بعض أعماله التنقيبية في الجهة الشمالية الغربية التي لم تتعرض للتخريب حيث يقول: «... يمكن اعتبار الجهة الشمالية- الغربية الأكثر أهمية بين جميع البقايا الأثرية، وكانت الموقع الأساسي الذي أدير منه أبحاثي وقد أقنعت نفسي أنها تحتوي على أقدم المباني المكتشفة في بلاد آشور، وهي لم تتعرض للحرق مثل باقي المنشآت، فالمنحوتات والرسوم الجدارية والكتابات قد حفظت بشكل جيد ومناسب، وبعد المعاينة التي كانت بعد عيد الفصح اكتشفت ثماني غرف وهي تضم منافذ صغيرة ومداخل ضيقة ولم يكن لدي مشكل في اكتشاف غرف وممرات جديدة فغرفة واحدة كانت تؤدي إلى باقي الغرف، وعند انتهاء شهر أفريل كنت قد عاينت واكتشفت تقريبا جميع المباني وقمت بفتح 28 غرفة مطلية بطبقات من الجبس الأبيض، وضمت منحوتات هامة وحتى الجزء الرئيسي من المبنى يشبه الذي عثر عليه في الجهة الشمالية، وكانت الغرفتين اللتان يرمز لهما بالرمزين (B) و(G) الأكثر أهمية وقيمة حيث احتوتا على رسوم جدارية تمثلت في انجازات الملوك الحربية وحملات الصيد، الانتصارات وكذا الاحتفالات والمراسيم الدينية ... »[3] (ينظر الملحق رقم **16**).

---

[1]- **حفائر هورموزد رسام:** كان يتبع في حفره أسلوب التنقيب الواسع السريع في عدد من المواقع في آن واحد حيث كان يضع في كل موقع مجموعة من العمال تعمل لحسابه وتجمع له الآثار المكتشفة وهو ينتقل بينها وقد يغيب أشهرا ثم يعود لالتقاط بعض الملاحظات وتسلم الآثار وإرسالها إلى المتحف البريطاني الذي كان يعمل لحسابه، وكانت طريقة عمله هذه فاتحة لظاهرة التنقيبات الغير مشروعة والنبش العشوائي التي عمت البلاد ولسنوات عديدة لاحقة بتشجيع من وكلاء المتاحف الأوربية وهواة جمع التحف في الخارج. ينظر: بهنام أبو صوف، المرجع السابق، ص ص 28، 29.

[2]- سيتون لويد، المرجع السابق، ص ص 272- 276.

[3]- Austen Henry Layard, **Nineveh and its Remains,** Vol 2, edit Gorgias Press, USA, 2001, p 04.

الملحق رقم 16



نينوى، الجهة الشمالية الغربية نحت الملك آشور بانيبال (العربة الحربية الآشورية) (1)

وضمن هذا الإطار احتوى القصر الملكي في "نينوى" وبالخصوص الغرفة التي تحمل الرقم (33) على رسومات جدارية هامة والتي كانت تندرج ضمن أعمال الترميم التي قام بها الملك "آشور بانيبال" في حدود عام 650 ق.م (ترميم قصر سنحاريب)، كما أعاد هذا الملك بناء ما يعرف ب "تاج قصر الأمير bit riduti" والذي يعرف كذلك بالقصر الشمالي، وكانت الحجرة الملكية التي تؤدي إلى خارج القصر قد خطت بمجموعة من رسوم النحت النافر منها مشهد موكب مطاردة الأسود (الغرف A,R)، الأسود الأليفة (الغرفة E)، الأسود المتعقبة من طرف الملك (الغرفة C)، الأسود والغزلان والخيول البرية (الغرفة S)، والعديد من هذه الرسوم الجدارية قد سقطت إلى بعض الممرات من الطابق العلوي، وإلى جانب هذه

(1)- John Malcom Russel, **The Writing on the Wall Studies in the Architectural Context of Late Assyrian Palace Inscriptios**, edit, Eisenbrauns, USA, 1999, p 171.

الرسومات هناك مشاهد واضحة لحملات الصيد وجلسات غداء في الحديقة لأفراد الأسرة الملكية[1].

وفي الأساس فإن الألواح المعاينة في "نينوى" قد عثر عليها ضمن أربعة مباني في الموقع الشمالي الغربي والموقع الشمالي ناحية منطقة الإلهة "عشتار" ومنطقة معبد الإله "نبو"، وقد كانت الألواح المعثور عليها في الجهة الشمالية الغربية هي التي تمثل المكتبة لكن الألواح التي عثر عليها في الناحية الغربية اعتبرت أيضا من مخلفات هذه المكتبة [2].

وفي عام 1852م بادرت الحكومة الفرنسية باتخاذ إجراءات للقيام بأبحاث جديدة في آشور، وقد كلفت "فيكتور بلاس Victor Place" قنصل الموصل لمواصلة أعمال المنقب "بوتا"، وفي المقابل قام الإنجليز بتعيين "رسام" بمواصلة الحفريات وكان هذا الأخير المساعد الأول للمنقب "لايارد" وهذا ما يجعله أكبر المخولين لمواصلة أعماله، وبذلك فقد تواجدت كل من فرنسا وإنجلترا معا في موقع "نينوى"، وفي هذا الحين كان الباحث "رولنسون" الذي طالما أنار الباحثين الإنجليز ببحوثه يتفاوض مع "بلاس" من أجل اقتسام تلي "نينوى (قوينجق والنبي يونس) الذين كانا قد خضعا لاستكشاف "لايارد" و"بوتا"، وقد وضعت حدود فاصلة بينهما ومنحت الجهة الشمالية لفرنسا، وكان "بلاس" مترددا حول هذا الاقتراح، فقرر مواصلة حفرياته في "خرسباد" لضمان نجاحه دون مخاطرة، وقد تخلى عن "قوينجق" لصالح "خرسباد" لهذا واصل الإنجليز تنقيباتهم في الجزء الشمالي من "تل قوينجق" والذي عثروا فيه على قصر جديد تبين أنه قصر الملك "آشور بانيبال" الغني بنماذج عديدة لفن النحت الآشوري[3].

وباعتبار أن "بلاس" قد كان مهندسا معماريا فقد ساعده اختصاصه هذا على إعداد مخطط كامل لتفاصيل قصر "سرجون" الواسع في "خرسباد" بزاقورته وقاعاته الفخمة، واستطاع "بوتا" و"بلاس" من نشر مكتشفاتهما بسرعة بفضل الدعم الحكومي الذي تلقياه، فكان مطبوعا ضخما احتوى الكثير من الرسم والصور والشروحات، كما عكس جهد المنقب والفنان والمهندس المعماري معا، وكان استقبال هذا الكتاب منقطع النظير في فرنسا وخارجها لكثرة ما ضم من شواهد، وهذا ما أكسب "اللوفر" أجمل مقتنياته من

---

(1)– John Malkom Russel, op.cit, p p 154- 156.

(2)– Jeanette C. Fincke, **The Babylonian Text of Niniveh report on the British Museum's Ashurbanipal Library Project,** Heidelberg, 2003, p 114.

(3)– M. Joachim Menant, **Ninive et Babylone,** Librairie Hachette, Paris, 1888, p p 30, 31.

نفائس النحت الآشوري كما ربحت المكتبة الفرنسية أغنى مطبوعاتها وفقدت قصور "نينوى" و"خرسباد" أثمن ما كان يزين جدرانها من روائع الفن الإنساني القديم(1).

وخلال مواصلة الحفريات في "خرسباد" من طرف "بلاس" قام الأثري "جول أوبرت Jules Oppert" بمعاينة الموقع وقد وصفه على النحو الآتي: « هو قصر عظيم تم بناءه بمحاذاة العاصمة نينوى في حدود 710 ق.م من طرف الملك سرجون وهو في وجهته وموقعه قرب نينوى بالتقريب كقصر فرساي الذي بناه لويس الرابع عشر بالنسبة لباريس»، وقد شمل استكشافه كذلك المواقع التي نقب فيها "لايارد" وهي "نينوى" و"كالح" وهنا التقى "أوبرت" لأول مرة بالباحث "رولنسون"(2).

وخلال عام 1853م قام "رسام" بعد بحوث طويلة وغير مجدية بمواصلة الحفريات لكن في الجهة الشمالية لنينوى وقد عثر على جزء كبير من البناية وهي أقل تضررا من باقي المخلفات، وبعد ذلك قام الباحث "M. Loftus"(3) بالكشف عن بقايا بناية أقل ارتفاعا بحوالي 20 قدم (6 أو 7 أمتار) عن القصر الذي كشف عنه "رسام" والذي ينم عن شرفة هي أقل ارتفاعا من نفس البناية، إذن فتل "قوينجق" يضم قصرين: الأول ويقع في الجهة الجنوبية الغربية وقد كشف عنه "لايارد" والثاني يقع في الجهة الشمالية وقد اكتشفه كل من "رسام" و"M. Loftus"(4).

وخلال عام 1927م تحول المنقب "كامبل طومبسون" بعد عمله القصير في مدينة "أور" و"أريدو" إلى العمل في قلب العاصمة الآشورية "نينوى"، والتحق به عام 1931م الآثاري الانجليزي "ماكس

---

(1)- بهنام أبو صوف، المرجع السابق، ص 66.

(2)- Brigette Lion et Cécile Michel, **Jules Oppert et le Syllabaire Akkadien,** Colloque Histoire de Déchiffrement, France, 2007, p 84.

(3)- **Loftus**: اسمه الكامل "Loftus William .K" جيولوجي إنجليزي أصبح مبكرا رائد علم الآشوريات عندما نقب في مدينة "أوروك"، ومثل العديد من المثقفين الأوروبيين المعاصرين له أراد هذا الباحث من خلال تنقيباته ومعثوراته من المصنوعات اليدوية أن يؤكد أصالة البيانات التي نسبت إلى المنطقة من خلال التوراة، وقد بحث عن المدينة المسماة "Erech" في مضمونها وقد كشف عن أسوار المدينة الدفاعية التي كانت في حالة سليمة وحدد ارتفاعها ب 50 قدم، كما نقب فيما بعد ضمن خرائب مدينة "لارسا" وكشف عن معبد الإله "شمش" ونشر بحوثه ورحلاته عن منطقتي سوزا وكلديا سنة 1857 عاما قبل موته. ينظر:
Don Nardo And Others, Op.cit, p 169.

(4)- H.L. Feer, **Les Ruines de Ninive ou Descriptions des Palais Détruits des Bords du Tigre,** Société des écoles de Dimanche, Paris, 1864, p p 45, 46.

مالوان"[1]، وقد كان الغرض من مواصلة التنقيب في "تل قوينجق" الكشف عن المزيد من التفاصيل في بقايا المباني الآشورية التي أغفلها كل من "بوتا" و"لايارد" في حفرياتهم السريعة بحثا عن المنحوتات وقطع الفن الآشوري البارزة[2].

وكانت هذه المدينة (نينوى) مجهولة حتى أواخر القرن الثامن عشر ميلادي حيث تم الكشف عن جدران قصر الملك "سنحاريب" الذي احتوى أكثر من ألفي نقش وحوالي ثماني غرف من بينها مكتبة "آشور بانيبال"، وتتابعت عمليات الكشوف الأثرية في "تل قوينجق" أين تم العثور على معبد مخصص لعبادة الإله "نبو" ومعبد للإلهة "عشتار"[3] وقصر آشوري يعود إلى القرن السابع ق.م، ووجدت تحت الطبقة الآشورية خمس طبقات تعود إلى بداية العصور التاريخية، عثر فيها على آنية فخارية مطلية وأسطوانات تعود إلى الألف الرابع ق.م، كما عثر في تل النبي يونس على قصر آشوري يرقى على الأرجح إلى عهد "أسرحدون"[4]، كما قام الملك "آشور بانيبال" بترميم قصر جده أين يظهر فيه الفن الآشوري برونقه[5]، وتعد المكتبة المحتواة في القصر مصدر رئيسي لمعرفة فترة حكم هذا الملك ليس ذلك وحسب بـــل

---

(1)- **ماكس مالوان:** عالم آثار إنجليزي تقدمت بفضله الدراسات الحديثة بشكل ملحوظ في بلاد الرافدين والمناطق المجاورة لها، تلقى "مالوان" تعليما كلاسيكيا في جامعة أكسفورد ومباشرة بعد ذلك بدأت خدمته البارزة ما بين (1925- 1931م) كمساعد للباحث العظيم "تشارلز ليونارد وولي" الرائد في التنقيب عن مدينة "أور"، وقد توجه للعمل في العديد من المواقع المجهولة في بلاد الرافدين ثم استمر عمله في الموقع الآشوري الشهير "نمرود". ينظر: Don Nardo And Others, Op.cit p 172.

(2)- بهنام أبو صوف، المرجع السابق ، ص 73.

(3)- **عشتار:** من بين أسماء الإلهة عشتار كذلك اسم "نينوى" والمكتوبة بالرموز المسمارية على شكل سمكة داخل إطار، لكن لا علاقة لهذا الاسم بالكلمة العبرية "نون" التي تعني بدورها السمكة والأرجح أنه من أصل عبراني. ينظر: منيس عبد النور وآخرون، (**دائرة المعارف**...)، مج08، ص ص 122، 123.

(4)- هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص ص 875، 876.

(5)- **الفن الآشوري:** من بين ما احتواه القصر مشاهد للصيد الذي لا يعتبر مجرد رياضة نبيلة وإنما كأفضل وسيلة للتدرب على فنون الحرب، ويعد الملك "آشور ناصربال" أول ملك آشوري يظهر ضمن النقوش وهو يصطاد الأسود والثيران وبحوزته عربة وقوس، ويظهر في هذا النقش البارز الملك وبرفقته سائق العربة الحربية ومجموعة من الجنود، وقد مثلت هذه المشاهد بطريقة بارزة حيث يظهر الملك بملامح رياضية جد متميزة. ينظر: André Parrot, **Assur,** édit Gallimard, France,1969, p 54.

معرفة جذور الحضارة الآشورية بأكملها[1].

وفيما يخص أعمال هذا الملك وترميمه قصر جده فيقول: «إن بيت ريدوتي Bit- riduti هو قصر نينوى المدينة المحبوبة لعشتار التي قام سين- حا- ريبا Sin- Akhi- erib والد أبي بتوسيعها ليجعلها مكان إقامته، وبيت ريدوتي هذا أصبح قديما وغرفه صارت هشة لذا أنا آشور بانيبال الملك الكبير، الملك القوي، ملك الأمم، ملك بلاد آشور، ملك الجهات الأربع، أعدت ترميم بيت ريدوتي، آشور، سين، بين، بيل، نبو وعشتار نينوى...نرجال ونوسكو قد وضعوني على عرش أبي الذي كونني...وقد سمعت وأنصت إلى نظام الآلهة الكبرى...وأتممت الرسوم والنقوش...وأقمت الشرفات وأقمت المذابح للاحتفال أمام معابد الآلهة الكبرى أسيادي...ولم أقم بتغيير الرسوم والمنحوتات» [2].

وحسب التنقيبات الأثرية فإن أقدم الطبقات السكنية المكتشفة في "نينوى" ترقى إلى عصور ما قبل التاريخ في الألفين الخامس والرابع ق.م، وعثر في هذا الموقع على آثار ترجع لعصر فجر السلالات والعصر الأكدي وعصر سلالة أور الثالثة، وبرزت هذه المدينة بشكل كبير منذ عهد الملك "تجلات بلاصر الأول"[3] وبلغت أوج ازدهارها خلال عهد الإمبراطورية الآشورية الثانية [4].

وعن تسمية "نينوى" فقد ذكرت في نصوص العهد الآشوري الوسيط مقطعيا: "ني- نو- أ" وفي بعض الأحيان بصيغة "ني- نا- أ" وكتب الاسم بالمقاطع نفسها خلال العهد الآشوري الحديث فضلا عن كتابته بالسومرية "ننا" القديمة (تل سرغل حاليا) التي كانت جزءا من مدينة "لجش" أم من حيث المساحة فكانت أكبر من "كالح" بمرتين و"دور شروكين" بثلاث مرات و"آشور" بتسع مرات[5].

---

(1)- Paul Gaffarel, **Histoire ancienne des peuples de L'Orient jusqu'au premier siècle avant notre ère,** édit Alphonse Lemerre, Paris, (s.d), p 180.

(2)- M. Joachim Menant, **Annales des Rois d'Assyrie,** édit Maisonneuve, Paris, 1874, p 276.

(3)- **تجلات بلاصر الأول**: ملك آشور ما بين (1117-1077 ق.م)، ابن "آشور ريش إيشي" وخليفته، فرض الجزية على العديد من الملوك غربي الفرات وفي منطقة بحيرة "فان". ينظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص 267.

(4)- حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص ص 613، 614.

(5)- نائل حنون، المرجع السابق، ص ص 183، 184.

وقد أطلق الإغريق ومن بعدهم الرومان على نينوى اسم "نينوس"، وهي العاصمة الشهيرة للإمبراطورية الآشورية وقد ذكرها العديد من المؤرخين مثل: سترابون، هيرودوت، ديودور الصقلي وتاسيتوس الذين حددوا موقعها في الضفة الشرقية لنهر الدجلة وتعد مركزا أساسيا للحكم والثروة ومقر رئيسي للنشاط التجاري[1] والتي سميت باسم مؤسسها "نينوس"[2] (نمرود) الذي قام خلال 17 سنة بضم المنطقة الواقعة مابين البحر الأبيض المتوسط والهند، وبعد عودته شرع ببناء مدينة "نينوى" وكانت أسوارها بارتفاع يفوق 33 مترا مدعمة بأبراج أطول منها بمرتين، وزوجته هي الملكة "سميراميس"[3] التي شاركته الحكم والتي أسست مدينة "بابل" وأنشأت بها معالم راقية[4]، كما اعتبر هذا الحاكم كأول ملك آشوري يغزو بابل وبلاد الميديين والعديد من المناطق الأخرى[5].

ومن بين تلك المعالم التي احتلت مساحة واسعة في حيز إنجازات هذه الملكة بناء الأسوار وكذلك الحصون المرفقة بالملاجئ السرية، القنوات المائية، مجموعة من المدرجات التي أقيمت في المرتفعات، وبعض القنوات الاصطناعية لتحويل مجرى مياه الأنهار، والأحواض لاحتواء مياه البحيرات، وكذلك الجسور[6].

---

(1)- Jean Augustin Bost, Op.cit, p p 884, 885.

(2)- **نينوس**: أول ملك آشوري وابن "بيلوس" احتل هذا الملك العديد من المناطق من مصر إلى حدود الهند، وبعد العودة من حملاته تفرغ لإنشاء عاصمته الشهيرة "نينوى"، وهو زوج الملكة "سميراميس" وبعد حكمه مدة 52 عام ترك زمام السلطة لزوجته في حدود 2164 ق.م، لكن يبقى تاريخ حكم هذا الملك غامضا وغير مؤكد كليا. ينظر: L.G.Peignot, **Dictionnaire Historique et Bibliographique Abrégé des personnages illustres, célèbres ou fameux,** Vol 03, édit Ménard et Desenne, Paris, 1821, p 30.

(3)- **سميراميس**: يكتنف مولد سميراميس ملكة آشور الغموض والإبهام، وتقول الخرافات أنها ولدت في مدينة عسقلان وأن أمها ربة من الربات وقد هجرتها في الصحراء عند مولدها فأطعمها الحمام، وبعد مرور عام وجدها راع عند محل صخري فتبناها وأطلق عليها هذا الاسم (وهو بمعنى محبوبة الحمام)، وقامت هذه الملكة بتخليد اسمها بجملة من الآثار الثمينة التي تفوق شهرتها شهرة زوجها نينوس، فزينت مدينة بابل وأقامت أساس البرج، ومن بين الأعمال التي نسبت إليها بناء الأبراج، القلاع والأسوار ومعبد "بيلوس" وحفرة البحيرة لسحب مياه الفرات كما بنت قنوات هامة ووصلت بين مدن مختلفة. ينظر: ليديا هويت فارمر، **أشهر ملكات التاريخ (يتضمن سير أشهر الملكات اللاتي عرفهن التاريخ منذ ألفي سنة قبل الميلاد حتى الآن)**، إدارة الهلال، مصر، 1930م، ص ص 8- 10.

(4)- Paul Gaffarel, Op.cit, p 168.

(5)- Diodorus the Sicilian, **The Historical Library,** trad: G. Booth, vol 01, London, 1814, p 99.

(6)- Strabon, **La Géographie de Strabon,** livre XVI, trad: Amédée, Hachette, Paris, 1880, p

ب. مكتبة نينوى (La Bibliothéque de Ninive):

عثر عليها في أنقاض قصر الملك "آشور بانيبال" واحتوت الآلاف من الألواح الطينية[1] المدونة بمختلف النواحي المعرفية والعديد من السجلات والوثائق التاريخية وهي تلقي الضوء على حضارة بلاد الرافدين وتاريخها، والظاهر أن هذا الملك قد جمع مختلف هذه المعارف من مدن متعددة إلى جانب نسخه عن الأصول القديمة[2]، وكان مولعا بالدراسة والمطالعة ويبرز اهتمامه بهذا المجال من خلال توجيهه مجموعة من الأوامر للموظفين المسؤولين عن تسيير دوائر الدولة للبحث عن الألواح المخزنة في المعابد، وضم هذا الأثر الموسوعي نصوصا ملحمية مثل: الطوفان، أسطورة الخلق وملحمة جلجامش إضافة إلى الأعمال الأدبية المتنوعة ونصوصا متعددة عن التنبؤات والترانيم وسلسلة من المعاجم، كتابات، مراسيم ملكية، مراسلات رسمية وشخصية ومؤلفات علمية، إلى جانب الوثائق المالية والعقود القانونية (عقود استثمار، محاضر البيع والشراء، عقود خاصة بأصحاب المهن)[3].

أما عن كيفية جمع هذا العدد الهائل من طرف هذا الملك فيذكر أنه كان يبعث بكتبة البلاط الآشوري إلى كل أنحاء البلاد بغرض جمعها كما أنه جند عددا كبيرا من الكتبة لاستنساخ وترجمة النصوص القديمة بالإضافة إلى مراسلته لأتباعه في بلاد بابل بخصوص جمع الرقم الطينية[4].

وقد ضمت المكتبة التي ألحقها الملك "آشور بانيبال" بقصره ما يزيد عن 20000 من الألواح التي جمعت من مختلف المناطق واحتوت تسجيلاتها العديد من المواضيع المتعلقة بشؤون الدين والدولة، دونت بعضها بالكتابة السومرية والتي كان قد انتهى التعامل بها منذ بداية العصر البابلي القديم حتى فترة حكم

(1)- **ألواح المكتبة:** هي ذات أحجام متفاوتة ومنها المسطحة والمحدبة، ويختلف لون الألواح من الأسود القاتم إلى الأحمر الخفيف، أما الطين الذي اتخذت منه الألواح فيظهر أنه أختير بعناية كونه نظف مما يشوبه من الرمل و الذرات الخشنة، ولم تقتصر العناية على اختيار مادة الألواح فحسب بل شملت طبخها أيضا، وليس بين مجاميع الألواح التي عثر عليها في أي موطن آخر ما يماثل هذه الألواح في حسن هيئتها وجودة طبخها. ينظر: كوركيس عواد، المرجع السابق، ص 51.

(2)- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 244.

(3)- أمل ميخائيل بشور، المرجع السابق، ص ص 52، 53.

(4)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، **ج2**، ص 269.

هذا الملك، وحقق هذا الكشف الأثري الباحث "هورمز رسام"[1] وذلك عام 1854[2].

والسبب المباشر وراء الأعداد الكبيرة المعثور عليها من مجاميع الألواح الطينية ضمن هذه المكتبة الملكية هو شغف هذا الملك بالعلوم ويؤكد ذلك في أحد نصوصه بالصيغة التالية: «استقيت المعارف الخاصة بالكتبة وحدقت آيات السماء والأرض...ودرست ظواهر السماء، وتمكنت من أن أحل قضايا صعبة في القسمة والضرب وأتقنت فن الكتابة السومرية والكتابة الأكدية الصعبة جدا وكنت أحب أن أقرأ الأحجار والنصاب المكتوبة من أزمان ما قبل الطوفان...»[3]، ويضيف قائلا: « الإله مردوخ الحكيم بين الآلهة منحني المعرفة اليقينية والذكاء، والإله نبو كاتب الكون أهداني ملكة تعليم الحكمة...»[4]، ويضيف في صيغة أخرى: «وأضفى عليّ كل من نينورتا ونيركال شخصية الرجل وقوة منقطعة النظير، لقد أحطت بتنبؤات أدابا الحكيم كما اطلعت على كنز فن الكتابة المحجوب في بيوتات السماء والأرض...» [5].

وبعد المعاينة تمكن المنقبون من تصنيف معثورات هذه المكتبة والتي قسمت إلى جزئين: الأول ويضم "الأرشيف الوثائقي" والذي يضم الرسائل الملكية والنصوص الإدارية أما القسم الثاني فيشمل "الوثائق المكتبية" التي تضم بدورها النصوص الأدبية (الأساطير والحكايات) وكذلك النصوص المعرفية والعلمية بالإضافة إلى النصوص الدينية (الآلهة والسحر)، ومعظم محتوى هذه الألواح منقول عن السومريين الأوائل والبابليين والتي جمعت ووضعت في نينوى بطلب من الملك الآشوري[6].

---

(1)- **إنجاز هورمز رسام:** أعظم إنجاز حققه هورمز هو الكشف عن قصر "آشور بانيبال" ومكتبته التي احتوت على حوالي عشرين ألف لوح آجري، وقد ذاعت شهرته بعد نشره لكتابين الأول بعنوان "عروش وقصور بابل ونينوى" أما الثاني فهو بعنوان "آشور وأرض نمرود" وطبعا في نيويورك عام 1897م، وانتخب عضوا في الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية وجمعية الأركيولوجيا البريطانية ومعهد الملكة فيكتوريا، كما نال جائزة الأكاديمية الملكية في ايطاليا، ولم يقتصر عمل رسام على كالح ونينوى بل تعداه إلى موقع بابل وتل إبراهيم وأبو حبة وسيبار، وعثر على رقم طينية تعد تكملة لملحمة "جلجامش". ينظر: نوري بطرس، **دور الكلدان في التنقيب عن الآثار العراقية**، العدد 35، مجلة بيث عنكاوا، جمعية الثقافة الكلدانية، العراق، 2008م، ص 03.

(2)- محمد عبد الطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 08.

(3)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، **ج1**، ص 270.

(4)- Dominique Charpin, **Lire et écrire en Mésopotamie une affaire des spécialistes,** Académie des inscriptions et belles lettres, Paris, 2004, p 485; محمود أمهز، المرجع السابق، ص 248.

(5)- مورتكات أنطون، **تاريخ الشرق الأدنى القديم**، تع: توفيق سليمان، (د.د)، (د.م)، (د.ت)، ص 320.

(6)- Georges Roux, **Ancient Iraq,** Penguin Books, Iran, 2000, p 355.

وقد تم تصنيف مقتنيات المكتبة على النحو الآتي: 40% منها هي مواضيع خاصة بالترانيم والتعاويذ الدينية، و27% تخص نصوص العرافة، أما الجداول الخاصة بالمناطق (الجداول الجغرافية) فهي تستحوذ على نسبة 15%، أما حصة النصوص الطبية أو الوصفات فهي 7%، وهذه المقتنيات هي بالضبط ما تصرح به تعاليق الألواح الكتابية المعثور عليها في تل قوينجق[1].

ومن بين ما تم تصنيفه كذلك من بين معثورات هذه المكتبة النصوص الخاصة بطرد الشياطين أو ما يصطلح عليه اسم "آسيبوتو" 18 لوحة وكسرة واحدة، ونصوص فلكية للتنبؤ (اينوما آنو أنليل) عددها 107 لوحة و6 كسرات، النصوص الخاصة بعلاج الكهانة وتعدادها 10 ألواح و10 كسرات، وكذا النصوص المقترنة بالتنبؤ الأرضي (الأحداث المستقبلية) فعددها 79 لوحة، الوصفات الطبية وهي ممثلة بـ 6 لوحات و24 كسرة، النصوص المتعلقة بالعرافة عن طريق تفسير الأحلام وعددها 22 لوحة، أما نصوص العرافة باستعمال الأحشاء فكان نصيبها 135 كسرة[2].

وفيما يخص نصيب عدد النصوص البابلية المحتواة ضمن المكتبة الملكية فهو يضم 746 نص خاص بالآلهة و585 نص ديني، ويمكن إضافة 81 نص طبي و56 نص لغوي إلى حصيلة النصوص المعثور عليها، وكذلك 27 نص تاريخي و17 نص ملحمي و 60 نصا لم يتم تصنيفه بعد[3].

وتم العثور في هذه المكتبة على مجموعات من الفخار وعليها كتابات آشورية وتضم فهرسا عاما وضخما مرتب حسب شكل الألواح فكانت ترتب وفقا لموضوعاتها ومضمنة ببطاقة تبين محتوياتها مع وجود ملخص وجيز عن موضوع كل لوحة طينية ويطلق عليها اسم "التصنيف الملكي" واحتوى كل لوح على عنوان السلسلة التي يأتي ضمنها، وصنفت هذه الألواح منطقيا حسب مواضيعها: التاريخ، العلوم الطبيعية، القانون، السحر، العقائد والأساطير[4].

---

(1)– Jakhson Koning and others, **Ancient Libraries,** Cambridge University press, 2013, p 46.

(2)– Simo Parpola, **Assyrian Library Records,** Journal of Near Eastern Studies, Vol 42, University of Chicago Press, 2010, p 06.

(3)– Jeanette C. Fincke, Op.cit, p 130.

(4)– خالد أبو دية، المرجع السابق، ص 02.

كما عثر في هذه المكتبة على عدد من الألواح الجدارية[1] التي كانت تزين القصر وكانت هذه الألواح بمثابة مسودات للمنحوتات والكتابات والتي تسمى " نسخ شطيط Nistu Sa Titi" أي النسخ الطينية، وقد توخى الكتبة منها وضع العلامات والنصوص بدقة في مكانها المناسب على الألواح الحجرية وفقا للنماذج المخطط لها سلفا ضمن المشهد المصور بالنحت البارز[2] فلا تتجاوز المساحات المخصصة لها وكان من شأن ذلك أيضا منع الكاتب من الوقوع في الخطأ أثناء عملية النقر[3].

والرقم التي اكتشفت في هذه المكتبة الملكية تبين بحد ذاتها كيفية انجاز هذه المبادرة، فمن خلال هذه الرقم أصبح واضحا عدد الكتبة الكبير والمجندين بأمر ملكي لنسخ النصوص القديمة، وتبين من خلال دراسة الألواح أنه تم نقل مكتبة خاصة بأكملها من مدينة "كالح" إلى نينوى، وقد أشرف الملك "آشور بانيبال" بنفسه على النسخ حيث يقول في إحدى رسائله إلى أحد المسؤولين في بابل: «ابحثوا عن الرقم القيمة التي لا يوجد منها نسخ في بلاد آشور وأرسلوها إليّ، لقد كتبت الآن إلى رئيس الهيكل ومحافظ المدينة في بورسيبا عنك وعليك الآن يا شادان أن تحفظ الرقم في مقرك بحيث لا يتجرأ أحد على أن يسرق منها شيئا وحيثما تجد أي رقم أو أي نص شعائري يمكن أن يناسب قصري فخذه وأرسله إلى هنا»[4]، وكذلك ذكر في نص آخر ما يأتي: «...كتبت هذا الرقيم في مجلس المتخصصين استنادا إلى كلمات الرقم وألواح الكتابة التي

---

[1]- **الألواح الجدارية**: تشمل ثلاث منحوتات جدارية من قصر "آشور بانيبال" مشاهد لكتبة، يظهر في إحداها كاتبان يسجلان الغنائم أحدهما إلى اليمين يحمل لوح مفصليا من الخشب أو العاج المغطى بالشمع بيده اليسرى وحاملا القلم باليمنى، أما الآخر فيحمل قرطاسا من الجلد أو ورق البردي يتدلى للأسفل، والملاحظ أن لباسهما يتكون من رداء قصير ينتهي عند الركبتين وربما كان خاصا بكتبة الجيش لاختلافه عن الأردية الطويلة التي يتميز بها كاتب القصر، أما اللوحة الثانية فتمثل كاتبان إلى جانب شجرة نخيل وكلاهما يحملان لوحين مفصليين، وبخصوص اللوحة الثالثة فتظهر كاتبين يحملان نفس أدوات الكتابة إلا أنهما يرتديان زيا طويلا، ويقوم الكاتبان بإحصاء عدد القتلى المتمردين مع أسلحتهم من الأقواس والكنانة. ينظر: عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص ص 134، 135.

[2]- **النحت الآشوري البارز**: إن النحات الآشوري كان يفهم فن الحذف أفضل من سابقيه وإن كل خط كان يحفره هو تعبير تصويري مليء بشيء من المعنى التعبدي أو الفكر الديني، وقد ظهر ذلك في المصنوعات العاجية (الأمشاط والعلب العاجية المزينة على نطاق واسع برسوم حررت بمهارة وإتقان)، وكذلك الزهريات المزينة والجرار المرمرية، وقد تطور الفن الآشوري تطورا واضحا في البناء والرسوم الجدارية الرائعة التي زينت القصور الملكية التي استعملت فيها أربعة ألوان وهي الأبيض والأسود والأحمر والأزرق، أما المواضيع التصويرية فقد شكلت على سطوح لوحات مصنوعة وأطرت بأشرطة زخرفية بحيث تبدو أشبه بحشوة معمارية. ينظر: عبد الله الخطيب، **عن الفن العراقي القديم**، العدد 522، مجلة المدى الثقافي، (د.م)، 2005م، ص 01.

[3]- عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 83.

[4]- ألكسندر ستيبتشفيتش، المرجع السابق، ص 23.

ترقى أصولها إلى بلاد آشور وبلاد سومر وأكد، لقد دققتها وقابلتها ووضعتها داخل قصري لمطالعاتي الملكية وكل من يمحو اسمي ويكتب اسمه عسى نبو كاتب الكون يمحو اسمه»[1].

وحسب المعطيات الأثرية والتاريخية فإن هذه المكتبة الضخمة قد أنشأها الجد الأكبر للملك "آشور بانيبال" المسمى "سرجون الثاني" وقد بلغت هذه المكتبة أوجها في عهد هذا الملك والذي يعود له الفضل في "تبويب" النسخ المستقاة من كافة محفوظات المدن والمعابد، وقد نقش هذا الحاكم اسمه على هذه الألواح وقام كذلك بتنظيمها وفحصها وترتيبها في قصره، وغالبا ما تمتد هذه النصوص ضمن سلاسل كاملة من الألواح تبلغ المئات أحيانا[2].

وكثير من المؤلفات في مختلف فروع المعرفة قد نقلت من الخزائن البابلية، وقد عني علماء بلاطه باستنساخ هذه الكتب باللغة الآشورية وأرفقوها بملاحظات وصفية وتاريخية إيضاحية واحتفظ بالنسخ في القصر أما الأصول المنقول عنها فقد أعيدت إلى الأماكن التي استعيرت منها، واشتملت هذه الخزانة على بضعة آلاف من الكتب وكان كل كتاب يتألف من ألواح متعددة بهيئة معلومة وهامش مضبوط بالإضافة إلى التذييلات والتصحيحات[3].

وخلال السنوات العشرين الأولى من حكمه كان أخوه "شمش أوكين" ملكا على بابل فثار ضده عام 648 ق.م وانتصر عليه وهذا ما أعطاه إمكانية الولوج إلى كل أرشيفات المعابد والمكتبات الملكية، وعن المعلومات التي وردت حول طريقة تجميعه للألواح فقد كتب إلى وكلائه في بلاد بابل للبحث عن الألواح المفيدة لمكتبته الملكية ، واثنتين منها موجهة إلى "سدفينو Sadfinu" حاكم مدينة "بورسيبا"[4].

كما قام هذا الملك بتقوية نفوذه وذلك بتطوير عاصمته "نينوى" وأمر بجمع كل ما يتعلق بموروث إمبراطوريته الواسعة والممتدة من الخليج الفارسي حتى البحر الأبيض المتوسط، وكانت المعارف والعلوم من

---

(1)– عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 100.

(2)– سفندال، **تاريخ الكتاب منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر**، تر: محمد صلاح الدين حلمي، المؤسسة القومية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985م، ص 11.

(3)– كوركيس عواد، المرجع السابق، ص 50.

(4)– Jeanette C. Fincke, Op.cit, p 123.

بين أولوياته الخاصة حيث ألزم كتبته بمعرفة اللغة السومرية والبابلية من أجل تسهيل عملية نقل النصوص وكان اهتمامه الخاص منصبا على النصوص الدينية، وقد فتحت هذه المكتبة للطلبة الذين تم توظيف العديد منهم ككتبة للملك من أجل فهرسة وتنظيم مكتبته الخاصة[1].

ويبدو أن هذه المكتبة كان يمكن أن تخدم دائرة واسعة من المتعلمين، وبالدرجة الأولى أولئك الذين يدخلون القصر الملكي، فوجود المعاجم اللغوية المتعددة وكتب القواعد وما شابه ذلك من الكتب (الألواح) يدل في ذاته على كثرة تداولها، إلا أن ذلك لا يمكن أن يقودنا إلى أن هذه المكتبة كانت مكتبة عامة بالمفهوم الشائع في وقتنا الحالي وبعبارة أخرى لم يكن في وسع أي شخص أن يستفيد مما هو متوفر فيها[2].

وقد أعد الكثير من المؤرخين تأسيس هذه المكتبة الملكية من أهم المنجزات الحضارية في تاريخ المكتبات على غرار المكتبات التي أنشأت في بلاد الرافدين خلال العصور القديمة وهذا بالرغم من المواد المستعملة في الكتابة وطريقة حفظ وصيانة الكتب التي تتميز بالبدائية إذا ما تمت مقارنتها بالمكتبات الحديثة، إلا أنها كانت سجلا للعلوم والمعارف والإشعاع الحضاري في المنطقة وما جاورها في الكثير من الإنجازات[3].

وبخصوص إعادة تجميع هذه المكتبة فيعود الفضل في ذلك إلى الباحث "جورج سميث" الذي قام بإعادة تركيب الكسرات المتبعثرة التي عثر عليها "لايارد" ضمن حفرياته، ولم يكتفي بذلك بل قام بتنسيقها مع باقي الأجزاء المعثور عليها في الغرف المجاورة لقصر الملك "سنحاريب"، وتضم هذه الرقم في مضمونها كتب الآشوريين وهي في الأصل مخزون المكتبة الرئيسي ومن بين الصعوبات التي واجهته هي صعوبة قراءته لهذه الكتب وتفسير محتواها كونها مكتوبة بالخط المسماري المعقد[4].

---

(1)- Michael H. Harris, **History of libraries in the Western World,** Scarecrow press, U.S.A, 1999, p 19.

(2)- ألكسندر ستيبتشفيتش، المرجع السابق، ص 24.

(3)- سفندال، المرجع السابق، ص 11.

(4)- M. Joachim Menant, **La Bibliothéque du Palais de Ninive,** Librairie de la société Asiatique, Paris, 1880, p p 17, 18.

واتضحت أهمية أعمال هذا المنقب في استعادته لأجزاء هامة خاصة بملحمة الطوفان وهي من بين الغنائم الخاصة بحفريات الباحث "رسام"[1]، كما كتب "جورج سميث" في أوقات فراغه (يعني بعد التفرغ من العمل الميداني) أول كتاب مفصل عن التاريخ الآشوري للملك "آشور بانيبال" وقام بتشكيل قائمة للعلاقات، وفي عام 1872م أثار اكتشافه لقصة الطوفان اهتماما بالغا وضجة مطالبة باستئناف الحفريات في نينوى، وفي عام 1873م عثر على لوح مدون كتب عليه 17 سطرا من قصة الطوفان[2]، وضمن هذا الإطار يقول: "خلال عام 1872م كنت سعيد الحظ للتوصل إلى اكتشاف مثير وهو يضم الألواح التي تحتوي قصة الطوفان الكلدية فالجزء الأول الذي اكتشفته فهو يحوي نصف الرواية وكان الجزء الوحيد الأكبر لهذه الأساطير، وبعد هذا بدأت البحث بين أجزاء المكتبة الآشورية لإيجاد بقية القصة"[3].

وقد عثر كل من الباحث "أ.و.بودج E.A.W Budge" (1882- 1891م) ثم "ل.و.كنج L.W King" (1903- 1905م) على نقوش مكملة لقصة الطوفان التي عثر عليها قبل ذلك الباحث "جورج سميث" في قصر "آشور بانيبال" ومعبد الإله "نبو"، وفي عام 1927م استأنف الباحث "ر.كامبل تومبسون R.Cambell Tompson" العمل بطريقة منظمة[4]، فكشف عن معبد الإلهة "عشتار" وقصر الملك "آشور ناصربال الثاني" على تل قوينجق، ثم قام المنقب "مالوان Malliuan" مابين عامي (1931- 1932م) بالحفر حتى وصل إلى الطبقات[5] التي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ، ومنذ عام

(1)- سيتون لويد، المرجع السابق، ص 276.

(2)- حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص 340.

(3)- George Smith, **Assyrian Discoveries An Account of Explorations and Discoveries on the Site of Nineveh During 1873 and 1874,** Cambridge University Press, 1875, p 13.

(4)- **الحفر الأثري المنظم**: إن الحفر الأثري الحديث المنظم يبدأ من سطح الأرض وصولا إلى التربة البكر بخطوات تدريجية، تتناول كل الآثار الكبيرة والصغيرة وكل ما له علاقة مباشرة وغير مباشرة بها (الهياكل والزخرفة)، يبدأ الحفر خلالها بإزالة الطبقة العليا من التربة التي جمعتها العوامل الطبيعية على مر العصور ويختلف سمكها من المناطق الجافة إلى الرطبة، وبعد إزالة هذه التربة يستمر الحفر شاقوليا إلى عمق المعول المعدني (حوالي القدم الواحد) وعند ذلك يأخذ الحفر اتجاها أفقيا، ثم تستخرج الآثار من الأنقاض المتجمعة في هذه البقعة المحفورة ويجب ضبط مكان المواد المعثور عليها وتسجيل المعلومات الضرورية وتصويرها، وهكذا يستمر الحفر إلى غاية طبقتين أو ثلاث طبقات إلى غاية بلوغ القاع الصخري حيث يتوقف ظهور الآثار. ينظر: تقي الدباغ، **مقدمة في علم الآثار**، دار الجاحظ، العراق، 1981م، ص ص 121، 122.

(5)- **الحفر بنظام الطبقات**: وهو من الحفائر العلمية الصحيحة ويتم وفقا لنظام الطبقات في الأرض الأثرية لأن الاستيطان البشري تظهر

1966م قامت مصلحة الآثار العراقية بإعادة فتح قصر الملك "سنحاريب" وكشف مناطق بوابتي "نرجل وشماش"، وعند توسيع الطرق في تل النبي يونس عثر على تماثيل مصرية يعتقد أن الملك "آشور بانيبال" قد جاء بها بعد غزوه لمدينة "منف" وحملتيه على مصر[1].

وبخصوص ألواح هذه المكتبة فهي ترجع في أصلها إلى خزانتين كانتا في "نينوى"، الأولى وهي خزانة الملك "آشور بانيبال" والثانية هي خزانة معبد الإله "نبو"[2] ومن الواضح أنهما ضمتا إلى بعضهما وجمعتا في قصر هذا الملك، ويستدل من بعض الكتابات الآشورية أن ألواح هذه الخزانة في مرحلة نشؤها كانت منظمة وفق فهارس منسقة ومما يجدر الإشارة إليه في هذه المكتبة أن الفهارس، التوقيعات على ألواحها وختم المكتبة واسم صاحبها كانت من بين جملة المعثورات الأثرية، فبينما باقي الخزائن الأخرى سوءا أكانت حكومية أو تابعة للمعابد فهي تخلو من هذه المواصفات والمعايير[3].

وقد ساهمت عمليات التنقيب الأثري في معرفة الأساليب المتبعة في الترتيب والفهرسة الخاصة بهذه المكتبة التي كان يطلق عليها تسمية "جيرجيناكي" بمعنى "الخوابي الطينية" أي المكان المخصص لحفظ الألواح الطينية، وكانت هذه المكتبة الضخمة تسير تحت إشراف مسؤولين يطلق عليهم "رجال الرقم المكتوبة" ويقابله المصطلح الحديث "أمناء المكتبات أو المكتبيين"، وتذكر الوثائق أن من أشهر هؤلاء شخص يدعى "أميل- آنو Amile- Anu " وهو بابلي الأصل، ويحفظ حاليا الجزء الأكبر من مقتنيات هذه المكتبة القديمة في متحف "لندن"[4].

آثاره في التربة على شكل طبقات متعددة تضم كثيرا من الظواهر الأثرية، وعلى عالم الآثار الذي يعمل في حقل التنقيب أن تكون لديه قدرة علمية فائقة على فهم الطبقات المختلفة التي يشملها موقع حفائره بألوانها المتباينة ومكوناتها المتميزة، وعليه كذلك الوصول إلى الأرض البكر والعناية بالتسجيل وتقديم التفاسير والاستنباطات. ينظر: عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص ص 88- 90.

[1]- منيس عبد النور وآخرون، (**دائرة المعارف الكتابية**)، مج08، ص 125.

[2]- **مكتبة "نبو"**: لا توجد هناك الكثير من المعلومات عن التاريخ الأولي لهذه المكتبة التي أقيمت في نينوى، فهناك القليل من الشك في أن تكون قد ظهرت خلال فترة حكم الملك "سرجون الثاني" ويرجح أنها قد بنيت خلال فترة استقرار كهنة الإله "نبو" في كالح. ينظر:
British Museum, **The Babylonian Story of the Deluge and the Epic of Gilgamish with an Account of the Royal Libraries of Niniveh,** University of Toronto, 1920, p06.

[3]- كوركيس عواد، المرجع السابق، ص ص 53، 54.

[4]- نفسه، ص 53.

وساهم الكتبة الذين كانوا يعملون تحت متابعة المسؤولين المتعلمين في القصر الملكي والمصححون والمصنفون والعمال الذين كانوا يشوون بعناية الرقم الطينية وأولئك الذين كانوا يرتبون الرقم على الرفوف بالإضافة إلى الكثيرين وحسب خطة الملك "آشور بانيبال" في إنشاء أكبر مكتبة في الشرق القديم، وفي الواقع كانت هذه المكتبة هي النموذج الأول للمكتبة كما هو الحال مع مكتبة الإسكندرية(1) خلال العصر الهيليني التي أخذت أرقى شكل لها(2).

وانكب علماء الغرب على نصوص ألواح هذه المكتبة فراجعوا الكثير منها ونشروه بنصه الأصلي وقاموا بنقله إلى العديد من اللغات بعناية فائقة، ويعد المستشرق الألماني "بتسولد" (المتوفى عام 1913م) من بين المهتمين بوصف كل ما يتعلق بهذه الخزانة ومحتوياتها، أصناف ألواحها، موادها، قياساتها، وغير ذلك من الإفادات وقد قام بوضع رسالة قائمة بذاتها في هذا الموضوع(3).

أما بخصوص الأرشيفات الملكية لمدينة "نينوى" والتي كانت تجمع في مضمونها الوثائق الخاصة بقصر الملك "سنحاريب" والملك "آشور بانيبال" فقد كانت مهمة ترجمتها صعبة بالنسبة للأثريين، فاختلاط وثائق الأرشيف الخاص بالقصر مع وثائق المكتبة بحد ذاتها عرقلة مهمة الباحثين في معرفة جهود الرافديين القدامى في تصنيف هذين النوعين من الوثائق، ومع غياب النتائج الدقيقة للتنقيبات فهذا الأمر جعل من المستحيل استخلاص النتائج القيمة منها(4).

ومن بين الجهود التي وظفت ضمن هذا الإطار "**مشروع مكتبة آشور بانيبال**" الذي بدأ فيه الدكتور "علي يزن Ali.Yaseen" من جامعة الموصل الذي وصف المشروع لمجموعة المتحف البريطاني

---

(1)- **مكتبة الإسكندرية**: بدأت فكرة المكتبة والتخطيط لها على يد بطليموس الأول وريث الإسكندر الأكبر، وقد جمع حوله نخبة من رجال الأدب والفلسفة والفنون الذين استقدمهم من بلاد الإغريق، ومن هؤلاء صديقه الفيلسوف دمتريوس الفاليري الذي اقترح على بطليموس إنشاء مجمع علمي تلحق به مكتبة كبيرة وسمي هذا المجمع "الموسيون Mouseion" ومعناها "معبد ربات الفنون والعلوم اللاتي يوحين للشاعر والكاتب والمفكر، فعين لتنفيذها وصار مديرا على المجمع ومكتبته وسخرت له الأموال لشراء الكتب واستقدام العلماء. ينظر: السيد السيد نشار، **تاريخ الكتب والمكتبات في مصر القديمة**، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 1999م، ص 102.

(2)- ألكسندر ستيبتشفيتش، المرجع السابق، ص 23.

(3)- نائل حنون، المرجع السابق، ص 125.

(4)- Mardine Hardy, **Les Archives de la Civilisation Mésopotamienne,** Université de Montréal, 2009, p p 03, 04.

وقد وضح أن جامعة الموصل لها نية لتأسيس معهد جديد للدراسات المسمارية وبشكل محدد لدراسة مكتبة "آشور بانيبال" أي بناية مصممة خصيصا لتحتوي قوالب الألواح وإرفاقها بوسائل الحاسوب (التقنيات) ومكتبة، وقد تساءل الدكتور ما إذا كان المتحف البريطاني قادرا على تجهيز القوالب وفي المقابل وعد المتحف الدكتور أنه سيبذل كامل جهده من أجل التعاون، وهذا ما أكده "جون كيرتيس John Curtis" مراقب الشرق الأدنى القديم ضمن مقابلة مع وزير التعليم العالي والبحث العلمي الدكتور "حمام عبدول خليك" وتلتها فيما بعد مقابلة صحفية لتغطية هذا الموضوع.

وبالإضافة إلى الموافقة على تجهيز قوالب الألواح للمكتبة فقد قرر المتحف إعادة تقديرها وكمرحلة أولى لهذه العملية جعل التطبيق لأصدقاء المتحف البريطاني لمدة ستة أشهر ولهذا الغرض عين مسؤول في هذا الموقع للفترة الممتدة ما بين 10 مارس إلى غاية سبتمبر 2003، وفي المتحف البريطاني فقد أشرف على العمل مجموعة من الأمناء وهم: "كريستوفر ب.إف Cristopher.B.F" و"والكرWalker" و"أرفينج إل. فنكل Irving L. Finkel"[(1)].

ج. مواضيع المكتبة:

شملت مكتبة الملك "آشور بانيبال" مجموعة من الغرف المحتواة داخل قصره ومن الواضح أنه قد صنفها ضمن هذه الحجرات تبعا لمواضيعها، وعلى سبيل المثال فقد صنف الألواح التي تعنى بالتاريخ والسلطة، القوانين التي تنظم العلاقات، سيرة القادة وقوائم الملوك في نفس الغرفة التي توجد بها أيضا معلومات عن المناطق المجاورة، نسخ عن الرسائل الملكية المرسلة بين سفراء المناطق المختلفة وكذلك تصنيف قادة الجيش، وهناك تقسيم آخر للمكتبة يخص علم الجغرافيا ويضم النصوص التي تختص بوصف المناطق والأقاليم، الأنهار والجبال وجداول تضم أسماء المنتوجات المسوقة والمتوفرة حسب المناطق، بالإضافة إلى ذلك وجود تقسيم واحد يتعلق بالقوانين والأحكام الشرعية وأخرى تضم العقود التجارية، فواتير البيع وجداول خاصة بالتسعيرات فضلا عن مجموعة وثائق تمثل التشريفات الخاصة بالنبلاء[(2)].

---

(1)- Jeanette C.Fincke, Op.cit, p 112.

(2)- Michael H. Harris, Op.cit, p 20.

كما عثر في غرفة أخرى على ألواح تعنى بالمواضيع الملحمية وهي تضم الجوانب الدينية في بلاد آشور، مجاميع خاصة بأسطورة الطوفان، جداول بأسماء الآلهة، مجموعة من العقود والنصوص المكملة لها، الهبات المقدمة على شرف الآلهة وكذلك التراتيل والصلوات، أما عن التقسيمات الأخرى الخاصة بالمكتبة فقد ضمت الأعمال المنجزة في ميدان العلوم وما شابهها كالفلك، علم الأحياء، الرياضيات، الطب والمعارف الطبيعية، وفي المجموع العام احتوت المكتبة على حوالي 10000 لوح شمل مختلف الإنجازات من مجموع 30000 لوحة تضمها المكتبة[1].

1) أسطورة "أدابا":

وجدت أجزاء هذه الحكاية في خراب مكتبة الملك "آشور بانيبال" والنسخة الكاملة قد عثر عليها في مصر ومكتوبة على لوح أكدي، يذكر فيها "أدابا" على أنه بطل شعبي من بلاد الرافدين والذي تشبه مآثره الملك "جلجامش"، ومن المحتمل أن يكون منشأ قصته مأخوذة عن الفلكلور السومري، وأن قصته قد نقلت إلى البابليين وشعوب بلاد الرافدين الأخرى، وكان هذا الشخص محترما لفترة طويلة من الزمن باعتباره أحد رجال المنطقة الأسطوريين ومن بين الحكماء السبعة[2]، وعرف أيضا بقدراته على التطهير (طرد الشياطين) مثله مثل "جلجامش" وكان هو نفسه باحثا عن الخلود[3].

وهو ابن "إيا" ملك مدينة "أريدو" السومرية الذي أعتبر أول الحكماء لكنه لم يكن خالدا، وأضفت عليه الأساطير الكلدانية صفات أخرى منها اكتشاف الكلام[4] وتبدأ أسطورة "أدابا" بوصفه بعدة صفات منها "الزعيم بين الناس" و"الماهر العاقل جدا" و"المعصوم الطاهر اليدين" الذي يمد كل يوم مدينة أريدو بالطعام والشراب، وبينما كان يصطاد في الخليج الفارسي هبت عاصفة حطمت سفينته فلعن هذه الريح

---

(1)– Michael H. Harris, Op.cit, p 20.

(2)– **الحكماء السبعة:** ضمن أساطير بلاد الرافدين القديمة أرسل سبعة حكماء إلى الأرض من طرف الإله "إيا" ليعلموا الفنون والحرف وسمات أخرى من الحضارة للبشر، الأكثر شهرة من "المستشارين Apkallu" السبعة يدعى أدابا Adapa ومن الآلهة الستة الأخرى: Uandugga, Enmeduga, Enmegalanna, Enmebuluga, Anenlilda, Utuabzu. ينظر:

Don Nardo and Others, Op.cit, p 256.

(3)– Ibid, p 18.

(4)– آرثر كورتل، **قاموس أساطير العالم**، تر: سهى الطريحي، دار نينوى، دمشق، 2010م، ص 17.

الجنوبية فكسر جناحيها[1] وقد استدعي المتهم إلى السماء وخاطبه الإله "إيا" بعدم أكل أي طعام في السماء واستقبله الإله "تموز" وقد أخبره "أدبا" بحزنه عليه في الأرض واستحسن تموز ذلك ونظرا لصراحته فقد عفى عنه أيضا الإله "آنو" الذي منحه ماء وغذاء الخلود[2] لكن "أدابا" رفض هذا الأمر وفقد الفرصة في الحصول على الخلود لنفسه وللجنس البشري لذلك يعود إلى الأرض حيث يظل الإنسان ضحية العلل والأمراض[3].

2) المسائل الفلكية:

عندما أصبح "آشور بانيبال" ملكا على آشور أضاف إلى مكتبته الملكية في "نينوى" عددا هائلا من الألواح التي تمثل سلاسل من الوثائق ذات الصلة بعلم الفلك الخاص بالعصر البابلي القديم الذي بدوره الذي نقل وهو مرفوق بمجموعة من الإضافات عن السومريين، ومن بين هذه السلاسل المذكورة بشكل عام ما أطلق عليه اسم "يوم بيل"، وعلى مر العصور يرجح أن تكون هذه النصوص قد دونت خلال حكم الملك "سرجون الأول" ملك أكد مع كتابة الأعمال القديمة التي تعد دليلا لهم وذلك بالاستعانة بالعرافين لمعرفة الأحداث المستقبلية الهامة والمتعلقة بالإمبراطورية الآشورية، ولهذا فقد بدأت طريقة رفع التقارير الدورية وبفضلها يكون الملك على اطلاع تام بكل الأحداث الواقعة في الأرض، ونظرا لأهمية نتائج الدراسات الفلكية في معرفة الأحداث المستقبلية فقد حظي العرافون بمكانة رفيعة كما كانت مهنتهم متوارثة، وتحت سلطة رئيس العرافين مجموعة ترفع تقاريرها إلى الملك في مناسبات عديدة مثل: "ريمانو- شوما- آشور" و"نبو- موشيسي" و"عشتار- شوما- ايريتش" (K.5470)، وكذلك "ريمانو- شوما- آشور" و"مردوخ- شكين شومي" (1197- 1087)، وقد كتب هؤلاء العديد من التقارير والرسائل والبعض من هذه الرسائل المذكورة ما يأمل الباحثون في العثور عليه ضمن الوثائق المصنفة، فمثلا: في المدونة التي تحمل رقم (K.167) اعتذر المدون بنفسه عن خطأ في تقدير اليوم لأنه غير موثوق[4].

---

[1]- صمويل كريمر، **أساطير العالم القديم**، تر: أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، ص ص 102، 103.

[2]- آرثر كورتل، المرجع السابق، ص 17.

[3]- صمويل كريمر، (**أساطير العالم** ...)، ص ص 102، 103.

[4]- Jeanette C.Fincke, Op.cit, p115.

وتغير العديد من المعطيات المحتواة ضمن هذه التقارير جمعت بالتحديد عندما أرسلت من المدن بعيدا من "آشور" في الشمال و"أوروك" في الجنوب والتي كانت تحمل أو ترسل عن طريق سعاة يمتطون الأحصنة السريعة[1]، ومثل هذه التقارير جاءت من نيبور وبورسيبا ومن جميع المدن القديمة، ومن المرجح أن يكون الملك على علم بمجريات الأحداث العامة في إمبراطوريته، هذه الوثائق الفلكية قد كتبت على ألواح مربعة الشكل وحملت عموما اسم مرسلها وشملت إشارات إلى الأعمال الفلكية القديمة الخاصة بالعرافين والكهنة[2].

3) أدب الرسائل:

يتضمن أدب الرسائل في آشور كما في بابل الوثائق الرسمية والمراسلات الخاصة وقد وجدت معظم اللوحات في مكتبة الملك "آشور بانيبال" وهي تبعا لذلك تتصل بالشؤون العامة، بعضها مكتوب باللغة الآشورية والبعض الآخر بالبابلية، وهي تسمح لنا بإعادة تكوين فصول معينة في التاريخ التي أهملتها الكتابات الملكية، وهي تبين كيف كانت الحكومة المركزية تنبأ بالأحداث الواقعة على الحدود وفي الدول المجاورة[3].

(1)- **البريد:** لم يكن لبلاد الرافدين القديمة نظام معقد فيما يخص تسليم الرسائل والرزم مثل باقي المناطق، وعل أي حال فإن بوادر الأنظمة البريدية الحديثة تبدو أنها ظهرت في بلاد الرافدين، فالمصادر القديمة المختلفة ترى أن الآشوريين قد قاموا بفرض البريد بإرسال الرسائل من الملك إلى مسؤوليه أو حكامه في المحافظات، وهذا النظام قد طبق كذلك هند الفرس في أعقاب سقوط الإمبراطورية الآشورية.
ينظر: Don Nardo and Others, Op.cit, p 226.

(2)- R. Cambell. Tompson, **The Reports of the Magicians and Astrologers of Niniveh and Babylon in the British museum,** Vol 02, London, 1900, p p 04- 06.

(3)- ديلا بورت، المرجع السابق، ص 350.

ثانيا: آثار التدوين الحضاري:

من أهم مظاهر الاحتكاك الحضاري في منطقة الشرق الأدنى القديم أن اللغة الأكدية أصبحت اللغة الرسمية الدبلوماسية في كل من وادي الرافدين، بلاد الشام ومصر مابين القرنين 17 و18 ق.م ومنها انتقلت الديانة والتجارة وباقي النواحي الثقافية ومنها تشريعات "حمورابي"، كما وجد في طبقة التنقيبات الثامنة في "مجدو"[1] 40 سطرا من ملحمة "جلجامش" كتبت بالفينيقية وهذا نتاج التأثير الحضاري الكبير لوادي الرافدين على المنطقة، وقد شاعت الأشهر البابلية إلى درجة استعمالها من طرف القبائل القديمة مثل: العموريين، الكنعانيين[2]، والأراميين ثم اقتبستها عنهم أتباع الديانة اليهودية بعد تأسيسها في مدينة بابل[3].

كما كان للحملات الحربية التي قام بها الملكين الأكديين "سرجون" و"نرام سين" في الأناضول أثرها في انتقال الحضارة، وكان لهذه الفتوح أثرها في نشر الحضارة السومرية في بعض أجزاء الشرق القديم وكذا انتشار الخط المسماري، ورغم أن حملات الأكديين لم تشمل نطاقا واسعا إلا أنها تركت بصماتها في نقطة التقاء الخابور بالفرات ثم امتدت آثارهم إلى أعالي الدجلة وانتشرت الحضارة الأكدية فنا ولغة وانتشرت في سورية منذ تلك الفترات الكثير من المعتقدات البابلية ولا شك أن الكثير من الملاحم الهامة كالطوفان

---

[1]- **مجدو**: يطلق اسم مجدو وهي الآن "تل المتسلم" على ميدان المعركة الشهيرة "هرمجدون" وهي اللفظ اليوناني للكلمة العبرية هرمجدون أي "جبل مجدو"، وتتكون الرابية الموجودة في الموقع من قلعة على مساحة نحو 13 فدانا أسفلها مساحة من 10 أفدنة أخرى، وترجع إلى العصرين البرونزي المتوسط والمتأخر، وهي تقع على الحافة الجنوبية الغربية من سهل "إسدرالون" ملاصقة لجبال الكرمل عند تقاطع الممر الرئيسي المتجه من الشمال إلى الجنوب، والذي يكون جزءا من الطريق الرئيسي بين بلاد الرافدين ومصر، وقد كان لهذا الموقع الاستراتيجي أهمية كبيرة على المدينة فكانت مركزا تجاريا وحربيا هاما طوال العصرين البرونزي والحديدي. ينظر: منيس عبد النور وآخرون، **دائرة المعارف الكتابية**، مج 07، ط 02، دار الثقافة، القاهرة، 2001م، ص ص 97، 98.

[2]- **الكنعانيون**: هم سكان كنعان وهي فلسطين القديمة والأرجاء الساحلية من الشواطئ السورية المطلة على البحر المتوسط من أوغاريت حتى غزة، وبين بادية الشام ومن سهول أدنة في جنوبي آسيا الصغرى حتى صحراء النقب جنوبي فلسطين، وإن أصل تسمية كنعان كما تدل المعطيات الأثرية المكتشفة في تل العمارنة نسبة إلى قبيلة عربية قطنت بالقرب من التل والتي تعود إلى القرن الخامس عشر ق.م، وقد ذكرتها هذه النصوص في صيغة "Knakhni"، كما وردت تسمية كنعان في الكتابات القديمة لمدينة بابلية تحت اسم" Knannan"، وإضافة إلى ذلك فإن كلمة كنعان قديمة جدا إذ تعود إلى عهد ما قبل التوراة بعدة قرون، وتكررت هذه التسمية في التوراة ثلاث وثمانون مرة ومرتان فقط في الإنجيل. ينظر: عبد الحكيم الذنون، (**تاريخ الشام...**)، ص 121.

[3]- جودت السعد، **أوهام التاريخ اليهودي**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998م، ص ص 107، 108.

والخليقة انتقلت من السومريين والبابليين وقد ظلت متوارثة جيلا بعد جيل[1] (ينظر الملحق **17**).

الملحق رقم 17

الأناضول

الحيثيون

سوبار (جنوب العراق)

الحوريون

أواسط أسيا وبحر قزوين

إيبلا (شمال سوريا)

الصين قبل 3000 ق.م

سومــــــر

(جنوب العراق)

كريت (البحر المتوسط)

الشانج 5000ق.م

مصر منذ 3200 ق.م

عيلام قبل 3000 ق.م

هرابا ومهنجودارو قبل 2200 ق.م

الخليج العربي (دلمون)

الجزيرة العربية ؟

مكان عمان 3000 ق.م

مخطط يوضح انتشار الحضارة السومرية ومنجزاتها خارج وادي الرافدين قبل وبعد 3000 ق.م (مرحلة الظهور ودول المدن السومرية)[2]

(1)- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 109.

(2)- خزعل الماجدي، (**متون سومر...**)، ص 49.

1.مملكة ماري:

يرجع تاريخها إلى الألف الثانية والثالثة ق.م وظهرت أهميتها عندما سيطر الأموريون في بداية حكمهم على مناطق الحواف في بداية منطقة الشام فخضعت ماري لنفوذهم، وهي تقع جنوب مصب نهر الخابور في شمال وشمال شرق "أبو كمال" على الضفة الغربية للفرات، وبسبب هذا الموقع في أطراف بادية الشام ولقربها أكثر من هذا النهر فإن بعض الباحثين يضعونها ضمن إطار حضارة وادي الرافدين[1].

وتؤكد المصادر التاريخية أن عدد الملوك الذين حكموا ماري خلال الألف الثالث ق.م قد بلغ 13 ملكا، أطلق عليهم اسم "السلالة العاشرة لملوك ماري" وكان هؤلاء على صلات بالممالك السومرية ولا تخلو هذه الصلات من بعض التوترات السياسية عندما زحف على ماري ملك الوركاء "لوجال زاجيزي" حوالي منتصف الألف الثالث ق.م ليدمر قسما من المملكة، وما لبثت ماري أن استعادت استقلالها ونفوذها، وفي عهد "سرجون" بقيت محافظة على كيانها كمملكة حليفة للسلالة الأكدية وتذكر المصادر أن الملك "سرجون" قد مر بماري عندما كان يقود حملته للوصول إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، كما مر بها حفيده الملك "نرام سين"[2].

وكشف عنها الأستاذ " أندريه بارو A.Parrot" وتبين أن هذه المدينة كانت مرتبطة بالحضارة السومرية وأن علاقتها ببلاد الرافدين أقوى من علاقتها بسورية [3]، وقد قام هذا الباحث بالكشف عن مدرستين في هذا الموقع وقد عبر عن رأيه بقوله: "لا غرابة في أن يخصص ملوك ماري في القصر الذي وجد فيه هذا العدد الضخم من اللوحات المكتوبة مكانا لأعداد أولئك الذين سيتولون مهمة القراءة والكتابة فمدرسة ماري إذن كانت على حدود زمن مدرسة سومر التي تعتبر أول مدرسة في العالم"[4].

---

[1]- رمضان عبده علي، **تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر**، ج2، ط1، دار نهضة الشرق، القاهرة، 2002م، ص 71.

[2]- خليل أقطيني، **مملكة ماري من أعظم حضارات العالم القديم في حوض نهر الفرات،** ، العدد 04، دورية كان التاريخية، العراق، 2009م.

[3]- رمضان عبده علي، المرجع السابق، ص 43.

[4]- مفيد عرنوق، المرجع السابق، ص 42.

وكانت بداية التنقيب على يد البعثة الفرنسية للآثار منذ أوائل القرن العشرين التي عثرت على مجموعة كبيرة من الرقم الطينية المكتوبة بالخط المسماري واللغة البابلية ويزيد عددها عن 20000 لوح، وتتألف هذه المجموعة الوثائقية الضخمة من رسائل دبلوماسية لملوك ماري مع ممالك أخرى في سورية وبلاد الرافدين[1].

كما عثر ضمن مخلفاتها على عدد معتبر من الخطابات، الوثائق والأناشيد الدينية، وكشفت الدراسات عن الكثير من الجوانب الحضارية لسورية خلال ذلك العصر وذكرت فيها العديد من أسماء دويلات المدن مثل: مدينتي "خلبو" (حلب) [2] و"جبلة" (جبيل) [3] وحرانو (حران) [4]، وكانت تلك الألواح محتواة داخل مكتبة القصر[5]، وكان لقصر الملك "زمري- ليم"[6] شهرته الكبيرة في ماري نظرا لاتساع مساحته حيث تضمن 60 حجرة وعبرت جدرانه عن مناظر عسكرية، أسطورية ودينية[7] (ينظر الملحق رقم **18**).

وهذا القصر الملكي مقسم إلى أجزاء عديدة يتجمع كل قسم منها حول ساحة واسعة تحيط بها الغرف من جميع الجوانب، وقد خصصت كل جهة كمسكن خاص فهناك جناح الملك، غرف الأسرة الحاكمة، مستشاري الملك والوزراء وكبار موظفي الدولة وكذلك مكان إقامة رجال الدين قرب معابدهم، كما عثر في هذا الموقع على رقيم طيني يعدد وجود 400 شخص كانوا في خدمة القصر الملكي وهذا دليل

---

(1)- توفيق سليمان، المرجع السابق، ص ص 163، 164.

(2)- **حلب**: ورد اسمها في الكتابات الحيثية في الألف الثاني ق.م كعاصمة لمملكة "يمحاذ"، احتلها الحثيون عام 1600 ق.م واستقلت بعد سقوط الإمبراطورية الحيثية 1200 ق.م، وفتحها الإسكندر المقدوني عام 333 ق.م، سماها السلوقيون "بيرويا"، انتقلت على أيدي الرومان سنة 65 ق.م وخربها الفرس عام 540م. ينظر: سعد صائب، المرجع السابق، ص 95.

(3)- **جبيل**: مدينة فينيقية قديمة على ساحل البحر الأبيض المتوسط على بعد حوالي 30كم شمال بيروت، تدعى في النصوص المسمارية "جبلة" وفي كتاب العهد القديم "جبل"، أطلق عليها المصريون اسم "كبنه" وعند الإغريق "بيبلوس". ينظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص ص 305، 306.

(4)- **حران**: ومعناها "الطريق" لعلها سميت كذلك لوقوعها على ملتقى طرق القوافل الآتية من دمشق، نينوى وكركميش إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط، استقر بها "تارح" والنبي إبراهيم عليه السلام بعد مغادرتهم لمدينة "أور" الكلدانيين. ينظر: منيس عبد النور وآخرون، **دائرة المعارف الكتابية**، مج 03، ط 2، دار الثقافة، القاهرة، 1999م، ص 02.

(5)- أحمد فخري، المرجع السابق، ص 73.

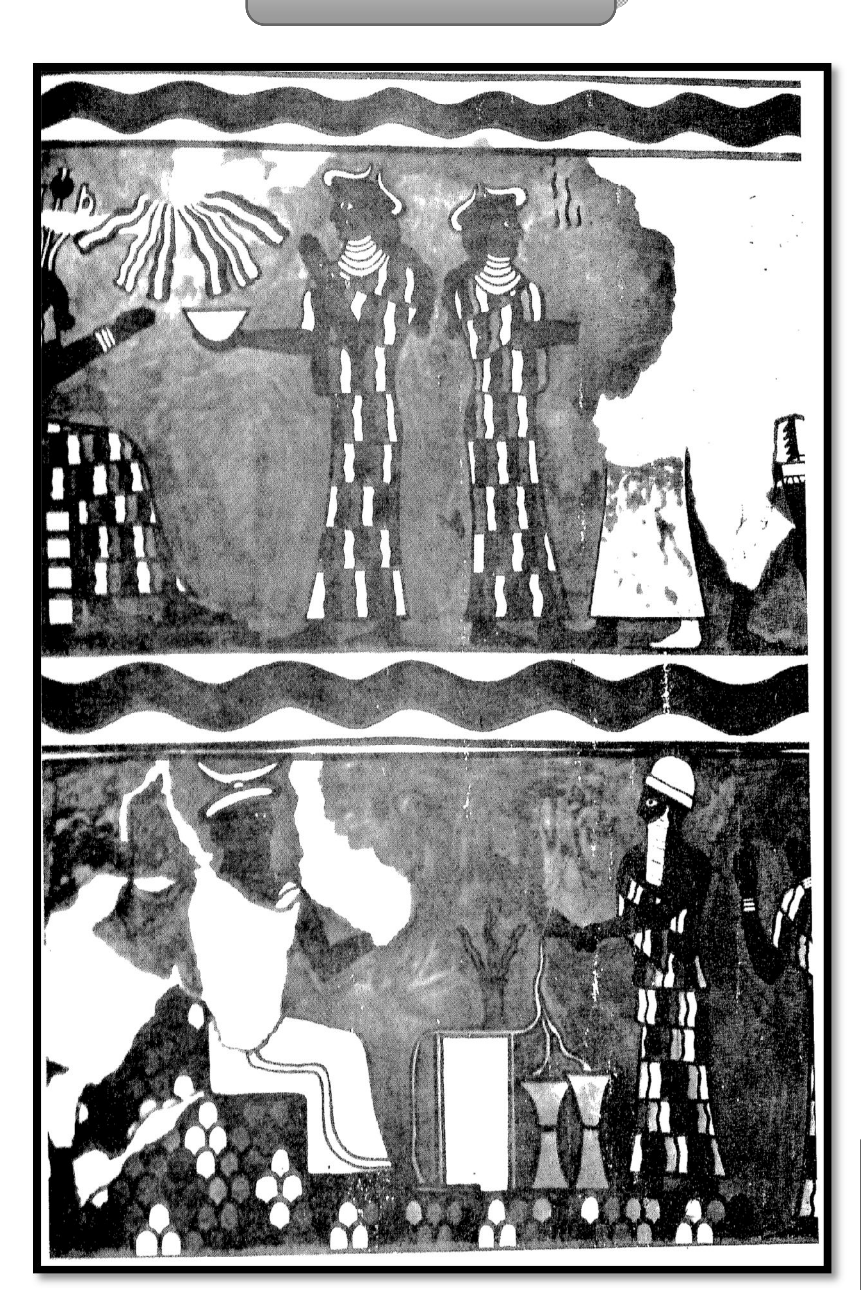
(6)- **زمري- ليم**: آخر ملوك ماري (1782-1759 ق.م) معنى اسمه "الإله ليم يحميني"، ابن "يحدون- ليم" لجأ إلى مدينة حلب بعد مقتل والده، وانهزم فيما بعد على يد الملك "حمورابي". ينظر: هنري عبودي، المرجع السابق، ص 444.

(7)- رمضان عبده علي، المرجع السابق، ص 84.

قاطع على حركة ونشاطات وفعاليات هياكل الدولة[1].

الملحق رقم 18

"وقد احتوت جدران هذا الصرح كذلك على مجموعة من الصور منها صورة أحد الجنود حملا حربة وكذا صورة أحد الصيادين ومناظر خاصة بتتويج ملك ماري التي أرخت في حوالي القرن الثامن عشر ق.م والمحفوظة بمتحف اللوفر[3]، إضافة إلى ذلك صور الحجرة رقم 124 والتي يحتمل أن تكون بهو الاستقبال، وهذه الرسوم تشبه إلى حد بعيد تلك التي عثر عليها الباحثون في "كنوسس" بكريت وقد أكد هذا الطرح الألواح التي عثر عليها في قصر الملك "زمري- ليم" والتي تبين وجود علاقات اقتصادية بين ماري وكريت[4].



مشهدان من اللوحات الجدارية الملونة في قصر "زمري ليم"[2]

[1]- عبد الحكيم الذنون، (**تاريخ الشام ...**)، ص ص 161، 162.

[2]- توفيق سليمان، المرجع السابق، ص 426.

[3]- **لوحة تتويج ملك ماري**: وجدت على الجدار الخارجي المحاذي للمدخل المؤدي إلى غرفة العرش في أحد أجزاء الساحة المحمية من عوامل الطقس بواسطة سقف مدعم بالأعمدة، يتألف التصميم من لوحتين علوية وسفلية، أمل العلوية فيظهر فيها الملك مرتديا زيا مزخرفا ويستلم شعار الإلهة "عشتار" التي تضع أحد قدميها على أسد، أما المشهد السفلي فتحمل شكلين للإلهة والمزهرية التي يتدفق منها الشراب وترتدي الآلهة ثوبا له أهداب حاملة إناءا يتدفق منه الماء وتسبح فيه الأسماك، ولكل من المشهدين إطار مصنوع بألواح طويلة تصور النخيل وأنواعا أخرى من الأشجار بين أغصانها الطيور والحيوانات الأسطورية والآلهة ينظر: سيتون لويد، المرجع السابق، ص ص 229، 230.

[4]- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 74.

أما عن الألواح الفخارية المكتشفة داخل القصر فهي محفوظة حاليا في متحف اللوفر بباريس وتنقسم إلى قسمين: الأول ويضم نصوصا اقتصادية وإدارية والثاني يشمل على مجموعة من الرسائل المتبادلة بين ملوك ماري وحلفائهم، وقد نشرت هذه الوثائق ضمن نشرة بعنوان (Archives Royales de Mari) تضم 16 جزءا وهي من تحقيق نخبة من الأساتذة المتخصصين[1].

وبخصوص "سجلات ماري" فوجدت محفوظة في خزائن جدارية داخل القصر وتم تكليف الأستاذ "جورج دوسان" بترجمتها والتي بينت أنه كان لهذه المملكة سفراء في "كركميش"[2] و"بابل" و"حلب" وسفير خاص لدى "حمورابي" وقد عرفت أسماؤهم من السجلات الملكية[3]، وقد تأثرت ماري بحضارة بلاد الرافدين من الناحية الحضارية فقد عثر على ختم أسطواني يمثل مشهد عن "ملحمة جلجامش" وتعد هذه الأخيرة من بين الإبداعات الأدبية الشهيرة لتلك المنطقة، وأسفرت التنقيبات الأثرية كذلك عن عدد هائل من الوثائق الكتابية والتي تدل على الرقي الحضاري لهذه المملكة في ميادين متنوعة مثل: الفكر، الأدب، الفن واللغة ويعتبر أرشيف ماري الملكي من دوائر المحفوظات الهامة في تاريخ الشرق الأدنى القديم[4].

وتغطي سجلات ماري الفترة الممتدة ما بين (1720- 1760 ق.م) وقد كتبت بالمسمارية وبطريقة سريعة نتج عنها أخطاء في بعض علاماتها الكتابية وحذف بعضها ولغة هذه الوثائق هي الأكدية، ومنها النصوص الاقتصادية التي احتوت قوائم للأجور الخاصة بالجنود والحرفيين وأكدت الأسماء الأكدية والسومرية على صلات وتأثر ماري بأرض بابل خاصة في جنوبها الشرقي، فتظهر الوثائق القانونية من عهد "زمري- ليم" تشابها واضحا مع الوثائق البابلية من نفس الفترة، وكان أيضا لتجار مدينة "سيبار" وكالة

---

[1]- محمد بيومي مهران، **بلاد الشام**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م، ص 50.

[2]- **كركميش**: هي "جرابلس" الحالية، مدينة في شمال سورية على الجانب الغربي لنهر الفرات كانت أعظم مدينة من مدن الحيثيين بعد عاصمتهم "حاتوشاش" (بوغازكوى حاليا)، حيث تمكنوا من تأسيس مملكة قوية في شمال سوريا مركزها "كركميش" دامت حوالي قرنين ونصف (1450-1200 ق.م)، سماها الرومان "كركيسيوم"، ثم حكمتها الإمبراطورية الآشورية وظلت مركزا هاما للتجارة وفيها هزم الفرعون "نخاو" على يد الملك البابلي "نبوخذنصر" سنة 605 ق.م. ينظر: أحمد سوسة، **العرب واليهود في التاريخ (حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية)**، ط 02، العربي للإعلان والنشر، دمشق، 1972م، ص ص 491، 492.

[3]- مفيد عرنوق، المرجع السابق، ص 43.

[4]- عبد الحكيم الذنون، (**تاريخ الشام...**)، ص ص 170، 171.

تجارية ترعى مصالحها في ماري حيث أقام أفرادها البابليون بصفة دائمة فيها، كما أن بعض صفقات البيع وغالبية سندات الديون في وثائق ماري القانونية كتبت بالسومرية[1].

ومن الوثائق التي عثر عليها في الأرشيف الملكي رسالة من الملك "يمشخ أدد" (1796- 1780 ق.م)[2] والتي أرسلها إلى حمورابي يخبره فيها بأن قافلة تجارية كان قد أرسلها إلى دلمون قد تعرضت للتأخير، وخلال عصر الملك الآشوري "شمشي أدد" (1726- 1694 ق.م) حاول أن يحقق لدولته كيانا ينافس به البابليين وجعل نينوى عاصمة له لأول مرة، واتسع غربا ناحية ماري وعثر على عدة رسائل في أرضها[3].

وعن "أرشيف" ماري فيصعب دراسته وذلك لاشتماله على عدة عراقيل فالأولى كونه يغطي فقط الفترة الخاصة ببلاد الرافدين وبالتحديد الجانب العسكري وعلاقة هذه المملكة بالملك "حمورابي" الذي سيغزوها فيما بعد حيث كانت علاقته الأولى مع "زمري- ليم" سلمية، أما الثانية فهو أن الأرشيف قد تعرض إلى التلف وهذا الأمر جعل معظم الألواح تتبعثر في مختلف الاتجاهات وازدادت بذلك صعوبة تناول وترجمة هذه الرسائل المدونة وبالتالي فالمعلومات الواردة منها تبقى غير مؤكدة[4].

2. مملكة إيبلا (Ebla):

قامت هذه المملكة في الألف الثالثة ق.م ما بين 2400-2100 ق.م، وذلك إلى الجنوب من حلب في إيبلا (تل مرديخ حاليا)[5]، وبتحليل الجوانب الاشتقاقية لكلمة إيبلا الموثقة في الشواهد الكتابية المسمارية تبين أنها مستمدة من كلمة "عبل" التي تعني في المعاجم العربية "عبلة" أي الشريط الضيق من

---

(1)- محمد عبد اللطيف محمد علي، **سجلات ماري وما تلقيه من أضواء على التاريخ السياسي لمملكة ماري (من حوالي 1720 إلى 1760 ق.م)**، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1985، ص ص 13- 16.

(2)- **يمشخ أدد**: الحاكم العموري الرابع للمملكة ماري وابن الملك "شمشي- أدد" الملك الثاني لماري، أما "يحدون- ليم" فقد خلفه أحد أبناءه الذي اغتاله وهو "شمو- لمين" وبعد فترة قصيرة قتل بدوره أيضا وبعد استيلاء "شمشي- أدد" على المملكة عين "يمشخ- أدد" والعديد من الرسائل المعثور عليها قد بودلت بينهما أين يوبخ الأب ابنه الشاب لقلة اهتمامه بالشؤون الرسمية، وبعد وفاة "شمشي- أدد" فإن الابن الآخر ل"يحدون- ليم" وهو "زمري- ليم" عزل "يمشخ- أدد" وتولى بدوره عرش ماري. ينظر:
Don Nardo And Others, Op.cit , p 144.

(3)- رمضان عبده علي، المرجع السابق، ص ص 72، 73.

(4)- William J.Hamblin, **Warfare in the Ancient Near East to 1600 bc Holy Warriors at the Dawn of History**, edit Routledge, New York, 2006, P 185.

(5)- رمضان عبده علي، المرجع السابق، ص 77.

الصخر الأبيض في أرض سوداء[1].

بدأ التنقيب فيها عن طريق بعثة علمية من معهد دراسات الشرق الأدنى القديم في جامعة روما برئاسة "باولو ماتييه" وذلك بدءا من عام 1964م، وفي عام 1975م عثرت على مكتبة القصر واستخرجت منها أكثر من 15000 ألف لوح وهي أقدم وثائق رسمية لدولة ظهرت في العالم، ومن خلالها تم الاطلاع على جزء كبير من تاريخ إيبلا التي قامت سياستها على احتكار تجارة بلاد الرافدين، الأناضول، سوريا ومصر لتأمين مواردها من المواد الأولية[2].

وعند بداية التنقيب الإيطالي في التل شمال سورية قرب الطريق الرئيسي من دمشق إلى حلب بحوالي 50 ميل جنوب تلك المدينة فكانوا يجهلون تماما أن "تل مرديخ" يغطي بقايا هذه المدينة القديمة، ومن سنة 1964م إلى غاية 1974م فقد غطت التنقيبات مساحة قدرها 56 هكتارا والتي لم ينتج منها الشيء الكثير سوى كميات كبيرة من الفخاريات، بعض التماثيل الصغيرة، حلي وأسلحة، بقايا قصر ومعبد وتحصينات والتي تؤرخ بمنتصف الألف الثالثة ق.م، وخلال صيف 1974 م فقد تم الكشف عن قاعة كبيرة (يرجح أنها كانت قاعة مخصصة للجمهور)[3].

وقد عثر المنقبون فيها عام 1968م على تمثال في كتفه كتابات بالأحرف المسمارية واللغة الأكدية وكشفت كذلك عن القصر الملكي بين عامي (1974-1975م)، حيث عثر فيه على معالم معمارية ضخمة يرجع تاريخها إلى الألف الثالث ق.م والتي تعاصر الفترة الأكدية، وعثر فيه على آلاف الرقم الطينية، أما المكتبة فاحتوت على 10000 رقيم وكسرة ذات موضوعات اقتصادية، تاريخية، معجمية وأدبية وبخصوص المخزن فقد ضم 1000 رقيم يختص بالأمور الإدارية، وغرفة ضمت 500 رقيم ذات مواضيع اقتصادية وتاريخية وحجرتين ضمتا 440 رقيما ذات مواضيع اقتصادية[4]، وقد عثر في موقع "إيبلا" ما يدل على تسمية الحكام وكتبت بصيغة "Mlk" أو "Malkum" بالنسبة للملك وتكتب عادة باللغة السومرية

---

(1)- سعد صائب، المرجع السابق، ص 81.

(2)- رمضان عبده علي، المرجع السابق، ص 77.

(3)- Hans H. Wellisch, **Ebla: The World's Oldest Library,** Vol 16, The Journal of Library History, University of Texas Press, 2013, p 489.

(4)- مفيد عرنوق، المرجع السابق، ص ص 35، 37.

وكذلك "Malkatum" بالنسبة للملكة[1] وتدون دائما باللغة الأكدية، أما بالنسبة لمصطلح "ممارسة السلطة" فقد أطلق عليه اسم "Tumtallikum"[2].

وبعد التحليل المتأني للمواد المكتشفة في الموقع تبين كيف أن العاملين في هذه المكتبة قد ابتكروا حلا جيدا للوصول بسهولة إلى الرقم المطلوبة فكانت كل اللوحات مرتبة بحيث يبدو منها بداية النص وفي رأس اللوح كان يكتب العنوان بشكل مختصر وكان يمكن أيضا بالاستناد إلى ذلك معرفة محتوى الرقم[3]، وأهم أوصاف هذه الأخيرة أن اللوحات الفخارية أو الرقم منسقة على مكتبات خشبية عمقها 80 سم وارتفاعها 50 سم، وكتبت الألواح بالكتابة المسمارية التي أوجدها السومريون والتي تطورت وانتشرت في سوريا وكانت "أوغاريت"[4] أول من نظم هذه الكتابة على أساس الحروف الهجائية وليس على أساس صورة الكلمة، وأهم ما تناولته نصوص "إيبلا" أوامر ملكية وتقارير موظفين حول أوضاع الدولة ومعاهدات وأحلاف دولية ومواثيق، ألواح تعليمية، نصوص تجارية، نصوص أدبية ونصوص تاريخية تعود إلى ما قبل عام 2250 ق.م (نصوص مصرية ورافدية)، ونصوص جغرافية تضم أسماء المدن والسلالات الحاكمة المتعاقبة، معلومات عن الحياة الدينية والاجتماعية[5].

ومن جملة النصوص التي تمت قراءتها يبدو أن قسمها الأكبر يحتوي على نصوص إدارية وقانونية، كما تضم أوامر ملكية متنوعة واتفاقيات تجارية مع المناطق المجاورة، إلى جانب ذلك عثر على رسائل تاريخية

---

(1)- يستفاد من النصوص الأدبية الميثولوجية كالتراتيل والأناشيد للتعرف على نظام الحكم لذلك فالملك يدعى "ملكوم" والملكة "ملكتوم" التي تأتي حسب الترتيب بعد الملك وقبل الوزير، وإن الملكية في ايبلا وراثية ينتقل فيها الحكم من الملك إلى ولي العهد الذي يشارك أباه في في الإدارة وتسيير الأمور الداخلية، بينما تترك الشؤون الخارجية والدبلوماسية للابن الأصغر. ينظر: سمير عبده، المرجع السابق، ص 105.

(2)-Raymond Westbrook, **A History of Ancient Near Eastern Law**, Vol 01, edit Brill, Boston, 2003, P 228.

(3)- ألكسندر ستيبتشفيتش، المرجع السابق، ص 17.

(4)- **أوغاريت**: تعتبر أهم مركز حضاري في سورية الكنعانية خلال الألف الثاني ق.م، ورد ذكرها ضمن النصوص المصرية التي تعود إلى القرن الخامس عشر ق.م وتفيد هذه الوثائق بأنها كانت مدينة ساحلية هامة على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وتقع أطلالها اليوم في تل رأس شمرا قرب مدينة اللاذقية، ولم تعرف أوغاريت قبل عصر البرونز الحديث، فمحفوظات ايبلا تذكرها منذ حوالي 2400 ق.م، وتعود الآثار المصرية الموجودة في أوغاريت إلى القرن التاسع عشر ق.م، أما نصوص ماري فتشير إليها في القرن التالي. ينظر: سمير عبده، المرجع السابق، ص ص 127، 128.

(5)- مفيد عرنوق، المرجع السابق، ص ص 37، 38.

وأناشيد وأعمال أدبية بالإضافة إلى عدد كبير من المعاجم الإيبلية-السومرية[1] والحكايات الميثولوجية، ويبدو أن هذه النصوص قد حفظت في أكثر من نسخة[2].

وعرفت "إيبلا" الموسوعات التي احتوت معلومات أساسية موزعة على أبواب المعرفة (نبات، حيوان، معادن، أماكن)، وكانت مدرستها متقدمة بشكل ملحوظ حيث كانت تنافس المدارس السومرية المعاصرة في "أوروك ونيبور"، وكانت على صلة بها حيث كانت تدعوها لعقد ما يشبه نوعا ما "المؤتمرات العلمية" وكان المدرسون في سومر يسافرون إلى "إيبلا" لهذا الغرض[3].

أما عن تقسيم النصوص المعثور عليها في هذا الموقع فهي تضم ثلاثة أنواع: النوع الأول يعالج المسائل الاقتصادية والإدارية التي كانت مملكة "إيبلا" تقيمها بصورة مباشرة مع باقي المناطق، النوع الثاني يعالج مسائل حقوقية وتوجيهية وتضم علاقات "إيبلا" السياسية، لكن هذا النوع من النصوص نادر جدا في النصوص المسمارية المكتشفة، أما النوع الثالث فهو يعالج مسائل معجمية لغوية أدبية وهي تفيدنا في التعرف على المعلومات الجغرافية التي كانت متوفرة لدى الديوان الملكي في "إيبلا"[4].

وتتمثل أهمية ألواحها المكتشفة في أنها تتضمن معجم لفظي بين اللغتين الآشورية والسومرية ويرجع تاريخه إلى حوالي عام 2300 ق.م وقد ساعد هذا المعجم على تفسير الكثير من الألفاظ السومرية التي لم تكن معروفة قبل اكتشاف "ايبلا" التي تعتبر أول من طور نظام الكتابة المسمارية، كما دلت الرقم الطينية على وجود أقدم تحالف وقع بين آشور وإيبلا، وتعد كذلك أضخم كنز تاريخي أثري عثر عليه في مكتبة واحدة حتى الآن[5].

---

[1]- **المعجم الإيبلي- السومري**: من المكتشفات التي أسفرت عنها إيبلا المعجم اللغوي النادر في مكتشفات العالم الذي اعتبر ثورة فكرية لغوية ويمثل أقدم المعاجم اللغوية القائمة بين لغتين على الإطلاق في مسيرة المعرفة البشرية، إن هذا المعجم وضع لسكان إيبلا فقد وضعت الكلمات الإيبيلية ثم ما يقابلها من الكلمات السومرية مع توضيح لكيفية نطق هذه الأخيرة في بعض الأحيان وذلك بالنسبة للكلمات المتداولة خلال النصف الثاني من الألف الثالث ق.م، وقد بلغ عدد هذه الكلمات حوالي 1000 كلمة. ينظر: علي القيم، **إمبراطورية إبلا**، ط1، الأبجدية للنشر، دمشق، 1989م، ص 104.

[2]- سعد صائب، المرجع السابق، ص 82.

[3]- ملكة أبيض، المرجع السابق، ص 10.

[4]- سعد صائب، المرجع السابق، ص 83.

[5]- مفيد عرنوق، المرجع السابق، ص 39.

3. رسائل تل العمارنة:

هي رسائل شخصية متبادلة بين الملوك ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال الرسائل المرسلة إلى "أمنحوتب الثالث" و"أخناتون"[(1)] من الملك الميتاني[(2)] والملك الحثي وحكام سوريا وفلسطين وجميعها مكتوبة باللغة الأكدية، ويذكر الأستاذ "كنودتسن Knudtzon" في كتابه "رقم من العمارنة": "أن الكتاب المصريين في فترة حكم الملك "أمنحوتب الثالث" والملك "أخناتون" كانوا يجيدون اللغة الأكدية بلهجتيها البابلية والآشورية فكانوا يكتبون الرسائل بتفويض من الملك إلى الحكام الآشوريين وباللغة الآشورية نفسها"[(3)].

واعتمدت كذلك على اللغة الأكدية التي كانت لغة المخاطبة الدبلوماسية العالمية في تلك الفترة عدا ثلاثة رسائل كتبت باللغة الحورية وقد نقشت على ألواح من الطين وبالخط المسماري، وسميت برسائل العمارنة نسبة لموقع اكتشافها "تخت أتون"[(4)] عاصمة "أخناتون" في مصر[(5)]، وتلقي هذه الرسائل الأضواء

---

(1)- **أخناتون:** أو أمنحوتب الرابع بدأ الحكم في مدينة "طيبة" وعمره 16 عاما بمساعدة أمه الملكة "تي"، زوجته هي الملكة "نيفرتيتي" قام بإدخال عبادة جديدة تكمن في عبادة قرص الشمس "آتون" واختاره إلها له كما اتخذ لنفسه لقب (الخادم الأول للإله "رع حور أختي" الذي يهنأ في الأفق باسمه النور "شو" الموجود في "آتون". ينظر: سمير أديب، **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص ص 194، 195.

(2)- **الميتانيون:** معظم معلوماتنا عن مملكة ميتاني مستمدة من وثائق مدينة "نوزي" الحورية وقد تم الكشف عن أطلالها قرب كركوك في جنوبي كردستان، ومثل كثير من الأسماء القديمة ورد هذا الإسم بصيغ مختلفة وهو إختلاف ناجم عن تباين اللغات التي وردت بها تلك الأسماء، فقد ذكروا بصيغة "ميتاني Mittani" وبصيغة "ميتاني Mitanni"، والجزء الأساسي هو "ميتا" أما المقطع "ني" فهو من اللواحق، وهم من الفرع الآري الذين هاجروا خلال الألف الثاني ق.م واندمجوا مع أقوام زاجروس القدماء وكانوا من العنصر الحربي الأرستقراطي. ينظر: أحمد محمود الخليل، **تاريخ أسلاف الكورد**، ط1، دار موكرياني، العراق، 2013م، ص ص 153- 155.

(3)- نخبة من الباحثين العراقيين، (**حضارة العراق**)، **ج1**، ص 239.

(4)- **تخت آتون:** أو أخت آتون وتقع في محافظة المنيا وهي منطقة تتراجع فيها الهضبة الشرقية بحيث تترك بينها وبين النيل سهلا منخفضا في شكل نصف دائري، لا يزيد طوله عن عشر كيلومترات ولا يتجاوز عرضه الخمسة، وقد أسسها الملك أخناتون خلال العام السادس من الحكم (في حدود 1361 ق.م) وحتى بداية حكم "توت عنخ آمون" وتمثل هذه العاصمة في وقتنا الحالي قرى بني عمران والعمارنة والحوطة ثم الخرائب القليلة التي تقع على طول المدينة القديمة ومن ورائها المقابر. ينظر: محمد بيومي مهران، **المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم**، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999م، ص ص 31، 32.

(5)- **مكتبة تل العمارنة:** بعد إنشاء أخناتون لعاصمته أخت آتون ألحق بها دار الحياة للتعليم وقد خصصت إحدى قاعاتها لتكون دارا للكتب وكانت محتوياتها تتألف من عدد معتبر من اللوحات الفخارية فضلا عن البرديات، وصلنا منها مائتا رسالة من فلسطين وسوريا

على الأوضاع العامة في فلسطين وبلاد الشام، تم اكتشافها عام 1887م وهي تغطي الفترة الممتدة ما بين (1400-1360 ق.م)، ويبلغ عددها 300 رسالة منها 81 في المتحف البريطاني، 160 في متحف برلين، 60 بمتحف القاهرة(1).

وتظهر هذه الرسائل في مضمونها أن المدن المعادية لمصر كانت: سامراء، صيدا، صور وبيبلوس، وعثرت إحدى الفلاحات سنة 1887م قرب إحدى الأماكن الأثرية في هذا التل على عدد وافر من هذه الرسائل، كما تم الكشف عن مقابر الأشراف والمقبرة الملكية والقصور والمعابد ومنازل الموظفين(2).

وقد بدأ الباحث "فلندرز بيتري" في عام 1891م في حفائره باحثا عنها وكان العدد الإجمالي لمعثوراته 377 لوحا ومن أهم ما عثر عليه جزء من قاموس بكامل صفحاته مقسم إلى ثلاث أعمدة يحتوي أحد الأعمدة على الكلمة المصرية وأمامها المعنى بالأكدية المتأخرة وفي العمود الثالث النطق الأكدي مكتوبا بالعلامات المصرية، ويمكن تقسيم هذه المجموعة إلى ثلاثة أقسام: أولها ما بعث به الولاة المصريون إلى الفرعون، وثانيها مراسلات الملوك الذين لم يخضعوا لحكم مصر بشكل مباشر، أما القسم الثالث فهو الخاص بالمصاهرات الملكية(3).

4. مملكة دلمون (البحرين):

من أبرز نتائج الاستكشاف والتنقيب في البحرين خلال العقود الماضية التوصل إلى اكتشاف بقايا مملكة دلمون البحرية التي ورد ذكرها ضمن الكتابات والملاحم الرافدية القديمة والتي عرفت بعلاقاتها الحضارية والتجارية والسياسية مع بلاد الرافدين خلال عصورها التاريخية المختلفة، وتصف العديد من الوثائق والنصوص المسمارية الاقتصادية رحلات بحرية انطلقت من المدن الرافدية الجنوبية القديمة كأور ولارسا ولجش

وبابل ومن الملوك الحيثيين، ومن ثم كانت مكتبة إلى جانب كونها أرشيف، وكان يعمل أمينا لهذه المكتبة الوزير "رع مس" الذي لقب بسيد كل الخزائن والمسؤول عن الأرشيف والمكتبة. ينظر: السيد السيد نشار، المرجع السابق، ص 74.

(1)- جودت السعد، المرجع السابق، ص ص 64، 65.

(2)- شباحي مسعود، **حركة أخناتون الدينية (1367-1350 ق.م) دراسة تحليلية**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، (2008-2009م)، ص 186.

(3)- أحمد فخري، المرجع السابق، ص 78.

ونفر متجهة إلى موانئ دلمون على الساحل الغربي للخليج العربي[1].

وكان دلمون أو تلمون يمثل قطرا كبيرا له صلات بالسومريين، البابليين والآشوريين منذ الألف الثالثة ق.م، واستمرت هذه العلاقة إلى حوالي عام 500ق.م، وظهرت دلمون ضمن الآداب السومرية والمصادر المسمارية فقد أطلق الآشوريون على الخليج العربي عدة تسميات: "شروق الشمس"، "البحر الأسفل" و"البحر المر" وجاءت في بعض آثار الملك "آشور بانيبال" أخبار عن هذه المنطقة وأنها تقع وسط البحر الأسفل، وقام علماء التاريخ والآثار القديمة بتقدير بعد جزر البحرين عن أسفل الفرات بالاعتماد على أخبار الملك "سرجون الثاني" بحوالي 300 ميل[2].

وكذلك من أساطير الكاهن البابلي (برعوشا) ومن قائمة الملوك السومرية ومدن ما قبل الطوفان هناك ما يشير أن الرجل السمكة "أوانيس Oannes"[3] الذي خرج من الخليج وجلب معه مقومات الحضارة، وهذا ما يتفق مع الأفكار السومرية حول إله الحكمة "أنكي" والذي شكل الإله المحلي لمدينة "أريدو" وهي أقدم مرئية كانت تقع على ضفاف الخليج العربي ثم استوطنت المدن الأربعة الأخرى من الجنوب الشرقي فصاعدا حتى الخليج العربي، أما النظرية التي تحمس لها "جيوفري بيبي" على أساس ما عثر عليه في "دلمون" من آثار سومرية ومن آلاف القبور التي تشير بوضوح أنها كانت الموطن الذي نزح منه السومريون عبر الخليج العربي مرورا بجزيرة "فليكا" ثم إلى جنوب وادي الرافدين، ويعتمد في ذلك أيضا أن السومريين كانوا يذكرونها في أساطيرهم على أنها الجنة الخالدة وأنها تذكر بالعصر الذهبي الذي عاشوا فيه[4].

---

[1]- بهنام أبو صوف، المرجع السابق، ص145.

[2]- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 116، 117.

[3]- **أوانيس**: معبود يوناني والاسم من أسماء الإله "إيا" في بلاد الرافدين، وهو كائن خرافي خرج من البحر ليعلم الناس الكتابة والصناعة، يقابله الإله "أون" لدى الكنعانيين حيث أضيفت له السين ومن ثم سمي "أوتس" أو "أوانيس"، كما من الاسم سميت عيون وايون وهذه أسماء لإله واحد وهو الكائن الإنساني الأول، كما يعتقد بأن هذا الاسم هو تصغير لأحد الآلهة السومرية أو الأكدية، وربما كان في الأصل "أومانو" الذي يعني "المعلم". ينظر: حسن نعمة، المرجع السابق، ص ص 161، 162.

[4]- خزعل الماجدي، (**متون سومر دراسة في الطب...**)، ص 32.

وأقدم الوثائق التي تتناول هذه العلاقات جاءت من زمن أحد ملوك سلالة "لجش الأولى" في حدود سنة 2520 ق.م يذكر فيها أن سفنا من دلمون محملة بالخشب[1] وصلت إلى لجش قادمة من مناطق عدة (مدن حوض السند)، كما يذكر الملك "سرجون الأكدي" أن سفنا من دلمون كانت ترسو في ميناء أكد وهناك احتمال كبير أن الحريق الذي أصاب قلعة دلمون قد يكون نتيجة لحملة هذا الملك أو حفيده "نرام سين"في مطلع القرن الثالث والعشرين ق.م، بالإضافة إلى ذلك هناك نص آخر للملك "جوديا" يذكر فيه أن زوجته أرسلت إلى دلمون الحبوب والجبن مقايضة بمعدن النحاس، وهناك أيضا نصوصا مسمارية اكتشفت في "أور" والتي يرجع تاريخها إلى الربع الأخير من الألف الثالث ق.م تذكر عقودا تجارية أبرمت بين السومريين وتجارا من إقليم دلمون البحري[2].

كما كانت دلمون محطة مهمة للتجارة بين الهند وافريقية وسواحل الخليج، تستورد الأخشاب، التوابل والعقاقير من الهند وافريقية وتنقل النحاس من عمان إلى بلاد الرافدين، ويقول العالم "بارتون" أن بعض الرسائل الملكية تدل على أن الملك "مانشتوسي" والد الملك "نرام سين" قد أرسل حملة عسكرية بحرية عبرت البحر الأسفل وتغلبت على سكان السواحل واستولت على الجبال الواقعة في الجنوب، وأخذت ما فيها من أحجار فصنعت منها التماثيل التي قدمها الملك نذرا للإله "أنليل"، كما عثر على نصوص تبين من دراستها أنها عقود جرت لتبادل الفضة والنحاس بين التجار[3].

[1]- **الخشب:** جلب الرافديون أنواعا من الأخشاب من الخارج للبناء، فقد أخبرتنا المصادر السومرية من مدينة لجش (من منتصف الألف الثالث ق.م) بأن سفنا من دلمون كانت تأتي بالأخشاب من البلاد الأجنبية (المقصود بها موهنجادارا وخرايا في حوض نهر السند) وأن أخشاب الأرز كانت تجلب من جبال لبنان (فينيقيا) منذ أوائل الألف الثالث ق.م لاستخدامها في تشييد المعابد والقصور في أمهات مدن العراق القديم. ينظر: بهنام أبو صوف، المرجع السابق، ص 29.

[2]- بهنام أبو صوف، المرجع السابق ، ص145.

[3]- محمد زهير بابا، **التعدين أساس علم الكيمياء (إسهام الشعوب العربية في تقدم علم التعدين)**، مجلة التراث العربي، (د.د)، (د.ت). ص 25.

بعد التطرق إلى موضوع التنقيبات في بلاد الرافدين وما أسفرت عنه من نتائج قيمة، وكذا الإلمام بدور المكتبات الملكية في حفظ الموروث (مكتبة نينوى) تمكنت من الخروج بعدة استنتاجات مفيدة فيما يخص أبعاد عمليات التنقيب ودورها في الكشف عن تاريخ المنطقة بشكل خاص ومنطقة الشرق الأدنى القديم بشكل عام وقد صغتها ضمن النقاط التالية:

1. يتميز التنقيب في بلاد الرافدين بجانبين متقابلين فالأول وهو الجانب الإيجابي حيث أنه قبل فترة التنقيبات بقي تاريخ المنطقة رهين الروايات الشفوية المتداولة عبر الأجيال وحبيس المعطيات الشحيحة التي أتت بها بعض المصادر الكتابية الجغرافية منها والدينية، إلى جانب ذلك فقد جعلت روايات الرحالة الأوائل هذه المنطقة أساسا للحكايات والخرافات التي جعلت من تاريخها سرا غامضا عبر العصور، وبعد بداية التنافس الحضاري الاستعماري صارت بلاد الرافدين موطن الكنوز والنفائس الثقافية الراقية كما صارت محط أنظار جميع أقطار العالم وبالخصوص الدول الأوروبية التي سخرت جميع إمكانيتها للتعريف بمخزون المنطقة، وفي هذا الإطار وضعت بلاد الرافدين ضمن موكب الحضارة الإنسانية العريقة وكتبت عنها الكثير من المؤلفات والمجلدات باعتبارها مهد المدنية الأولى.

أما الجانب السلبي لعمليات التنقيب فيتجلى من خلال نقل المعالم الحضارية الرافدية من مواطنها الأصلية نحو دور المتاحف الأوروبية حيث لم يحتفظ المتحف العراقي سوى ببعض القطع الفنية المتواضعة في رفوفه بالمقارنة مع ما تم جمعه وتصنيفه ضمن مراكز البحث الأكاديمية الأوروبية التي جعلت من المناطق الأثرية في بلاد الرافدين محطة لانجاز مشاريعها وبحوثها.

ورغم وضع الأوروبيين أسس لعلم الآشوريات وجهودهم المعتبرة في حقل الدراسات اللغوية وحلهم لرموز الكتابات القديمة إلا أن هدفهم الرئيسي كان البحث عن الشهرة والأمجاد والثروة ودليل ذلك التنقيب العشوائي الذي قاموا به في إطار الكسب السريع، كما أن مجهوداتهم كانت موجهة في الأساس لخدمة سياسة دولهم الخارجية دون النظر إلى عواقب التنافس الشرس حول مخلفات المنطقة الحضارية.

2. تعتبر مدينة نينوى من بين أعرق مدن بلاد الرافدين القديمة ذلك أنها ذكرت بشكل متكرر على طول مراحل التاريخ القديم للمنطقة، وبالخصوص في العهد القديم الذي تناول الأحداث المرتبطة بها بالشرح والتفصيل (سفر يونان، ناحوم) كما كانت مدينة ذات أهمية كبرى بالنسبة لتاريخ العبرانيين الذين ربطتهم

علاقات متفاوتة مع حكام المنطقة، وتعد مكتبتها من أكبر مراكز الإشعاع الثقافي في منطقة الشرق الأدنى القديم بحيث يمكن اعتبارها أول نموذج للأرشيف بالمصطلح الحديث وكذا كأول دليل على النضج الثقافي والتفتح العلمي لملوك المنطقة ذوو الكفاءات الحربية والمميزات الفكرية.

وقد بينت المواضيع المحتواة في المكتبة مدى اهتمام الآشوريين بالجانب العلمي والفكري مما يفند نهائيا وبشكل قطعي فكرة استفحال الطابع الحربي على الفكر الآشوري، فالبرغم من اهتمام هؤلاء بالميدان العسكري والتوسعات إلا أنهم تفرغوا للميدان الفكري الخصب وهذا دليل على وعيهم الفكري واطلاعهم الجيد على خبايا الميزات الحضارية اللازمة لتكوين الإمبراطورية ذات المعايير المتزنة، ومن جملة المواضيع التي عني بدراستها الآشوريون كالطب والفلك والأدب تبين إلى حد بعيد مدى تأثرهم بالتراث القديم السابق لهم مع محاولة تحسين مختلف المجالات (أي التجديد في بعض الطرق والمناهج التعليمية).

لكن ورغم بلوغهم مرحلة متقدمة من التنظيم المحكم في الميدان الثقافي كالتصنيف والفهرسة والنسخ وابتكار الأرشيف وتبادل الخبرات وصياغة أول الملتقيات العلمية وابتكار نظام التعليم والتقسيم المنهجي للعلوم المدروسة إلا أن معارفهم تبقى محدودة إذا ما تمت مقارنتها بمعارفنا الحالية وما وصلت إليه المكتبات الحديثة من نوعية الخدمات الراقية والنوعية، وكذلك لا يمكن الحكم على مكتبة "نينوى" أنها الأرقى من حيث محتواياتها خاصة إذا علمنا أن معظم ما تضمه قد تم نسخه من مكتبات متعددة وليس ثمرة الجهود الشخصية وأن هناك مكتبات أخرى في المنطقة تضاهي في محتوياتها ما تضمه هذه المكتبة، ولعل السبب الرئيسي وراء شهرتها هو شهرة صاحبها "آشور بانيبال" وجهوده المعتبرة التي قدمها في سبيل جعلها أكبر المكتبات على الإطلاق.

3. إن ابتكار الكتابة المسمارية في بلاد الرافدين جعلها منطلق الإشعاع الحضاري، فاستعمال هذه الكتابة والتطور الكبير الذي عرفته عبر جميع مراحلها جعلها معيارا للرقي الثقافي ومرجعا أساسيا في تدوين الوثائق الرسمية التي احتوت أقدم المعاهدات الدولية والتحالفات المبرمة بين مختلف المناطق، فسهولة هذه الكتابة ومواكبتها لمتطلبات التواصل القائمة آنذاك جعلاها الأصلح للاستعمال ورغم ظهور الكتابات المختلفة كالحيثية والآرامية وحتى الفينيقية إلا إنها بقيت الكتابة الرسمية المعتمد عليها ضمن مجال الخطابات

الدبلوماسية فتجاوزت حدودها نطاق بلاد الرافدين لتصل إلى مناطق بعيدة من آسيا لتبلغ مصر والبحرين ومناطق متعددة من سوريا وهذا أكبر دليل على نجاعتها وفعاليتها.

لكن وبالرغم من ذلك زالت هذه الكتابة نهائيا كونها معقدة ويستلزم الإلمام بها مجهودات جبارة لمعرفة قواعدها الأساسية وبقيت تستعمل فقط ضمن المراكز التعليمية المحتواة في المعابد وقد تركت المجال في الأخير للغة والكتابة الآرامية التي حلت مكانها.


خاتمة

يعد تاريخ بلاد الرافدين جزءا لا يتجزأ من تاريخ الشرق الأدنى القديم وهو بطبيعة الحال وبشهادات العديد من الدارسين والباحثين الأعرق من الناحية الزمنية حيث يضرب تاريخه في عمق منطقة الهلال الخصيب حيث وصفت المنطقة على أنها مهد الحضارة وموطن الإنسان الأولي ومستقر المدنيات، ففي هذا الحيز الجغرافي تلاقت أولى المجموعات البشرية المهاجرة وتبادلت فيما بينها أرقى معالم النضوج الفكري وصنعت بمجهوداتها المعتبرة أجود المجتمعات الفكرية التي تجاوزت بفطرتها معنى البدائية.

هذه المميزات منحت المنطقة بعدا تاريخيا وحضاريا جعلها محط الأنظار ووجهة للباحثين عن المجد ومنطلق رواد الاستكشاف ومقصدا لأصحاب الفكر الإنساني المعتدل، خاصة وهي المدنية التي حفظت تاريخها بالمكتوب وتجاوزت نطاق السرد الشفوي وقد صاغت بفضل تناسق نسيجها الاجتماعي أولى الكتابات التي لم يعرف الإنسان لها مثيل قبل ذلك.

من هذا المنطلق كانت صياغة بحثي الذي تناول بالدراسة جميع العناصر الحضارية السائدة في بلاد الرافدين، وبعد جملة المطالعات المتكررة للموضوع وتوسع دائرة البحث عن طريق الاطلاع والفرز وتصنيف المعلومات المنتقاة تمكنت في الأخير من بلوغ نتائج مفيدة ارتأيت صياغتها ضمن خاتمة نهائية والتي تبرز الغرض الفعلي من دراسة الموضوع وما يمكن للباحث استنباطه، وقد حددت أبعادها ضمن النقاط التالية:

1. إن بلاد الرافدين كغيرها من الحضارات قد مرت بمجموعة من الحقب التاريخية وغير التاريخية وشهدت عبر هذه الفترات العديد من الانجازات التي غالبا ما يصفها الباحثون والمتخصصون بالبدائية والمتواضعة، بالإضافة إلى اعتمادهم مفهوم المقابلة الحضارية عن طريق مقارنة الإنتاج الحضاري الخام لبلاد الرافدين مع باقي المناطق المجاورة لها لبلوغ مرحلة التقييم العام الذي يتمثل حسب منظورهم في مدى شيوع هذا النمط الحضاري عبر مختلف مناطق العالم القديم وبالخصوص عالم الشرق، ويستند تصنيفهم هذا على جملة من المعايير الركيزة التي لا يمكن ضبط أي مدنية ومنجزاتها دونها.

2. يعد الإنتاج الحضاري لبلاد الرافدين خلاصة قرون عديدة من التطور النوعي على جميع الأصعدة، ومن الملاحظ أن بلوغ مرحلة الكتابة والتدوين لم تأتي دفعة واحدة أو دون مقدمات بل كانت كنتيجة للتطور الاجتماعي الذي فرضه الفكر الرافدي الذي أصبح يتماشى مع متطلبات عصره دون أن يغفل دور

التدوين في تماسك منظومته الاقتصادية على وجه الخصوص وكذا الحفاظ على استمرارية سيرورة الهيئات الإدارية، كما يمكن تأكيد أن القفزة الحضارية لم يكن أن تكون ممكنة لولا الحاجة الاقتصادية التي أنتجت نوعا من الوعي الذاتي.

3. حسب شهادة المتخصصين في تاريخ بلاد الرافدين (علماء الآشوريات والأكديات) وكذا علماء الأنتروبولوجيا والأثريين فإن المنطقة ذات إنتاج حضاري غزير شمل جميع نواحي الحياة دون استثناء، فالبرغم من عمليات الطمس التي تبناها العديد من المؤرخين اليهود وبعض المدارس المتطرفة فكريا إلا أن الشواهد المادية تساند المرجعية الحضارية لبلاد الرافدين وأكبر دليل على ذلك الكنوز التي تحتويها أرقى المتاحف الأوروبية (لولا المعثورات القيمة التي عثرت عليها البعثات العلمية لما كانت هذه المتاحف ذات قيمة ينظر لها لأن النفائس الرافدية القديمة جذبت أنظار العالم برمته وفتحت المجال للعديد من المحاورات والجدالات العلمية في الساحة الأوروبية).

4. إن استحواذ الغرب على المخلفات الحضارية للمنطقة يفتح بابا واسعا للنقاش حول دور العقل العربي بشكل عام في حماية موروثه، حيث أن الجهود الأثرية الأجنبية تبين إلى حد بعيد مدى بعد المدارس العربية عن فهم مصطلح "الإرث الثقافي" ودليل ذلك أن معظم عمليات التنقيب في مختلف مناطق العراق لم تكن بشكل رسمي بل كانت تجسد تحت قناع التمثيل الدبلوماسي، إلى جانب ذلك فقد كانت الحفريات بمصادقة الحكومة الرسمية التي منحت التفويضات اللازمة للحفر دون فرض الرقابة والتي اغتنمها الفكر الأوروبي في توسيع دائرة غنائمه الحضارية.

5. في إطار الصراع الحضاري بين الشرق والغرب عملت الكثير من التوجهات الفكرية والمدارس وبعض المخابر العلمية الغربية الكبرى على إضفاء صفة البدائية على المنجزات الحضارية التي ميزت تاريخ بلاد الرافدين، ويتمثل هذا التوجه في إرسال قناصل دبلوماسيين بدل إرسال مختصين في الميدان وكان معظمهم من الرحالة والمغامرين وجامعي التحف وصائدي الجوائز، لهذا اعتبرت عملياتهم الأولى تخريبية بالدرجة الأولى حيث كانت الحفريات استفزازية لا تبالي بقيمة الآثار التي تعد جزءا لا يمكن الاستغناء عنه في رسم التاريخ الفعلي للمنطقة، لكن مع مجيء الدفعة النهائية للباحثين النموذجيين أعيد الاعتبار للوزن الثقافي للمنطقة

من خلال الكشف عن القيمة الفعلية للمعثورات وإعادة رسم تاريخ المنطقة بشكل سليم لا يتعارض مع ما تم العثور عليه.

6. من خلال التطرق إلى النموذج المدروس وهي "مكتبة نينوى" استنتجت أن السبب الرئيسي وراء شهرة هذه المكتبة ناجم عن العديد من العوامل الايجابية المتضافرة فالمدينة التي تنسب إليها وذيوعها وشهرتها في أقطار الشرق القديم وقوة ملوكها أحفاد "سرجون" وكونها عاصمة الإمبراطورية الآشورية جعلها مكتبة مثالية من جميع النواحي، فهي تتميز بمعايير تفوق بكثير المكتبات التي كانت معاصرة لها في بلاد الرافدين، فهي تحتوي على نظام مكتبي قيم من حيث وجود رئيس عام لها وعمال بمثابة نساخ وأمناء وكذا منسقي الرفوف إلى جانب ذلك استعمال الفهرسة والترتيب والتصنيف وهذا ما يمكن أن نطلق عليه اسم "المكتبة النموذجية"(حسب تلك الفترة).

7. تعد الكتابة المسمارية أرقى نماذج التعبير الفكري الذي أنتجته بلاد الرافدين حيث استندت في مرجعيتها على أسس مضبوطة في صياغة أولى الكتابات التي عرفها العالم القديم، وتظهر أهميتها من خلال تداول استعمالها في العديد من المناطق والإمبراطوريات السائدة آنذاك وقد تمت هذه النقلة بفضل السياسة الآشورية الحربية التوسعية ودور الملوك في فرضها ككتابة رسمية (هذا ما حدث على سبيل المثال للإمبراطورية الرومانية خلال توسعها العسكري فأصبحت لغتها متداولة بشكل كبير في جميع أنحاء العالم الروماني).

8. لا يمكن فصل موضوع الكتابة عن التدوين في العديد من نواحي البحث وهذا ناتج عن تداخلهما في الكثير من المظاهر المميزة للساحة الثقافية، كما أنه لا يمكن تصور موضوع التدوين كاملا دون أن نلم بالمراحل التي مر بها لبلوغ ذلك الطور المتقدم، إذ أن الكتابة في مراحلها المتقدمة وبعد بلوغها درجة الإتقان والضبط المنهجي قد فتحت الطريق نحو تكوين صورة واضحة عن معنى التدوين الفعلي، لذلك اعتبر المتخصصون اللغويون التدوين أسمى طرق التعبير عن النضج المبكر للفكر الرافدي.

9. لا يمكن الجزم بصفة قطعية على أن التنقيبات كانت ايجابية في غالبيتها ذلك أنه حسب المنظور الغربي فقد كانت التنقيبات ذات دفع حقيقي للدراسات النظرية وكانت بمثابة بصمة تعريف بالنسبة لحضارة وادي الرافدين على وجه الخصوص، إلا أن الرأي الصادق هو الذي يستند إلى الدلائل المادية التي تبين المنهج الغربي الانتهازي ودور المؤسسات التجارية والسياسية في تفعيل هذه الكشوفات خدمة لأطماعها

الخفية، كما كانت معظم الكتابات المتعلقة بالمنطقة مشكوك فيها نظرا لوجود آراء مجحفة في حق النسب السامي (إقصاء دور العنصر العربي في صياغة النمط الحضاري).

10. أعد الكثير من الدارسين أن السبب الرئيسي وراء التناظر والصراع بين شمال وجنوب بلاد الرافدين هو العامل الجغرافي وهذا ما يتبادر إلى ذهن الباحث للوهلة الأولى، لكن بعد التعمق في الدراسة ومقارنة مختلف المعطيات وإتباع عملية التمحيص والمقاربة يتبين أن هناك أسبابا أخرى أكثر منطقية وأهمها الهجرات التي عرفتها المنطقة التي أفرزت نوعا من الصدام الحضاري، كما كان لمشكل الأصول الدور الكبير في تعميق الهوة بين المنطقتين من خلال بروز مبدأ المفاضلة بين الأعراق، وبالتالي ظهور التكتلات البدائية وهذا ما خلق في الأساس المنافسة وميلاد نظام حكومات المدن التي عتمت مفهوم الوحدة السياسية لبلاد الرافدين القديمة.

قائمة الملاحق

قائمة الملاحق:

الملحق رقم 01: خريطة توضح الإقليم الجنوبي من أرض النهرين وتقسيمه إلى مناطق استقرار.

الملحق رقم 02: خريطة توضح الإقليم الشمالي من أرض النهرين ومواقعه الأثرية.

الملحق رقم 03: جدول يوضح الأصل التصويري لعلامات الكتابة المسمارية.

الملحق رقم 04: جدول يوضح نماذج من مراحل نشوء وتطور الكتابة المسمارية.

الملحق رقم 05: نموذج طيني لكبد استعملت في العرافة وقد ظهرت عليها نصوص الفأل.

الملحق رقم 06: لوحة مسمارية تمثل ملحمة الخليقة محفوظة بالمتحف البريطاني.

الملحق رقم 07: اللوح الخاص بملحمة الطوفان (جلجامش).

الملحق رقم 08: نسخة يدوية لمقدمة قانون أورنمو محفوظة بمتحف الشرق بإسطنبول.

الملحق رقم 09: قانون حمورابي مدون على كتلة الديوريت.

الملحق رقم 10: الجزء العلوي من مسلة حمورابي يظهر واقفا أما الإله شمش وهو يتسلم ملف العدالة منه.

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع:

1/ المصادر باللغة العربية:

1. العهد القديم (سفر التكوين/ سفر يونان).

2/ المصادر باللغة الأجنبية:

1. Diodorus the Sicilian, **The Historical Library,** trad G. Booth, vol I, London; 1814.

2. Hérodote, **Histoires,** Livre I, Trad: Legrant, édit les Belles Lettres, Paris, 1932.

3. Strabon, **La Géographie de Strabon,** livre XVI, trad: Amédée, Hachette, Paris, 1880.

3/ المراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم محمد حياة، **نبوخذنصر الثاني (604-562ق.م)**، المؤسسة العامة للآثار والتراث، العراق، (د.ط)، 1983م.

2. أبو الصوف بهنام، **التاريخ من باطن الأرض (آثار وحضارات وأعمال ميدانية)**، مطابع شركة الأديب، الأردن، 2009م.

3. أبيض ملكة، **التربية في الوطن العربي (منظور قومي، تاريخي)**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012م.

4. أحمد أمين سليم، **دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم (تاريخ العراق إيران آسية الصغرى)**، ج5، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م.

5. الأحمد سامي سعيد، **معتقدات العراقيين القدامى في السحر والعرافة والأحلام والشرور**، قسم التاريخ، جامعة بغداد، (د.ت).

6. أدونيس، **ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور)**، تر: قاسم الشواف، ط 1، دار الساقي، بيروت، 1997م.

7. إسماعيل حلمي محروس، **الشرق العربي القديم وحضارته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1998م.

8. أمين سليم أحمد، **حضارة العراق القديم دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم**، دار المعارف الجامعية، مصر، 2001م.

9. أمين سليم أحمد، **حضارة العراق القديم دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم**، دار المعارف الجامعية، مصر، 2000م.

10. أنطون مورتكات، **تاريخ الشرق الأدنى القديم**، تع: توفيق سليمان، (د.د)، (د.م)، (د.ت).

11. إيفانز أ.ج، **هيرودوت**، تر: أمين سلامة، مر: كمال الملاح، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2000م.

12. أيمار أندريه وأوبوايه جانين، **تاريخ الحضارات العام**، ج 01، تر: فريد م. داغر، ط 2، منشورات عويدات، بيروت، 1976م.

13. الباش حسن، **القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان**، ج1، دار قتيبة، (د.ت).

14. الباش حسن، **الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي**، ط1، دار الجليل، دمشق، 1988م.

15. باقر طه، **مقدمة في أدب العراق القديم**، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1976م.

16. باقر طه، **ملحمة جلجامش (أوديسة العراق الخالدة)**، (د.م)، (د.ت).

17. براون سينثيا ستوكس، **تاريخ الأحداث الكبرى من الانفجار الكبير إلى وقتنا الحاضر**، تر: أيمن توفيق، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م.

18. برستد جيمس هنري، **انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم**، تع: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو-مصرية، القاهرة، (د.ت).

19. بشور أمل ميخائيل، **تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل وأشور**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، 2008م.

20. بندكتي روبير، **التراث الإنساني في التراث الكتابي (إشكالية الأساطير الشرقية القديمة في العهد القديم)**، ط 2، دار المشرق، بيروت، 1990م.

21. بورت ديلا، **بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والآشورية**، تر: محرم كمال، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م.

22. بيومي مهران محمد، **المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم**، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999م.

23. بيومي مهران محمد، **بلاد الشام**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م.

24. بيومي مهران محمد، **دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1988م.

25. الجوهري أسامة، **الآثار العراقية**، ط1، هلا للنشر والتوزيع، مصر، 2006م.

26. حرب فرزات محمد ومرعي عيد، **دول وحضارات الشرق العربي القديم**، دار طلاس، دمشق، 1990م.

27. حسن أبو طالب صوفي، **تاريخ النظم القانونية والاجتماعية**، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، (د.ت).

28. حسن أحمد محمد خليفة، **الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم**، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1988م.

29. الحسني عبد الرزاق، **العراق قديما وحديثا**، ط3، مطبعة العرفان، لبنان (د.ت).

30. حنون نائل، **حقيقة السومريين ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية**، ط1، دار الزمان، دمشق، سوريا، 2007م.

31. الخلف جاسم محمد، **جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية**، ط3، دار المعرفة، القاهرة، 1965م.

32. الخليل أحمد محمود، **تاريخ أسلاف الكورد**، ط1، دار موكرياني، العراق، 2013م.

33. خوام محمد نزار، **تاريخ العلاج والدواء في العصور القديمة العصر الإسلامي وعصر النهضة في أوروبا**، دار المريخ للنشر، الرياض، 1990م.

34. الخوري موسى ديب، **قصة الأرقام عبر حضارات الشرق القديم (دراسة تاريخية)**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2002م.

35. دانيال غلين، **موجز تاريخ علم الآثار**، تر: عباس سيد أحمد محمد علي، ط1، دار الفيصل الثقافية، الرياض، 2000م.

36. داوود أحمد، **تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحرير**، ط3، منشورات دار الصفدي، دمشق، 2004م.

37. الدباغ تقي، **مقدمة في علم الآثار**، دار الجاحظ، العراق، 1981م.

38. الدبس يوسف، **تاريخ سورية (تاريخ شعوب سورية القدماء)**، ج1، دار نظير عبود، 1994م.

39. دياكوف.ف وكوفاليف. س، **الحضارات القديمة**، تر: نسيم واكيم اليازجي، ج1، ط1، دار علاء الدين، دمشق، (د.ت).

40. الذنون عبد الحكيم، **التشريعات البابلية**، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1992م.

41. الذنون عبد الحكيم، **تاريخ الشام القديم**، ط1، دار الشام القديمة، دمشق، 1999م.

42. رو جورج، **العراق القديم**، تر: حسين علوان حسين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1986م.

43. زايد عبد الحميد، **الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى منذ أقدم العصور حتى عام 323 ق.م**، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت).

44. زرقانة إبراهيم وآخرون، **حضارة مصر والشرق القديم**، مكتبة مصر، مصر، (د.ت).

45. سارتون جورج، **تاريخ العلم**، ج1، دار المعارف، مصر، 1963م.

46. سالم عفيف فوزي، **نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية ودورها الثقافي والاجتماعي**، ط1، الكويت، 1980م.

47. ستيبتشفيتش ألكسندر، **تاريخ الكتاب**، تر: محمد.م الأرناؤوط، ج1، عالم المعرفة، الكويت، 1993م.

48. سرمك حامد، **ملحمة جلجامش دراسة في القضايا والأصول**، جامعة القادسية، العراق، (د.ت).

49. السعد جودت، **أوهام التاريخ اليهودي**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998م.

50. سعفان كامل، **معتقدات** آسيوية (**العراق فارس الهند الصين اليابان**)، ط1، دار الندى، (د.م)، 1999م.

51. سعيد حبيب، **أديان العالم**، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، (د.ت).

52. سفندال، **تاريخ الكتاب منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر**، تر: محمد صلاح الدين حلمي، المؤسسة القومية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985م.

53. سليم أحمد أمين، **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر**، **العراق**، **إيران**، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م.

54. سليمان بن عبد الرحمن بن محمد الذييب، **الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية**، جامعة الملك سعود، الرياض، 2006م.

55. سليمان توفيق، **دراسات في حضارات غرب أسية منذ أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م**، ط1، دار دمشق، 1975م.

56. السليماني مولاي أحمد حسين، **محاضرات في تاريخ الشرق القديم**، يول للنشر والترجمة، 2003م.

57. سميث روبرتسن، **محاضرات في ديانة الساميين**، تر: عبد الوهاب علوب، مر: محمد خليفة حسن، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، 1997م.

58. سنيوبوس شارل، **تاريخ حضارات العالم**، تر:محمد كرد علي، ط1، الدار العالمية للكتب، مصر، (د.ت).

59. السهرودي نجم الدين، **ملحمة جلجامش والفكر الرياضي**، مر: طه باقر، بغداد، 1977م.

60. السواح فراس، **لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة**، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1985م.

61. السواح فراس، **مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة (سوريا، أرض الرافدين)**، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1988م.

62. سوسة أحمد، **العرب واليهود في التاريخ (حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية)**، ط2، العربي للإعلان والنشر، دمشق، 1972م.

63. سوسة أحمد، **تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية**، ج 1، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983م.

64. سيد حسب الله وغندور محمد جلال، **تاريخ الكتب والمكتبات عبر الحضارات الإنسانية**، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، 1996م.

65. صالح عبد العزيز، **الشرق الأدنى القديم مصر والعراق**، ج1، ط2، مكتبة الإنجلو-مصرية، القاهرة، 1974 م.

66. صائب سعد، **دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم**، ط1، دار طلاس، دمشق، 1994م.

67. صبحي عبد الحي عمر محمد، **الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم (بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة)**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1998م.

68. ظاظا حسن، **الساميون ولغاتهم (تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية عند العرب)**، ط2، دار القلم، دمشق، 1990م.

69. عبده سمير، **السوريون والحضارة السريانية**، ط1، دار الحصاد، دمشق، 1998م.

70. عرنوق مفيد، **صرح ومهد الحضارة السورية**، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1999.

71. عصفور محمد أبو المحاسن، **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم منذ أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر**، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

72. عطيتو حربي عباس، **في الفكر الشرقي القديم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005م.

73. علي رمضان عبده، **تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر**، ج2، ط1، دار نهضة الشرق، القاهرة، 2002م.

74. علي رياض رمضان، **الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم**، عالم المعرفة، الكويت، (د.ت).

75. علي سعيد إسماعيل، **التربية في حضارات الشرق القديم**، عالم الكتب، القاهرة، 1999م.

76. علي فاضل عبد الواحد، **الخط المسماري واللغة الأكدية** (**اثنان من أبرز العوامل المشتركة بين الحضارات القديمة في الوطن العربي**)، قسم الآثار جامعة بغداد، (د.ت).

77. عواد كوركيس، **خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى 1000 للهجرة**، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1986م.

78. فارمر ليديا هويت، **أشهر ملكات التاريخ** (**يتضمن سير أشهر الملكات اللاتي عرفهن التاريخ منذ ألفي سنة قبل الميلاد حتى الآن**)، إدارة الهلال، مصر، 1930م.

79. فتوحي عامر حنا، **الكلديون/ الكلدان منذ بدء الزمان بحث في الهوية الكلدية/ الكلدانية**، ط2، (د.د)، الولايات المتحدة الأمريكية، 2007م.

80. الفخراني فوزي عبد الرحمن، **الرائد في فن التنقيب عن الآثار**، ط2، جامعة قار يونس، ليبيا، 1993م.

81. فخري أحمد، **دراسات في تاريخ الشرق القديم مصر، العراق، سوريا، اليمن، إيران** (**مختارات من الوثائق التاريخية**)، ط2، مكتبة الإنجلو-مصرية، القاهرة، (د.ت).

82. فرح نعيم، **موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي**، دار الفكر، دمشق، 1972م.

83. فوزي رشيد، **القوانين في العراق القديم**، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988م.

84. قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، **طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**، ط1، كيوان للطباعة، دمشق، 2009م.

85. قيروللو شارل، **أساطير بابل وكنعان**، تر: ماجد بك، مؤسسة الشرق القديم، (د.م)، 1990م.

86. القيم علي، **إمبراطورية إبلا**، ط1، الأبجدية للنشر، دمشق، 1989م.

87. كريمر صمويل، **أساطير العالم القديم**، تر: أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

88. كريمر صمويل، **من ألواح سومر**، تر:طه باقر، مر: أحمد فخري، مكتبة المثنى (بغداد)، مؤسسة خانجي (القاهرة)، (د.ت).

89. كلكشوف، **الحياة الروحية في بابل (الإنسان، المصير، الزمن)**، تر: عدنان عاكف حمودي، منشورات المدى، دمشق، 1995م.

90. كلينكل هورست، **حمورابي البابلي وعصره**، تع: محمد وحيد خياطة، ط1، دار المنارة، دمشق، 1990م.

91. كوسى جورج، **أعرق الحضارات**، دار الفرقد، سوريا، 2006م.

92. لنتون رالف، **شجرة الحضارة قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث**، تر: أحمد فخري، مكتبة الإنجلو- مصرية، (د.ت).

93. لويد سيتون، **آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي**، تر: محمد طلب، ط1، دار دمشق، سورية، 1992.

94. الماجدي خزعل، **بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998م.

95. الماجدي خزعل، **متون سومر (التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس)**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998م.

96. مارغرون جان كلود، **السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية**، تر: سالم سليمان العيسي، ط1، دار علاء الدين، دمشق، **1999** م.

97. مالمات أبراهام وتدمور حييم، **العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية**، تر: رشاد عبد الله الشامي، ط1، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 2001م.

98. مجموعة من المؤلفين، **شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم**، تر: أسامة سراس، ط2، دار علاء الدين، دمشق، 1994م.

99. محمد رزق عاصم، **علم الآثار بين النظرية والتطبيق**، مكتبة مدبولي، (د.م)، (د.ت).

100. محمد عبد الحليم نبيلة، **معالم العصر التاريخي في العراق القديم**، دار المعارف، مصر، 1973م.

101. محمد علي محمد عبد اللطيف، **تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق.م**، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1977م.

102. محمد علي محمد عبد اللطيف، **سجلات ماري وما تلقيه من أضواء على التاريخ السياسي لمملكة ماري (من حوالي 1720–1760 ق.م)**، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1985م.

103. محمود أمهز، **في تاريخ الشرق الأدنى القديم**، دار النهضة العربية، (د.د)، (د.م)، 2010م.

104. محمود عزيز كارم، **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2006م.

105. مرسي عيد بدر يحيى، **أصول علم الإنسان الأنثروبولوجيا**، تق: محمد عباس إبراهيم، ج1، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007م.

106. مرعي عيد، **اللسان الأكدي (موجز في تاريخ اللغة الأكدية وقواعدها)**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012م.

107. موسكاتي سباتينو، **الحضارات السامية القديمة**، تر: السيد بكر يعقوب، دار الرقي، بيروت، 1976م.

108. نخبة من الباحثين العراقيين، **حضارة العراق**، ج1، ج2، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985م.

109. نخبة من الباحثين العراقيين، **حضارة العراق**، ج3، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، 1985م.

110. نشار السيد السيد، **تاريخ الكتب والمكتبات في مصر القديمة**، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 1999م.

111. هـ.ج. ولز، **معالم تاريخ الإنسانية**، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، مج1، ط3، (د.د)، (د.م)، (د.ت).

112. هاوكس.ج وولي. ل، **أضواء على العصر الحجري الحديث (ثلاثة فصول مترجمة من كتاب ما قبل التاريخ وبدايات المدنية)**، تر: يسرى عبد الرزاق الجوهري، دار المعارف، مصر، (د.ت).

113. يحي هارون، **الأمم البائدة**، تر: ميسون نهلاوي، (د.د)، (د.م)، (د.ت).

114. يوسف أفرام عيسى، **ملحمة الدجلة والفرات**، تر: علي نجيب إبراهيم، ط1، دار الحوار، سوريا، 2001م.

4/ المراجع باللغة الأجنبية:

1. A. Somevill Barbara, **Empire of Ancient Mesopotamia,** edit Chelsea House, USA, 2010.

2. Arnaud. D, **Le Proche Orient Ancient de L'invention de L'écriture à L'hellénisation,** édit Bordas, France, 1970.

3. British Museum, **The Babylonian Story of the Deluge and the Epic of Gilgamish with an Account of the Royal Libraries of Niniveh,** University of Toronto, 1920.

4. C. Fincke Jeanette, **The Babylonian Text of Niniveh report on the British Museum's Ashurbanipal Library Project,** Heidelberg, 2003.

5. Caratini Roger, **Bordas Encyclopédie Histoire Universelle (Le Monde Antique),** édit bordas, Paris, (s.d).

6. Charpin Dominique, **Lire et Ecrire en Mésopotamie une Affaire des Spécialistes,** Académie des inscriptions et belles lettres, Paris, 2004.

7.Contenau Georges, **Les Civilisations Anciennes du Proche Orient,** presse universitaire de France, Paris, 1963.

8.Diodorus the Sicilian, **The Historical Library,** trad G.Booth, vol 01, London; 1814.

9.Feer H.L, **Les Ruines de Ninive ou Descriptions des Palais Détruits des Bords du Tigre,** Société des écoles de Dimanche, Paris, 1864.

10. Gaffarel Paul, **Histoire Ancienne des Peuples de L'Orient Jusqu'au Premier Siècle avant Notre Ere,** édit Alphonse Lemerre, Paris, (s.d).

11. Guy Mazars, **Pharmacopée de Proche-Orient Antique**, institut d'histoire des sciences, université louis pasteur, France, (s.d).

12. H. Cavaniol, **Les Monuments en Chaldée, en Assyrie et a Babylone D'après Les Récentes Découvertes Archéologiques,** Libraires A. Durant et Pedone Lauriel, Paris, 1870.

13. H. Harris Michael, **History of Libraries in the Western World,** Scarecrow press, USA, 1999.

14. H. Wellisch Hans, **Ebla The World's Oldest Library,** Vol 16, The Journal of Library History, University of Texas Press, 2013.

15. Hardy Mardine, **Les Archives de la Civilisation Mésopotamienne,** Université de Montréal, 2009.

16. Hignounet Charles, **L'écriture,** presses Universitaires de France, 1955.

17. J. Hamblin William, **Warfare in the Ancient Near East to 1600 bc Holy Warriors at the Dawn of History**, edit Routledge, New York, 2006.

18. J. Walther, **Les Découvertes de Ninive et de Babylone au Point de Vue Biblique,** édit Georges Bridel, Lausanne, 1889.

19. Jachson Donald, **Histoire de L'écriture,** trad: Guy Durand, édit Denoel, Paris, 1982.

20. Jourdain Sabine, **Les Mythologies**, groupes Eyrolles, (s.p), 2007.

21. Koning Jakhson and others, **Ancient Libraries,** Cambridge University press, 2013.

22. Kramer Samuel Noah, **History Begins at Sumer,** University of Pennsylvania Press, USA, 1981.

23. Layard Austen Henry, **Nineveh and its Remains,** Vol 2, edit Gorgias Press, USA, 2001.

24. Le Bon Gustave, **Les Premières Civilisations,** édit c. marpon et E. flammarion, Paris, (s.d).

25. Le Roche Carole, **Découverte des Ecritures Anciennes Ecritures Cunéiformes de Mésopotamie et du L'Evant,** édit Maison de L'orient et de la Méditerranée, Lyon, 2005.

26. Lion Brigette et Michel Cécile, **Jules Oppert et le Syllabaire Akkadien,** Colloque Histoire de Déchiffrement, France, 2007.

27. Lopez Eliane, **L'Histoire Des Civilisations,** édit Eyrolles, Paris, (s.d).

28. Malcom Russel John, **The Writing on the Wall Studies in the Architectural Context of Late Assyrian Palace Inscriptios**, edit ,Eisenbrauns, USA, 1999.

29. Menant M. Joachim, **Annales des Rois d'Assyrie,** édit Maisonneuve, Paris, 1874.

30. Menant M. Joachim, **La Bibliothèque de Palais de Ninive,** Librairie de la société Asiatique de Paris, Paris, 1880.

31. Menant M. Joachim, **Le Syllabaire Assyrien Exposé des Eléments de Système Phonétique de L'Ecriture Anarienne,** Imprimerie Impériale, Paris, (s.d).

32. Menant M. Joachim, **Ninive et Babylone,** Librairie Hachette, Paris, 1888.

33. Miquel Pierre, **L'Antiquité**: **L'Orient de l'Égypte à Alexandre le Grand,** édit Fernand Nathan, France, 1983.

34. Moscati Sabatino, **L'Orient avant les Grecs (Les Civilisations de la Méditerranée Antique),** presse Universitaire de France, Paris, 1963.

35. Nardo Don and Others, **Encyclopedia of Ancient Mesopotamia,** edit Gale Cengage Learning, USA, 2007.

36. Parpola Simo, **Assyrian Library Records,** Journal of Near Eastern Studies, Vol 42, University of Chicago Press, 2010.

37. Parrot André, **Assur,** édit Gallimard, France, 1969.

38. Rogers Robert William, **A History of Babylonia and Assyria,** Vol 01, Assyrian International News Agency, 1900.

39. Rogers Robert William, **Cuneiform Parallels to the Old Testament,** New York, 1912.

40. Roux Georges, **Ancient Iraq,** Penguin Books, Iran, 2000.

41. Russel John Malkom, **The Writing On the Wall Studies in the Architectural Context of Late Assyrian Palace Inscriptions,** edit Eisenbrauns, USA, 1999.

42. Saint-Prot Charles, **Histoire de L'Irak de Sumer à Saddam Hussein,** édit Ellipses, Paris, 1999.

43. Smith George, **Assyrian Discoveries An Account of Explorations and Discoveries on the Site of Nineveh During 1873 and 1874,** Cambridge University Press, 1875.

44. Société des Livres religieux, **Ninive la Grande Ville Retrouvée au XIX siècle,** Toulouse, 1854.

45. Tompson R. Cambell, **The Reports of the Magicians and Astrologers of Nineveh and Babylon in the British Museum,** Vol 02, London, 1900.

46. V. Scheil et F. Thureau–Dangin, **Revue D'Assyriologie et D'Archéologie Orientale,** Vol 21, 1924.

47. Westbrook Raymond, **A History of Ancient Near Eastern Law,** vol 01, edit Brill, Boston, 2003.

48. Wooley Leonard and Mallowan Max, **Ur Excavations the Old Babylonian Period,** British Museum Publications, Great Britain, 1976.

5/ الموسوعات، المجلات، والمذكرات:

1) الموسوعات:

1. أديب سمير، **موسوعة الحضارة المصرية القديمة،** ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.

2. عبد النور منيس وآخرون، **دائرة المعارف الكتابية،** مج 03، ط2، دار الثقافة، القاهرة، 1999م.

3. عبد النور منيس وآخرون، **دائرة المعارف الكتابية،** مج 07، مج 08، ط2، دار الثقافة، القاهرة، 2001م.

4. فهد حماد حسين، **موسوعة الآثار التاريخية (حضارات، شعوب، مدن، عصور، حرف ولغات)،** دار أسامة، الأردن، 2003م.

5. مطر سليم، **موسوعة اللغات العراقية،** ط1، مركز دراسات الأمة العراقية، بغداد، 2009م.

6. **الموسوعة العربية العالمية،** ط 02، مكتبة الملك فهد الوطنية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1999م، (موسوعة إلكترونية).

7. الموسوي هاشم عبود، **موسوعة الحضارات القديمة،** ط1، دار حامد، الأردن، 2013م.

8. نخبة من العلماء، **الموسوعة الأثرية العالمية**، إش: ليونارد كوتريل، تر: محمد عبد القادر محمد، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

9. نعمة حسن، **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة**، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994م.

2) المجلات:

1. أبو دية خالد، **المكتبات في العصور القديمة**، رسالة النجاح، العدد 18، (د.م)، 1984م.

2. الأحمد سامي سعيد، **الطب العراقي القديم**، مجلة سومر، مج30، ج1+2، مديرية الآثار العامة، العراق، 1974م.

3. أقطيني خليل، **مملكة ماري من أعظم حضارات العالم القديم في حوض نهر الفرات**، العدد 04، دورية كان التاريخية، العراق، 2009م.

4. بابا محمد زهير، **التعدين أساس علم الكيمياء (إسهام الشعوب العربية في تقدم علم التعدين)**، مجلة التراث العربي، (د.د)، (د.م)، (د.ت).

5. بطرس نوري، **دور الكلدان في التنقيب عن الآثار العراقية**، العدد 35، مجلة بيت عنكاوا، جمعية الثقافة الكلدانية، العراق، 2008م.

6. الخطيب عبد الله، **عن الفن العراقي القديم**، العدد 522، مجلة المدى الثقافي، (د.م)، 2005م.

7. الخفاجي مصطفى فاضل كريم، **تاريخ القانون في المجتمعات القديمة (قانون حمورابي أنموذجا)**، مج 3، العدد 2، مركز بابل للدراسات الإنسانية، (د.ت).

8. الشمالي مصطفى والسيد عبد الله، **تمثيل شخصيات ملحمة جلجامش الرافدية في النحت البارز القديم**، مج 29، العدد 01، جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، 2013م.

9. الصابوني حلا والسرميني علي، **الفن الجداري الآشوري**، مج 25، العدد 01، جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، 2009م.

10. طه الويس كامل، **رياضة التجذيف في العراق القديم**، مج 10، العدد 02، جامعة بغداد، 2001م.

11. عبد اللطيف محمد سلمان، **الورق (نشأته- وظيفته- تطور صناعته عبر التاريخ)**، مج22، العدد 02، جامعة دمشق للعلوم الهندسية، 2006م.

12. عثمان سعدي، **توجد كتابة سومرية ولا يوجد قوم سومريون**، العدد 6063، القدس العربي، 2008م.

13. قاشا سهيل، **نينوى بين العظمة والرماد**، مجلة العدالة، العدد 2782، (د.م)، 2013م.

3) المذكرات:

1. جميلة خالفي، **الكتبة والمكتبات في بلاد الرافدين 3200 إلى 626 ق.م (مكتبة آشور بانيبال نموذجا)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، 2009، 2010م.

2. الجميلي عامر عبد الله، **الكاتب والكتبة في بلاد الرافدين القديمة**، رسالة ماجستير، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2012م.

3. زكية الحاج الطاهر، **العهد القديم ومدى علاقة مضمونه بالدولة الآشورية والكلدانية ومملكة يهوذا**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2002م.

4. سليم سعيدي، **القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر (2050-332 ق.م) دراسة تاريخية مقارنة**، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009م.

5. شمخي جابر المرعي إيمان، **إقليم بابل في كتب البلدانيين**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003م.

6. العابو عبد الرحمان، **البطولي في أساطير الشرق القديم وملاحمه**، أطروحة دكتوراه، جامعة سانت كليمانت، (د.م)، 2010م.

7. عبد الله حورية، **التوسع الآشوري في بلاد الشام (911- 612 ق.م)**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993م.

8. مسعود شباحي، **حركة أخناتون الدينية (1367-1350 ق.م) دراسة تحليلية**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، (2008-2009م).

6/ الأطالس والمعاجم:

1) الأطالس:

1. أبو خليل شوقي، **أطلس التاريخ العربي الإسلامي**، ط5، دار الفكر، دمشق، 2002م.

2) المعاجم:

أ. باللغة العربية:

1. سليم شاكر مصطفى، **قاموس الأنثروبولوجيا**، ط1، جامعة الكويت، 1981م.

2. عبودي هنري س، **معجم الحضارات السامية**، ط2، دار جوروس برس، لبنان، 1991م.

3. كورتل آرثر، **قاموس أساطير العالم**، تر: سهى الطريحي، دار نينوى، دمشق، 2010م.

4. يونس عبد الحميد، **معجم الفلكلور**، ط1، مكتبة لبنان، 1983م.

ب. باللغة الأجنبية:

1. Bernard. Th, **Dictionnaire Mythologique ou Biographie Mythique,** Librairie de Firmint Didot frères, Paris, 1854.

2. Bost Jean Augustin, **Dictionnaire de la Bible ou Concordance raisonnée des Saints écritures,** Librairie Protestante, Paris, 1849.

3. C. Augé et P. Larousse, **Petit Larousse,** Librairie Larousse, paris, 1964.

4. Peignot L.G, **Dictionnaire Historique et Bibliographique Abrégé des Personnages Illustres Célèbres ou Fameux,** Vol 03, édit Ménard et Desenne, Paris, 1821.

5. Vallaud Dominique, **Nouveau Dictionnaire D'Histoire Universelle,** Librairie Arthéme Fayard, France, 2010.

الفهارس

فهرس الأعلام

حرف "أ"

حرف "ب"

حرف "ت"

حرف "ج"

حرف "ح"

حرف "د"

حرف "ر"

حرف "ز"

حرف "س"

حرف "ص"

حرف "ط"

حرف "ع"

حرف "غ"

حرف "ف"

حرف "ك"

حرف "ل"

حرف "م"

حرف "ن"

حرف "ه"

حرف "و"

حرف "ي"

فهرس الآلهة

حرف "أ"

حرف "ت"

حرف "د"

حرف "س" و"ش"

حرف "ع"

حرف "ك"

حرف "م" و"ن"

فهرس الأماكن

حرف "أ"

حرف "ب"

حرف "ت"

حرف "ر"

حرف "س"

حرف "ش"

حرف "ص"

حرف "ع"

حرف "ف"

حرف "م"

حرف "ن"

حرف "هـ"

حرف "و"

فهرس الشعوب

حرف "أ"

حرف "ب"

حرف "ج"

حرف "ح"

حرف "ر"

حرف "س"

حرف "ع"

حرف "ف"

حرف "ك"

حرف "م"

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

فهرس الموضوعات: